

محمد حسنين هيكل

## موعد مع الحروب!

ومقال آخر..

### أزمة السياسة في انتخابات الرئاسة

مياه النيل في سوق التجارة العالمية! / رشدي سعيد  
عزمي بشارة / تحرير فلسطين.. تحرير الإنسان العربي  
أدب المقاومة.. من المنفى إلى الإنتفاضة / فاروق عبد القادر



مصطفى عبد الرزاق نوفل / الآثار الصحية للملومة.. غزو الهامبورجر!  
الجمود السياسي.. وانتحال الديمقراطية! / سلامة أحمد سلامة  
يوسف القعيد / فاتكن همامة.. فنانة من نور

٩٩ رمضان في كتابات المؤرخين المصريين / قاسم عبده قاسم ٢٢





رئيس مجلس الإدارة  
إبراهيم الخليل  
عضو مجلس الإدارة المنتدب للإنتاج  
أحمد السيد  
البحوث والمراجعة  
هديل غنيم



هو كل المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر بالضرورة عن رأى أصحابها مادامت عليها توقيعاتهم.. وعندما تكون للمجلة وجهة نظر.. تمثل سياستها فسوف يكون توقيع المقال باسمها. ٥٥

### كتاب العدد :

- رشدي سعيد .. أستاذ جيولوجيا مصرى، مقيم في الولايات المتحدة
- سلامة أحمد سلامة .. صحفي
- عبد العظيم أنيس .. أستاذ الإحصاء الرياضى للفرع بجامعة عين شمس
- عزمى بشارة .. مفكر فلسطينى وذائب فى الكينيت الإسرائيلى
- فاروق عبد القادر .. كاتب
- قاسم عبيد قاسم .. أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الأزهر
- محمد حسنين هيكل ... صحفي
- محمد فؤاد الذكراي ... باحث فى التراث الطبى، من سوريا
- مصطفى عبد الرزاق نوفل ... أستاذ علم وتكنولوجيا الغذاء بجامعة الأزهر
- ناصر الرياض .. أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية بمعهد ماستشوستس للتكنولوجيا (MIT)
- يوسف القعيد ... صحفي وروائى

رسوم العدد للفنانين : محمد حجي - نبيل تاج - سعد الدين شحاتة



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية  
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة  
أو أجزاء منها، بخير إن كنتم مسبق من الناشر.



### الرسائل :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى  
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت : ٢٩٢٠٤٩٠ / ٢٩٢٠٤٩٢ / ٢٩٢٠٤٩٦ - فاكس ٢٩٢٠٤٩٨ / ٢٩٢٠٤٩٨ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

### الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر ١٠٠ جنيه مصرى - أتعاد بريد  
عربى : ٦٠ دولار أمريكى - آسيا وأوروبا والبريتانيا : ٧٠ دولار أمريكى - أمريكا وكندا : ٨٠ دولار  
أمريكى - بقى دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكى  
إدارة للإشتراكات : شارع سيديى المصرى، ص. ب. ٢٢٢ قايرواما - مدينة نصر  
هاتف : ٢٠٢٣٢٩٩ - فاكس : ٢٠٤٨٥٤٦ - e-mail: wegah@alkotob.com

### ضمن النسخة :

فى مصر : ١٠ جنيهات مصرية - السعودية : ٢٠ ريالاً - الكويت : ١٠٠ دينار - الإمارات : ٢٠ درهماً -  
البحرين : دينار - قطر : ١٥ ريالاً - عمان : ريالان - لبنان : ٥٠٠٠ ليرة - سوريا : ١٠٠ ليرة - الأردن  
دينار - وصف : ليبيا دينار واحد - الجزائر : ١٠٠ دينار - المغرب : ٣٠ درهماً - تونس : ٤ دينار -  
اليمن : ٣٠٠ ريال -

Austria SCH 175 - France 30FF - United Kingdom £3

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

رئيس التحرير  
سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفنى  
حنلى التوتونى

مدير التحرير  
أيمن الصبيح

### محتويات العدد :

- ٣ • كلمة .. والوطن .. قراءة للثقافة
- ٤ • محمد حسنين فيكل
- «سياسة صيف فى الوثائق الإسرائيلية» (٣) «موقع مع الحرب»
- ١٦ • رشدي سعيد
- «تساؤلات وشكوك حول «المبادرة» .. مياه النيل فى سوق التجارة العالمية»
- ٢٢ • عزمى بشارة
- «تحرير فلسطين .. تحرير الإنسان العربى»
- ٢٨ • مصطفى عبد الرزاق نوفل
- «الآثار الصحية للملح .. غزو الهامبورجر»
- ٣٢ • عبد العظيم أنيس
- «تجنيد الكتاب والفنانين أثناء الحرب الباردة»
- «Who Paid the Piper» : تأليف : فرانسيس ستونز سارنر
- ٣٦ • محمد فؤاد الذكراي
- «فى طلب الإنسان القديم .. الأشباح والأرواح تسكن القماء»
- ٤٠ • قاسم عبيد قاسم
- «شهر رمضان .. صورة تاريخية مصرية»
- المواظ والاعتبار بذكر الخطأ والآثار : تأليف : تقى الدين أحمد بن على المقرئ
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور : تأليف : محمد بن أحمد بن إياس المصرى
- عادات وتقاليد المصريين الحديثين : تأليف : إدوارد وليام لين، ترجمة : سهيل برسوم
- ٤٨ • محمد حسنين هيكل
- «أزمة السياسة فى انتخابات الرئاسة»
- ٥٢ • فاروق عبد القادر
- «أدب المقاومة .. من المنفى إلى الانتفاضة»
- ٦٢ • ناصر الرياض
- «المعاصرة والذاكرة : دعوة للتفكير»
- ٦٦ • يوسف القعيد
- «فأنت حمامة .. ففأنت من ثور»
- ٧٢ • عروض موجزة
- «قراءات جديدة»
- ٧٦ • رسل
- ٨٠ • سلامة أحمد سلامة
- ٨٢ • «نؤن» «الجمود السياسى وانتحال الديمقراطية»

## الرجل.. والوطن

### قراءة للانتفاضة

واسمه عزى بشارة.. إنه عضو في الكتيسة... وهو مفكر فصيح وبهاج عويص من الطراز الأول. وهو كاره لإسرائيل من نوعية أكثر خطراً بكثير من حسن نصر الله (زعيم حزب الله) الذي يعلن أنه من مؤيديه... إن يوم نهائيه سيأتي يا بشارة الأفعى. وسيكون يومك أقرب مما تعتقد. سوزان فتاح وستكشف الحقيقة... السطور التي تحمل تهديداً سافراً بالقتل، تضمنها بيان تعرضي نشره موقع إسرائيلي على الإنترنت قبل أيام.

وكان منزل بشارة قد تعرض لحالة إضرام النار فيه، عندما عاجل اليهود الهولاجانز «مواظيتهم» من عرب ١٩٤٨ في الناصرة. بالضبط مثلما كان أعداء السامية يهاجمون اليهود في أوروبا. ولقد نشط هؤلاء نشاطهم بمسيرات مشاطة ليلية لإحراق بيوت العرب من دون خشية التشبه بعصيات كلوكس كلان الشهيرة. وتعددت أفرار الاعتقادات من تطعيم السيارات ونهب المتاجر وإحراقها، كما حصل في ذلك الموضع في تل أبيب لشبهة أن عرباً هم من بين رواده. وحتى القتل نفسه.

ورصدت القضية إلى نورثا عندما دخلت الشرطة، لتفصل.. رسمياً.. بين الطرفين، فلا يسقط برصاصها «الي» إلا العرب! والذين هم بموجب الأوامر الثبوتية، وأدعيات البومبرفان اليهودية «إسرائيليين». الأمر الذي كشف عن تصعد يقي من أبرز علامات الأحداث الأخيرة. وفي مواجهة تيار تنامي بعد «أوسلو» توهم إمكانية «الدمج المفقود» لعرب ١٩٤٨. أثبت الثنائون باستمالة ذلك في مجتمع عنصري بطبيعة تكوينه الديني، صحة حجته. وكان في مقعة هؤلاء دكتور عزى بشارة.

وبشارة الذي هو الآن عضو في الكتيسة الإسرائيلية، بدأ نشاطه السياسي سنة ١٩٧٦، وعمره ١٩ عاماً. عندما شارك في تنظيم تيار الأرض احتجاجاً على مصانة السلطات الإسرائيلية الألف للقاديين من أراضي الفلسطينيين في الجليل. وقتل في تلك المطاردات برفها ستة فلسطينيين وجرح مئات. والأهم أن ذلك القتل الضرب فعلياً على جانيه لا يمكن إغفال من جوانب الصراع المقدس في المنطقة. رغم النجاح الإسرائيلي في تكريس التجاهل الإعلامي.. بل والقانوني.. لك الجانب.

عزى عضو بشارة إلى برلين حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة السياسية، ورغم أن أحدًا لا يحتاج إلى أن يكون فيلسوفاً ليعرف أن العرب في إسرائيل مواطنون من الدرجة الثانية أو، العاشرة، إلا أن القاتل الأكاديمي.. يرضع.. بلغة فلفهم الجميع شرّاً وغيراً.. أن ذلك تناقض في وصف إسرائيل بأنها يهودية وديمقراطية. وقول إن أهم في المعادلة هو أن تثبت ذلك الطرف صاحب الحق. ويسهل إثبات ذلك إذ تم التعامل مع القضية الفلسطينية كغرف حالة إرهابية كرواوية عنصرية. كما فعل فيهمها العالم ولكه الأكار الأخرى كافة! ما زالت إسرائيل في حذو الرابع من حزيران ١٩٧٧، لا سماح بدولة فلسطينية ذات سيادة، ولا تخلي عن القدس «موحدة». وأن غالبية المستوطنات باقية تحت السيطرة الإسرائيلية.

ويطرح بشارة سيناريوهين لتطور نتائج الانتفاضة يُرجح أحدهما «أن يتحول الدم السوفوك في هذه الانتفاضة للتلطف من الأقصى إلى ضمان لعدم قبول الإصلاحات الأمريكية الإسرائيلية». وإن كان يخشى «أن الاحتمال سارال قاتل» لكي تستخدم الانتفاضة لتسوير المعجز من تعيين موازين القوى، وتخاذل الموقف العربي. مما يضرّو العربة إلى قبول ما لم يقبل في كتاب يديده بعد أن بثت القيادة الفلسطينية ما يربعمها دون فائدة.

ويزي عزى بشارة أن القضية الفلسطينية برزت أساساً كقضية لاجئين، ولكن على نحو ما قبلت إلى أراضي العام ١٩٧٧ التي قبلت إلى قضية القدس التي قبلت إلى قضية دينية. وعلى نحو ما شئ بعض العرب والفلسطينيين.. أو أنسام الهادفون إلى ذلك.. أن قضية اللاجئين هي جوهر القضية الفلسطينية. ويجذر من أن تنسج قضية اللاجئين وسط ضجيج الكلام «المعقول والا معقول» حول السيادة على الأماكن المقدسة.

في وجهات نظر، اعتدنا أن يقدم كتابنا قراءتهم الخاصة للكتاب. أو لوثيقة. إلا أن «قراءة» المؤلف «الرائع والمفاجأ» نخلنا لها أهمية خاصة. عزى بشارة اللاتب الذي يحمل ممد «مواظيتهم» ومواظيتهم، إلى جانب شهادة للدكتوراء. وإقرار هوية إسرائيلية. يكتب لنا من «الطعام» قراءته لا يجري هناك ويتداعي هنا. محارلات التفكير بحقائق تنسج.. عمداً أو سهواً.. وسط التباسات قضية شديدة التعقيد، وأمام خصم.. بمحكم الإذن التفاوضي على الأقل.. يدمر المساواة ويحيد اللاتوة، مثلما هو محترف لخط الأرقام.

يليه بشارة إلى خطورة إغترال ما يجري إلى حد وصفه بأنه «حرب دينية» إذ لا يوجد

في الحرب الدينية ظالمٌ ومظلوم، ولا مستعمرٌ ومستعمر، بل صراع بين حثين مطلقين لا يستطيع التمييز بينهما إلا المؤمنون بهما. وعليه فإنه لا ينبغي تصوير الأمر على أنه صراع بين الأقصى وحياتك المكي بل بين الشعب الفلسطيني والاحتلال، فالعرب ليست بين المسلمين واليهود بما هم كذلك، وإنما بين دولة إسرائيل كدولة احتلال وبين العرب كواقعة تحت الاحتلال. ويذكر بأن الأقصى كان تحت السيادة العربية الإسلامية في العام ١٩٦٤، عندما وادت منظمة التحرير الفلسطينية من رجم النضال من أجل عودة اللاجئين وتحرير فلسطين.

ويؤكد بشارة على أهمية وجود إستراتيجية تمثل مشروعا سياسياً للانتفاضة «ولا ضاع الدم اللواقع هدراً». فالجواب الذي لا تخطئه عين لابد وأن يجد من يترجمه في النهاية إلى مشروع سياسي يتجاوز مجرد المساواة والاعاطف والتضامن والرعيه. وإذا كنا نتفق جميعاً - الآن على الأقل - على أن سنوات ما بعد أوسلو الانتفاضة (الثانية) والتي كان من المفترض أن تبني الثقة بين الطرفين أدت في الواقع إلى العكس، فإن أسئلة أوسلو (المسألة): اللاجئ، السيادة، الحدود، القدس، الاستيطان، ينبغي ألا تعيق عن الأذهان ونحن نقرا في «أبعاد الانتفاضة» وسيناريوهات تداعياتها.

ويوضح بشارة في مقالة كيف أن هناك إجماعاً صهيونياً (كاملاً) حول الإجابة على أسئلة أوسلو الخمسة (التي تليها) في مواجهة غياب لمشروع قومي عربي.. أو حتى وطني فلسطيني. يتضمن أجابة محددة أو واضحة. وأنه معين احتفظا بهزيمة تباينهم. لم تكتف إلى أن لاته الأربع انتقلت حرجياً إلى برنامج باراك. ويؤكد بشارة بأنه في الوقت الذي اضطر فيه نتنياهو إلى تجميد البناء في مستوطنة جيل على غنم جنوبي القدس تحت ضغط دولي ومجلس إسرائيلي وفلسطيني، فإن باراك عاود البناء في حذو، ويتم حاليا تسريع شق حديد المسطبة ليلي حديد شقة.

لوات تناهات التي انتقلت إلى باراك هي قضية الوزارة، والتي تمثل الإجابات النهائية لثرف الإسرائيلية من أسئلة أوسلو التي تتلخص في التالي: لا عودة للاجئين الفلسطينيين إلى حذو العام ١٩٤٨. ما زالت إسرائيل في حذو الرابع من حزيران ١٩٧٧، لا سماح بدولة فلسطينية ذات سيادة، ولا تخلي عن القدس «موحدة». وأن غالبية المستوطنات باقية تحت السيطرة الإسرائيلية.

وهنا يطرح عزى بشارة سؤالا محورياً: «هل أصر الطرف الفلسطيني للمفاوض على موضوع القدس لأنه اختلف على حده ووافق على جميع الأفكار الأمريكية.. الإسرائيلية الأخرى، أم أنه تترس خلف هذا الموضوع من الأبعاد والمعاني الرمزية من أجل إفساح المجال للأفكار الأخرى كافة؟» ما زالت الإجابة من هذا السؤال ضرورية لأنها تصد كقضية استخدام وصيد الانتفاضة النضالي.

يطرح بشارة سيناريوهين لتطور نتائج الانتفاضة يُرجح أحدهما «أن يتحول الدم السوفوك في هذه الانتفاضة للتلطف من الأقصى إلى ضمان لعدم قبول الإصلاحات الأمريكية الإسرائيلية». وإن كان يخشى «أن الاحتمال سارال قاتل» لكي تستخدم الانتفاضة لتسوير المعجز من تعيين موازين القوى، وتخاذل الموقف العربي. مما يضرّو العربة إلى قبول ما لم يقبل في كتاب يديده بعد أن بثت القيادة الفلسطينية ما يربعمها دون فائدة.



يبقى أن قراءة بشارة لأحداث «أوسلو» لا تقتل إلى إقرار هيك للواق «الأس» إذ يبقى صهيونياً تماماً أن متسامية «اليهود» وراي بلاتيتش، وكاتب دانييل. لا يمكن أن تتفصل من مطالعة مشاهد تشكيل خارطة المشرق العربي في منتصف القرن.. فضلاً عن تفصيلات ما سبق وتم مع ١٩٧٧ وتداعياتها.

إذراك أهمية تحرير سيناريوهين لتطور نتائج الانتفاضة، فدعا إلى تعديل في حساباتها بعد أن كنا فكرنا في تاجيل «الطبعة الثالثة» من قراءة هيك للوثائق الإسرائيلية. لتنعج بدلا منها «قراءته» المسرحية الثيرة. ثنائية البطلين.. التي تتابع مشاهدتها على الصفا الأخرى من الاقطبي. والتي هي متصلة بطريقة لا يخفى بها يجري هنا. فخلصنا.. بعد نقاش.. إلى أنه وإن كان «كلام» الصورة يبقى مظلوماً دائماً، فإن «تداعيه» الحقائق.. بلا انقطاع.. في صورة شورية، تبقى له ضرورية.

## وجهات نظر



### ٣ سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية

# موعد مع العرب



محمد  
حسنين  
هيكل

والحقيقة أن منطق المصلح بين الماضي والحاضر والمستقبل مُصطلح رُغم أكثر منه حقيقة موضوع.

ويصرف النظر عن «الحاضر عندما كان يتخلّق»، وعن «المستقبل عندما بدأ يحيو» فقد يكون مُفيداً إدراك أن ما نراه «الآن» هو خير، «كشَف» ما لمُحْشاه «من قبل»، ولم تتمكن من رؤيته جليلاً، لكنه عندما جاء الظهر بمان في الحاضر جُسدًا ما كان في الفجر ليلًا. ونفس الشيء صحيح بالنسبة للمستقبل، فإذا استطلعنا في عزّ الظهر أن نتطلع إلى المستقبل بمسداة نُحصّن نفسنا باستعداد يضيف إلى قوتها آخر النهار وهي تُركَّب ليوم جديد.



يتداعى من ذلك في اعتقادى أن التاريخ ساحة دراسة قصدها المعرفة الواسعة،

العدد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٣

ولعلني هنا مُتأثر بالفكرة التي طرحها «دين» اتشيسون، وزير الخارجية الأمريكية الذي حضر مع الرئيس الأمريكى «هارى ترومان» مرحلة نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية «الحرب الباردة». وكان ذلك عصرًا شهد تواهر عديدة راحت جميعها تتفاعل لتصنع فترة من أكثر فترات التاريخ الإنساني خيبيّة وخصوصية. وعندما قرُن «دين» اتشيسون عقابيه مُذكراته عن وقائع ما عاشه، فقد اختار لها عنوانًا يستحقّ القائل نصه «الحاضر عند مرحلة الخلق الأولى». ويُؤكِّف عنوان كتاب «اتشيسون» عند هذا الحد، والتكتملة المنطقية بعده «المستقبل عند مرحلة الطفولة». وكلا القولين مُتأخّفين مع الآخر، وكلا القولين فيما ألتن صالِق.

بمعنى أن ماضينا هو وبالطبيعة حاضرتنا - عندما كان يتخلّق.. ثم إن حاضرتنا هو بِالْعِلْمِ مستقبلنا - عندما بدأ الآن يحيو!

في الشرق الأوسط الحديث كان يُحتفظ بشهادته وراء ضمت كلى أو جزئى!

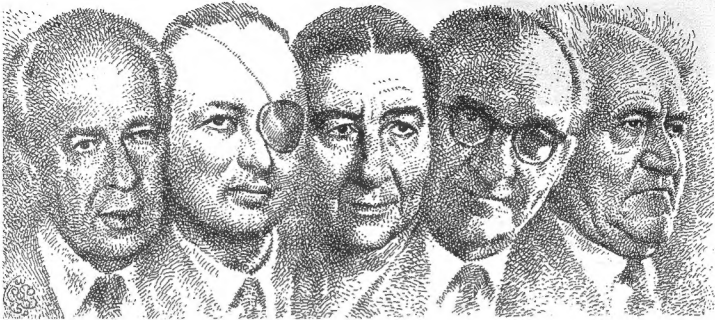
وعندما اتّبع لكبرى ولى أن لُحُلّ على الوثائق الإسرائيلية - أو بعضها - فإن خطّ الألق المَعْرِفى حولنا بانث عليه - ولو بخطوط شاحبة أحيانًا - دائرة تحيط به، وأُرسِم له ما يمكن اعتباره شكلًا عامًا لما جرى وما زال يجري مُصْطَلًا مع بعضه لدرجة لم تكن مُتاحة من قبل، وتلك لُبّة ما تُحويه الوثائق الإسرائيلية: خطّ واحد زائد لكنه يغلّ الدائرة!

وهنا فإن مجال الفكر يُصبح قادرًا أكثر من ذي قبل على رؤية «الرضية» التي مُثِّت وتُشفي عليها الوقائع تاريخية مواقع أقامها الشرأ يمكن تُشيعه في صمغارى الرمل والصخر، ومرات في حقول الطين والدم!

وبريا أضفّت أن لى مُتخلّق في قراءة التاريخ أوشر، وقد اشترت إليه مرات من قول - مؤداه أن «التاريخ» ليس «نيل» الماضي بقدر ما هو «مُزمنة» المستقبل.

أخذتني الوثائق الإسرائيلية في رحلة معها طالت عما قُدرت، ومع أنها كانت قراءة صيف، فإنها تَحُولت إلى قفابة خريف وشقاء، فهذا هو الشهر الثالث الذي التُؤَلَّف فيه مع هذه الوثائق الثالث دارسا وقاصصا بالقدر المتاح لِرُجُل لا يُزَعِّم لنفسه اختصاصا في كتابة التاريخ، لكنه يعرف في نفسه اهتماما بقرائه.

ولقد اشترت فيما سبق إلى أن الحياة الانسانية للوثائق الإسرائيلية أنها تُصنّف إلى قسارتها ما يمكن اعتباره خطًّا يزيد ويكمل الدائرة. بمعنى أننا اطلعنا على ما كان عندما عُرِيب (ومعصرا بالدرجة الأولى)، ثم جاءت الوثائق البريطانية والفرنسية والألمانية والتركية (إلى حد ما) - فوسّعت الألق وتُخَشِّت، ومع ذلك ظلت هناك رُجُل أشبه ما تكون بالثقوب السوداء في السماء - تلك التي يعتبرها عُلماء الفلك مقابر للنجوم، ويسبب هذه البُقع فإن الحقيقة ظلت مُلَحَصَة بعض الشيء، لأن مُرُفًا من نَصِّ انطراف صُنِع التاريخ



جوربون» (تأسس الدولة وأول رئيس لوزارتها) يستطیعان الإسماک بشادیب بعضهما وحشی النهاية دون أن یؤثر ذلك على إستراتيجية الدولة اليهودية - فإن خلافت المساة العربیة تتحول بطبیاع السلطة فی العالم العربی إلى نزاعات حول تصل باختلفین إذا أسکوا بنالیب بعضهم

إلى درجة الحرب المسلحة (العرب الأهلية - عربية عربية) كما حدث بین «جمال عبد الناصر» من ناحية و«الملك» «سعود» ثم الملك «فیصل» من ناحية أخرى بسبب القوة فی الیمن (١٩٦٢) : وكانت مسمر توبیها والسعودية تعادیه. ثم أصبح الخلاف بین الطرفين تحریضاً وسلاحاً وثماً وخزائن مال بغیر حساب، وأطرافاً خارجية تتدخل فی الشأن العربی أو تُدعی باستماتة إلى التدخل لیه !

ولقد كان تناقض الأتباع والمبادئ والرؤی بین المساة العرب و الذی قاد مباشرة إلى اتصال علی مستوى القوة بین العرب وإسرائیل (هو الأمر من نوعه بعد التجمیل الملك «عبد الله» ملك الأردن فی القدس سنة ١٩٥١) ، ثم إلی إیثار هذا التناقض ونتیجته له فإن الملك «حسین» قدم نفسه فی لندن مثلاً لجهة أوسع من الأردن (علی حد ما قال بنفسه للزعیم البرلمانی المحافظ «جولیان ایمری» عندما التقی به فی بیته فی «ایبون سکیور» - وهي جبهة طلیت معارضة إسرائیل فی حرب الیمن لجهة عاجلة فی إسقاط «مدیات وولان» علی مواقع المرتزقة الأجانب الذین یحاربون مع المکین فی جبال الیمن) ، وقد استجابات إسرائیل لعدا : وقامت طائراتها بأیمته ثلاث مرات ، ثم تولقت العیلة أن انکشاف أمرها إذا وقع مصرح لأصصاب فوق ای حد ، وقد تلّب صانع القرار الإسرائیلی علی ما استخفنه طرقاً واسالیب فی إدارة الصراع مع العرب ومثل مسکولها إلى المساس بالصر و المقدس العربی ، أو شيء شديد القرب من ذلك :

٢ - لطفة لاحتها مؤسسة الأمن الإسرائیلیة وهي لتصل بالجیوش العربیة ، ولتضخ هذه اللطفة (كمسا یکندی فی تحلیلات وتقدرات الاستخبارات) تصلا لولائیک الإسرائیلیة) أن الجیشوش العربیة لا ترتبط بهاها نظریة

وهذه میزة الفیلم والكامیرا - بلطفه أو لطفات من الحیاة یُتجد فیها المخان والزمان !



ومجمل العلامات والإشارات الی تتول بها خريطة الطبیعة وخريطة المساة - خريطة المخان وخريطة الزمان - كما أطل علیها صانع القرار الإسرائیلی - وكما یکندی من ملفاته وأوراقه - تُدسی بی ملی :

١ - أن الحرب أضغوا أنفسهم باقترب ما اضغغهم قوة إسرائیل سنة ١٩٦٧ ، وأن الضغصع بدأ فی عبول التماس قبل أن تتصدع جبهات القتال ، وكان ساسة إسرائیل وضرا إلتصاحاً أول من لدلها لما جرى علی الناحیه العربیه من الخطوط ، ولم یکن بینهم من توافقه علی الأقل بهذه السرعة وبهذه المسهولة ، ولایام بعد انتهاء معارك الأيام السبعة (٥ - ١١ یونیو ١٩٦٧) - فإن قادة الحكومة الإسرائیلیة وقواد الجیش الإسرائیلی القوا جمیعاً غیر قاریین علی استیجاب حیم ما تُشكّل لهم ، وعندما أقاموا «من صدقة النصر» - إذا جاز التعبير - هاهنا ، اننتصارهم لفسخ من أن یكون حقیقیهه ، too good to be true - وكان رئیس أركان حرب الجیش الإسرائیلی الجنرال «إسحاق رابین» أول من سجد علی محاضر مجلس الوزراء لتقديره للموقف فی جلسته بتاريخ یوم الأحد ١١ یونیو ١٩٦٧ - بقوله : «إنی أشعر بالخسیر رغم ذروة الفرح الی تعیشها لانی اعتقد بامان أن ما حصلنا علیه جاء أكثر مما أردناه ، واعتدائی إنه ساء ما إذا غیر إعادته و منظمته الی اصحابه یضربون معبرهه - والسبب «الحاکم» هنا لا نستطیع ولا ندر علی الاختلاف به أمه بكتالیف لطفه :

٢ - أن مؤسسة الأمن - التي صانع الخطة الخفیة فی إسرائیل - كانت علی وعی كامل بأوضاع أن الخلافات والصراعات بین المساة العربیة نوع آخر غیر الخلافات الواعیه بین الساسة الإسرائیلیین - أن رجین مثل «لوی اسکول» (رئیس الوزراء الإسرائیلی سنة ١٩٦٧) و«دافید بن



قراءة الوثائق الإسرائیلیة تحریة مبدية ومفیدة ، وهي فی نفس اللحظة تحریة شریفة ومُحرّنة خصوصاً عندما تدخل الحوادث إلى ذلك المخذی المجدیه مباشرة إلى ه یونیو سنة ١٩٦٧ .

وینستحق للملاحظة أن ای قارئ لوثائق الإسرائیلیة تطلقه أثناء القراءة علامات وإشارات دالة ولافته للفظ ، داعیه لإزالة الفكر ، ويخطر علی بالی أن هذه العلامات والإشارات الدالة شتیق الوقوف أمامها قبل الدخول فی تسلسل التطورات والتوسیع ، والسبب أن ذلك قد یؤخر نوعاً من «المفتاح» لقراءة خريطة ما جرى منذ بداية سنة ١٩٦٧ وحتى أرب متصفا (فی یونیو) ، وینقدار أن مساتیج الخريطة الطبیعیة تظهر المساحات ، والحدود ، والقطاعات الطریق ، وتواقع المدن ، وتضاریر الأرض : الزباعة بانوان خضراء ، والصحارى بانوان صفراء ، والجبال وقممها وسفوحها بانوان بُیضاء تُدرّج من الشلال إلى الخفیف - فإن الخريطة المسیاسیه لها نفس الظفاعة علی التکشف والإیماء إذا امتن تحدید الموزن بما یجعلها مغیره بامانة عن النواهی ، والخطط ، والنواقل ، والصرقات ، والاختلالات بما لهما آمال تتشكّل أو آمال تخدیب ؛

ومفتاح قراءة الخريطة المسیاسیه لما جرى علی الطریق الی ه یونیو سنة ١٩٦٧ - وكما هو مشكوف وقروءه صراحة ، أو ما هو محصور وبنسب شیئاً - برسم مجموعة من العلامات والإشارات الدالة واللافته لتلك من البیة ما یكاد یقلها من رسم بالقمم والریشة إلى صورة بالفیلم والكامیرا ! لتکتلی بتکلیت لوحة طبیعة ، وإنما تمسک ابناً

ولیس ساحه مُحففة مظهرها العلیاب الصامر ، ولكی لا یكون هناك لبس إسان الحاکمة جائزة فی نطاق المسیاسیه ، وهنات یصح أن یقال عن «سیاسی» إنه جودیر بالثواب ، أو مُسکّل بالمطاب - لكنه عندما تتحول المسیاسیه إلى تاریخ فإن منطق الثواب والمطاب یلغى فاعلیته حتی بالنتقاد أو انتهاء الصلاحیه ، وإذا لم یلغ ذلك فإن ساحه التاریخ تتحول إلى إشارات فیلل (فیها من تشیيع له علی ، وفیها من یتکسر له معاولیه ، وتلك لفته طارزت الضمیر العربی والإسلامی وما زالت تلهو) ، ولی عل الأحوال فإنه إذا لدل هناك من یسوع - الفکنة المستهرة ، فی مجال العقائد الدینیة ، فإن الفکنة فی مجال خیرات البشر تُفسد فی التعاض مع المستقبل یؤمله إلى فعل ما فی حتی نهاية العصر !

والطبیعة اننی آمنه بهذا القول لتسائلات تکشفها أو تدریها قراءة الوثائق الإسرائیلیة ، وقد یكون فیها ما یشیر حساسیه بعضهم هنا أو ضیق آخرون هناك .

لكنه إذا وقع الاتفاق علی أن التاریخ ساحه دراسة لتصرفه الشاملة ولین ساحه تحقیق للحدائق الصامره - وحتى علی فرض أن المسیاسیه تکتلث ویرامها جرحاً ، فإن ای جرح یطلب أول ما یطلب سطرراً ورباطاً وضماً حیویاً ، فلا یمنع للجرح - ولا یغل - أن تكون أشواله داعیه إلى سکن أو خسر أو حتی ظلیف زجاج حادة نخوص فیهِ من جدید ، ثم تتحول الذوب المخلقة فی جراح قديمة إلى نهك فی الانسیجة یعود به تزیف الدم سیلاً یذغ بالامه إلى فرائش الررض غلیقه عن الذی ، عاجزة عن الفعل .



## موعيد



## توقيت

■ لا تكشف الوثائق الإسرائيلية (في حدود ما طلعت عليه) - عن كثير جديد يُضاف إلى ما كان معروفاً لغيري - وإلى عن قرار إسرائيل بالحرب سنة ١٩٦٧.

والملحاحة الكبيرة، وربما الوحيدة، أنه لم يكن في نيّة إسرائيل لأي عمليات تفكر فيها تلك السنة أن تدخل إلى الضفة الغربيةة المقدس (رغم كل هذا التصعب في شأنها الآن)، ولا أن تؤجّه ضربة إلى سوريا، ولا أن تحتل الضفة (رغم أن شمس إسرائيل بهما اليوم أرضاً وسوقاً وسور ماء) والسبب الذي يُبْنَى من الأوراق واللفات هو نفسه ما وصفه الجنرال «هارون ياريف» عن الفرق بين سياسة الصديد بالمشاءة، في الشام (سوريا) - لبنان - (الأردن) - وبين سياسة الصديد بالرمح المكدوف، Harpoon في سيناء - والداعي إلى اختلاف الأساليب الصديد، أو السبيل العمل، إن إسرائيل في منطقة الشام كانت تصعد إلى أن «تدشّش» أو «تأخذ» أو «تسولي» دون أن تزعج عوامل شار بالقيّة في منطقة تيران وبحرين وسطيها بغير عولق مادية أو نفسية، ولذلك فهي تخطب أن تكون حياتها فيها حاضراً واستقلّياً حياة محدودة المخاطر، بقوّة الكثافيت، وخصوصاً أنها - كما تُسمّون - لا تقابل في هذه المنطقة تُولّوياً يمكن في يوم من الأيام أن تُمسك خطراً قاتلاً بها - والعكس من ذلك الصديد بدافع المكدوف Harpoon من مصر لأن الصديد في هذه الحالة هو الإصابة الشديدة قلداً أو عامة مُسَدِّمة حتى يعتصم طرف يقدر على التهديد في يوم من الأيام - عن أن يفكر ويحلم بالبروج من سيناء إلى الحضر العرسي في آسيا (بالتحديد إلى الشام الكبير أو الهلال الخصيب شاكياً (العراق).



كان هناك ما هو أكثر من ذلك بالنسبة لتفكير إسرائيل في خطوط حركتها الإسرائيلية في منطقة الشام، بما في ذلك التفارقة ما بين دواعي الصديد بالشبكة فيها، مقابل استعمال الرمح المكدوف والقاتل فيه، مصر.

كانت هذه الخطوط الإسرائيلية للحركة الإسرائيلية شديدة الوضوح خصوصاً في

شوع من العلاقة مُرْتَبِكة وأحياناً مهيبة للإطراف، في حين أن مصانع القصار الإسرائيلي كان يشاء وأحياناً على رباط وإيق مع الولايات المتحدة يُشَقَّل على تُعْجِد يجعلها مُتَضَمِّنة بيان تضمّن للسلاح الإسرائيلي تفكراً على سلاح كل الدول العربية مُتَجَمِّعة.

ويُسبب الخلافات بين صنّاع القرار - وتُشَوِّل هذه الخلافات بطبيعت السلطة العربية إلى نزاعات تُولّ - فإن صنّاع القرار الإسرائيلي كان يطمح ميّزة إضافية هامشية لكنها هائلة - مُؤاباة أن إسرائيل لن تواجه كل العرب في ميادين قتال مهما قيل أو يقال، ومهما كان أو يكون، وإنما على أسوأ الاحتمالات سوف تواجه دولة عربية واحدة، أو دولتين على أكثر تقدير!

٦ - ويضاف عن هذا على نحو ما إن رسول الحرب النفعية في الجيش الإسرائيلي في ظروف سنة ١٩٦٧، وهو الاستعجال «ويوسفات حارباكي»، كان له رأي السجائر تُروّجه في أوساط صنّاع القرار الإسرائيلي، مُؤاباة «أن العرب - كل العرب - كانوا تجربة الحرب من قرون، وعلى الأقل منذ عُنْدوا بالمستولين عن امتنهم إلى العاليت، ثم إلى الحماطين، وتلك حيلة واقعة ظلت قتلته حتى رُكِّن الحرب - وضمن أراهم «هارباكي» أن العرب هموا في تاريخهم الروا من المقاومة ضد إسرائيل واحتلال الجيش، لكن تلك تجربة أخرى تختلف من تجربة الحرب كما عاشتها الشعوب الأوروبية، وكما عرفتها وعاشتها لندن وباريس وفيينا وبرلين مثلاً - وعليها قد كان تقدير الجنرال «هارباكي»، أنه «إذا كان مواطنو الدولة العربية يفهمون ذيف الدم اليهودي، فإن مواطني الدول العربية يفهمون سقوط القاتل حتى قبل أن تسجل قنات الدماء» ■

● وكان ذلك ما تاحتد منه إسرائيل، وأخْبَرَتْه عليها في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، فحين خَسَرَتْ ١٠٤ طائرات وأربعمائة دبابة في الأيام الثلاثة الأولى من القتال (على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية) - لم تزد القيادة السياسية الإسرائيلية في الأمر بفتح مخازن الاحتياطي الإسرائيلي في الأمر يخرج ما فيها على الفور إلى التشبيكات الإسرائيلية المظلمة تعويضاً وعُتْدًا، وحذث في بعض المرات أن طائرات الجيسر الجوي الأمريكي عُثِرَت الأطنطى وعُثِرَت البحر وأنزات بعض سلاحها - خصوصاً من الدبابات - في مطار العريش مباشرة، ثم تُجِئَتْ هذه الدبابات مباشرة إلى المضائق تُشار في معركة «بالولة» يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ - لكن إسرائيل أن معظم ما حملته الجيسر الجوي الأمريكي دخل إلى المخازن يُعْجِد الاحتياطي الذي استعملته إسرائيل منذ اليوم الرابع المعركة، مُعْجِدَةً إلى أن استعمالها لُجِدَ فجوداً ساعات وأيام قبل أن يتم استعواضه، ليحود احتياطيها الإسرائيلي في أسس مستواه المطلوب والمقر في الجيش الإسرائيلي.

٥ - ويضلل ذلك في مُقَابِلَة القيادة الإسرائيلية كانت تعرف (بشهادة الأوراق واللفات) أن العرب في حروبهم يعتمدون على سلاح من الاتحاد السوفيتي (ولم يكن لديهم غيره مستطيع ولو نظراً إلى بقائهم إسرائيل) - لكن العرب الذين يعتمدون على السلاح السوفيتي لم يكونوا في أي وقت من الأوقات على علاقة إستراتيجية ثابتة مع الاتحاد السوفيتي، بل إنهم حرصوا أن يجعلوا علاقاتهم بالدولة السوفيتية علاقة «مُتَضَرِّية» السلاح بتاجره السلاح، وهذا

أمن قومي تُرْسِئَتْ على المستوى الوطني بالجغرافيا والتاريخ، وإنما رباطه هذه الجيوش المسق بخلق الأمور مع سُفْطَة الدولة، وسلطة الدولة في العالم العربي؛ تقليدية أو غير تقليدية (تجريبية مثلاً أو انقلابية مُرَوِّنة) هي سُفْطَة أمر واقع - أي أنها سلطة فرد حاكم أو مجموعة الأفراد يشاركون إلى جواره بنصيب أو آخر في صنع القرار، وذلك لا يعطي الجيوش العربية لفتها في قرار الصرب عندما تُتخذ السلطة الحاصلة، لأن قرار الحرب في هذه الحالة - وفي غياب نظرية أمن قومي تُرْسِئَتْ بالجغرافيا والتاريخ - تصبح مصلحة نظام بقوده فرد أو مجموعة أفراد - وتكلم - فرداً أو مجموعة أفراد - يُصنّف اعتبار قرارهم هو صيغة دقيقة لنظرية أمن قومي، ثم إن تقدير هؤلاء - في قرار أو إصرار - بنصيب اعتباره ترجيح نهاية أحداث هذا الأمن القومي، وذلك في التقدير الإسرائيلي يجعل الجيوش العربية مُتَضَمِّنة لقتال عندما تدعوها الدواعي لعارسة دورها المرسوم في ميادينها، فتكفي وهي تفعله (وفي الظروف العربية الراكمة) تُقِلُّ عليه مستجيبة لأوامر أو لاجواء أكثر منها مستجيبة ليقين مُرْسِئَ بالجغرافيا والتاريخ، وهنا فإن هناك مسألة بين الحماصة وبين اليقين، وهذه المسألة في الحماصات الإسرائيلية - تُولّو على علاقة وتُفكك الجيوش العسكرية للجيش العربية، وعلى عهد أو تؤولض هذا الجهد إلى المدى الذي تظلمه الصراعات.

٤ - فإن صنّاع القرار العربي، من منظور المئات الإسرائيلية - يقترن من قرار الصرب المسلحة شُهره، وأحياناً مُضْطَرَه، والسبب أن صنّاع القرار العربي ليس وثاقاً من أن لديه القدرة العسكرية القادرة، أو الاحتياطي الإستراتيجي الكافي، أو المجد، الدولي المضمون والمؤكّد - في حين أن صنّاع القرار الإسرائيلي يملك التعامل بلبقة وجودة مع ظروف مُؤابِية إلى قرار حرب مُعْجِدَةً إلى الأسباب كلها مُتَوافرة ومستجيبة في مواقفها.

باعتلى أن صنّاع القرار الإسرائيلي: - متأكد من تفوق جيشه في أي حرب مع العرب (ولذلك فإن حساباته هي كيفية تقليل خسائر المعركة وليس الشك في نتيجتها).

- وهو ضد اللزوم وأنه لن يستطيع استعمال كل احتياطيته الإسرائيلية في ميدان المعركة عارداً أنه يستطيع تعويض كل خسائره من ملزّمة مع ملزّمة (في أن الطرف العربي «يهدد ساليه بقدر لحاله» كما يقولون، وفي نفس الوقت فليس هناك ما يُضْمَنُ أن لديه من الأصل «دعاه»).

- ثم إنه بعلاقات إستراتيجية دولية خصوصاً مع الولايات المتحدة لديه اليقين بأن هناك حتماً أُنسِي مُضْطَرَةً يستحيل أن تنسوه بعده أي تفرد! - بينما الطرف العربي خائف في تخيلة نفسه من أنه إذا وقع الخطور مُعْجِدَةً السقوط في قرار بغير كاع.



## مع الحرب

القدر المحتاح من أوراق «بن جوريون» الخاصة، وما ظهر من أفكاره متشبهاً في يومياته، ومفكحه:

● لا تتحاش إسرائيل إلى ثارات تل على نطاق واسع في فلسطين - عليها أن تأخذ قرار التقسيم - ١٩٤٧ - كخطوة أولى، وتحاول استغلال مساهمة تلكا (وجوها) دون جراحة كبيرة، وتقدم عليها بشاة متينا لدولة قومية، يساعدها على ذلك أن قرار التقسيم الذي أنشأ إسرائيل أعانها من بشاة الدولة على أرض خلاء، فقد كان هناك في فلسطين بلد من أكثر بلدان المنطقة كثرة في السامية الأصلية - ولتأشأ في هيكل الهوية السياسية اللازمة بين في ذلك الطريق والمواشي والمطارات (وكانت هذه الهوية الأساسية (حتى من قبل قيام دولة إسرائيل) مطبوعة لخدمة اليهودين البريطانيين الإمبراطورية في منطقة ما بين وادي النيل وادي الفرات، ونخس النشأة من وقت الإمبراطورية العثمانية قبل الظهور البريطاني شرقي البحر الأبيض).

ومع أن «بن جوريون» وجد مشروع دولته اليهودية في يده حتى بنوع من المقاومة، فلهذه يتشبذ أحيانا ويتمد لجبا، كان قد علم أنه يستطيع تهمة الاخوان داخل الدولة اليهودية بينما تستطيع عدم الدولة «فهم» وبهم، ما تشفق لها وهو في الواشي غير الملمعة بداية صالحة لتأشع وإستراتيجية على ما أخطر، وكان «بن جوريون» في يده يفسر كامل باب الدولة العربية (الفاشيتية) - إذا قامت (وفق قرار التقسيم) - سوف تتهلى بصراعاتها الداخلية بين القوي والأضرب والعلقات (التي ظهرت في الحياة اليهودية) والافتقارية والسياسية والديبلوماسية، أثناء الحكم العثماني لفلسطين - ويعدده إيان الانتداب البريطاني.

ولعمرة إمكانية قيام دولة عربية في فلسطين (وفق قرار التقسيم) قدم وفاق «بن جوريون» دون تردد طويل على قيام الملك «عبد الله» ملك الأردن في ذلك الوقت (١٩٤٨ - بضمض غرب فلسطين (الضفة الغربية) بملكته، وقد وجد «بن جوريون» بعد تفكير أن ذلك «السم» إسرائيل من قيام دولة فلسطينية لتتأخر فيها القوى والأضرب والعلقات، وكان تقديره أن «الملكة الأردنية الهاشمية» التي اعتر الملك قياها بضمض ضفتي الأردن - شرقاً وغرباً - يمتثل من بعد الملكة جسر بين الدولة اليهودية وبين شرق وجنوب الشام.

أولم تلتق إسرائيل الإستراتيجية فإن «بن جوريون» حرصا لتتخذ الموقف الدولة اليهودية حصة على بشاة عدة جسر إضافية تشاهد ذلك الجسر عبر الأردن.

وقد خافه أن الأقلية العربية الباقية في إسرائيل يعن أن تكون جسراً إلى الفلسطينيين حيث كانوا.

وخطر له أن يكون «المسروق» سواء في جنوب سوريا أو في جنبل لبنان جسرأ إلى داخل سوريا ولبنان.

وخطر له أن أعطي بعض العنصر

المارونية في لبنان وقتاً لهايتها في الوقت المناسب «مشروع جسر» - مؤد إلى ميادين فسيحة من حول لبنان.

وكان حساباه أن تكون هذه الجسر كلها مفتوحة لحركة تفاعل تنشط يوماً بعد يوم، وساعد عليه «الصديق بالشباب» بغير حاجة إلى سلاح كثير أو دم غزير.



لكن قرار مصر في العصر الملكي بالإشتراك في حرب فلسطين السدي على «عالم بن جوريون» بعض حساباته، ثم حدثت سنة ١٩٤٦ أن النظام الملكي سقط في مصر، وكانت الفاجعة أن النظام الجديد الذي حل محله تشبذ أكثر في تشبذ بهوية مصر العربية والتي بقل ثقته في الشام بما خلق حالة تؤخذ عريسي زادت قوتها حين جاءت الثورة الجزائرية بالمغرب إلى قلب المشرق، وقد ذلك إلى انقلاب في الموزين داخل المنطقة وحولها، وذلك السمع الطريق لعملة قوران شديد الطمخ بأوضاع تقليدية بدت من قبل لامية ومستمرة. وفي نفس الوقت كانت هذه الحالة من الموزان الشديد سببت قرأت عفيفة جرت في الشام من نتائجها أن الجسر إلى حسيب إسرائيل طرفاً مطبوع لتسديد بالشباب راحد تنقطع. ومع أن الانقسام بين مصر وسوريا - سنة ١٩٤٧ - تمسك بأوضاع الوحدة بين مصر وسوريا والعراق - سنة ١٩٤٣ - قد ألبيت إسرائيل أن تحقيق الوحدة العربية فيها في نفس الوقت ألبيت لها أن استمرار الانقسام مستحيل، وأن تيار الوحدة العربية غالب برغم ما يجري في دمشق (بعد الانفصال)، وما يجري في بغداد (بعد تشابك الانفصالات). وقد تشبشش الإسرائيلي أن ذلك الوقت السدي في الشام قد يساعد مصر على صياغة جديدة لحركة

القومية العربية. وكانت سلسلة مؤتمرات القصة العربية التي انطلقت بالثابت سنة ١٩٤٦ - مؤشراً إلى احتمال أن تصبح تلك الصياغة شائعة إذا تحولت هذه المؤتمرات إلى مفردات جديدة لها.

ولحسن حظ إسرائيل (سوء حظ العرب) فإن ما كانت تتخبط له من مؤتمرات القصة العربية (برغم ضلالتة لاهتلا) - لم يتطرق. ولم تكن مؤتمرات القصة المتخلقة من صنع مفردات جديدة تصبغ لإعادة صياغة حركة القومية العربية من معدن أكثر صلابة.

وسنة ١٩٦٦ كان النظام الذي قام بعدد الذي قام على انقراض العرش الهاشمي في العراق يتربص خصوصاً بعد أن قام بدوره المعروف في سرقة عودة وحدة بين مصر وسوريا، أو إقامة نوع مختلف من الوحدة ينضم فيه العراقي إلى سوريا ومصر (١٩٦٣). وكانت لعملة الأردنية الهاشمية في أوضاع قلقة تتأثر تيار وطني قوي، ولم يسقط ذلك التأثير الوطني في عشان رغم ضربات موجبة وجهت إليه، لكنه اضطر إلى السكون مؤقتاً حين عثر من نفسه لهما في اتجاه سلاح الطيران الأزمني كله تقريباً إلى مصر رافضاً لمشاركة في حرب ثورة اليمن ذلك الوقت الأخير من ذلك كله (والإشارة إليه واضحة في الملفات والأوراق الإسرائيلية) هو التفصالات التي جرت في لعملة العربية السعودية نتيجة لثورة اليمن، وإبرازها في ذلك الوقت اتجاه «مسعود» ملك السعودية السابق إلى مصر غرضاً من أخيه الذي رتب لعملة عن العرش - الملك «فهد».

ولم يكن اتجاه الملك «مسعود» إلى مصر أواخر سنة ١٩٦٦ حدثاً كبيراً في حد ذاته، وكان إشارة إلى أن القاهرة ما زالت تستطيع برغم المؤثرات السديدة في العلاقات العربية أن تكون قوة جذب لا تقاوم.



### صانع القرار العربي -

#### من منظور الملفات الإسرائيلية -

«يتربص من قرار العرب المسلحة تردداً، وأحياناً مضطراً»، والسبب أن صانع القرار

العربي ليس وانضاماً من أن لديه القدرة العسكرية والقادرة، أو الاحتياطي

الإستراتيجي الكافي،

أو المند الدولي الضمون



وزاد على ذلك في ربيع سنة ١٩٦٧ أن الملك «مسعود» كان يخفسه في اليمن يحاول مساعمة الثورة اليمنية على كسب نايب قبائل مناطق الحدود الشمالية شواة لأخيه. ومع أنه كان يفعل ذلك بالطريقة التقليدية - إلا أن رتب الذبح متفاعلاً مع شداة الثورة كان يعن أن يضعن منجياً يصبغ حسابا لتفاعلاته في شبه الجزيرة العربية.

وكان أول المظاهر واضحة أن إسرائيل سوف تجد نفسها - إذا وصلت هذه الدعايات إلى نهايتها المنطقية - مضطرة إلى الصمد بالدهريون، في الشام أيضاً كما هي مضطرة له في حالة مصر، وذلك آخر ما كانت تريد.

في الشام ظلل اعتقادها أن الجراحة ليست الأزمة - والغرض يخطي، على عكس حالة مصر حيث الجراحة كانت في اعتقادها الأزمة - والغرض ليس ضرورياً.

وكان من شأن ذلك إذا ترك وقعه أن يفسد الإستراتيجية الإسرائيلية التي تريد - أن تتعاضد من الشام، على لدى التوقيل - أن تتعاضد من الشام، وأن تتسلسل لتفوق وتحتكم به بالقل قدر يمكن من التكايف حيواناً في العدو، وإما في يوم تنظلي في نيران القصة والكراهية والشر داخل البيت العربي أو داخل الحش الوحد (كذلك كانت الفنون).



ومن نتيجة ذلك وفيره قد بدأ على نحو عام أنه مع نهاية سنة ١٩٦٦ وبداية سنة ١٩٦٧ أصبحت إسرائيل على اعتقاد بأن «الصديق بالمرح المظفر» منصوباً إلى مصر له ضمان موعدة وخوئ.

ومن الممارات التي لتبرها قراءة الوثائق الإسرائيلية أن النظام السوري لحزب البعث في ذلك الوقت (وقبل الحركة التصحيحية لاحقاً الأسد) كان هو الذي يسلأ لواء المنطقة بصوريات حروب التحريض، وحقوق العودة، وأهمية الغمل «النوري» والغوري ضد إسرائيل - في حين كانت مصر هي الطرف المطالب بالحرص والحذر (وقد اختار «جمال عبد الناصر» في ذلك الظرف وأمام وفد فلسطيني يرأسه الأسد «حمد الشافري» رئيس منظمة التحريض الفلسطينية، أن يقول للجميع صراحة في نوفمبر ١٩٦٦: «سوف أخدمكم إذا قلت لكم أن لدينا خطة لتحريض فلسطين. لكن كذا شغل الآن، نحن نهمين الآن بالعودة الأولى هو أن تكون الدول العربية قادرة على الدفاع عن نفسها، مسألة حرية العمل في مشروعاتها (بضمض مياه الأردن) داخل حوضها. وأما ما هو أكثر فلأن لا أعده إلا أنه يحتاج إلى ما هو أكثر مما لدى الأمة من قوة وإرادة وحدة عمل - لكنه حين «تؤذن الحسابق» في حالة من الجمهورية العربية المتحدة في حاجة إلى من يحررها، أو يذكرها».

برغم ذلك ومع بداية سنة ١٩٦٧ وجهات نظر



## ملء

هذا النظام حصائله بعد أن يؤدّه بما يفقيه للنصر، «فكرة تفصل ما بين الانسحاب الحصري المطلوب والسيادة المأخوذ للنظام الحصري الأجنبي، ويكون هذا الفصل الأجنبي ذريعة لإنقاذ ماء الوجه لا أكثر ولا أقل»، ومعنى ذلك أن السويفية ببولارها (والفلسطين) لن تكون مع مصر إذ حاربتها إسرائيل الآن، فلهذا تأخّرت الأحوال فقد تختلف الاحتمالات!

وعيداً عن اليأس فقد بدأ في نفس الوقت أن صانع القرار الإسرائيلي منشغل بين الاهداف الحاصلة في سوريا لن الحرب، «لتأصيل الاهداف» انها ليست قادرة على التصرف، لم إن ليس له وضع خاص، والذين طرف مختلف، وإما البلاد العربية في النطاق الثاني وراء الدول العربية المجاورة مباشرة لإسرائيل، فحتمتها قائمة على أنها لا تستطيع الوصول إلى إسرائيل على فرض أنها كانت تملك وسائل جاهرة تسمح لها بالعمل المباشر مع إسرائيل، ومن الجحش أن سفارة إسرائيل في لندن كتبت (1977) تقول «إن دولاً عربية معينة لن تصاب بأهتاهن حصرية أن استطاع جيش الدفاع (الإسرائيلي) توجيه هزيمة ساحقة (نصراً)»، ولكن الأرقام والوقائع الإسرائيلية استشهداهم بعبارة مألوفة عن ذلك «فيمضون» كما السويفية قال فيها إنه «سوف يجعل من اليمن مقبرة للجيش المصري».

4- إن الموقف الدولي - في تلك الظروف - لم يصاحب القرار الإسرائيلي شكاً، وأول أسباب الملامة أن حكومة حزب العمال البريطانية أعلنت عن سياسة أطلقت عليها سياسة «شرق المتوسط»، وبمقتضاها فإن القوات البريطانية سوف تنسحب من الخليج كما انسحبت من مناطق أخرى في العالم لأن لندن لم تعد تتحمل أعباء الإمبراطورية، ولأن الانسحاب الإسرائيلي البريطاني من الخطوة المنطقية، خصوصاً قواعد الشارقة والبحرين - عمان - وقد تحيدت بالوقت، فراغاً في القوة تراه الولايات المتحدة مؤيداً موارد البترول وطرق مواصلاته - فإن الولايات المتحدة سوف تبدأ في طرق أبواب المنطقة طالبة دخولها لحدّ الفراغ من ناحية، والمصالحات في عملاء أخرى على مصالح حيوية للغرب بموجبه والولايات المتحدة خصوصاً، «والذين تراه الولايات المتحدة مسموعة ومأهية بإجراء خروج بريطانيا عن الخليج، ويقرّر دخول أمريكا في اغيابه»، وهذا النداء صادر من القاهرة، وبالتالي فإن الخطوة المنطقية للإمبراطورية البريطانية قبل الخروج هي ضدّ هذا النداء عن أسعاع العمل المنطقي (وبما تسوية حسابات السويس وإطلاق دفتارها) - كما أن الخطوة الدولية الأولى للإمبراطورية الأمريكية قبل الفعلية هي «كده» هذا النداء ثامناً وحقق حشرته إذا أمكن، وكانت الولايات المتحدة قريبة من الاقتناع بأن التعامل مع القاهرة بالدين مضيقه الوقت، وكان منطقياً بالمشقة للاتين (بريطانيا والولايات المتحدة) أنه إذا ظهر طرف ثالث، ومن قلب المنطقة، قادر

(وزار ميدياها فيها بعد) قد أدرك أنه (في الحقيقة) أمام تجربة قتال يمكن أن تفلس عليها الأحوال الحصري المصري، في اليمن، في الفارق الكبير في الحجم وفي الإمكانيات المادية والعلمية والتكنولوجية بين الجيش الأمريكي بولارها الهائلة وجيش بلد عربي 3 - يتصل بذلك أن هذه الضربة الاستباقية لمصر قبل احتمال ضربة ولقائمه منها - سوف تكون حرباً مع مصر وحدها على نحو شبه مؤكد، فذلك ما تتكلم به الأوضاع الخطيرة وأحواله.

وكان ما تخشاه إسرائيل وتخشى به وتريد أن تمنحه «هو أن «ناصر» قد يجد نفسه خجراً من حرب اليمن ينهي شؤره الجيش المصري هناك ويقتل من الشعب المعنوي والنفسي الذي يشعله هذا الجيش». ووفقاً للتقديرات الإسرائيلية فإن الخيارات الملتقطة «مع ناصر» كانت ثلاثة:

1- أن يستطيع «ناصر» بطريقة ما تحقيق انتصار حاسم يحشده له أكبر قدر من الطاق، ويهني «ورقة اليمن»، ويعتلي من حيثها.

2- «أن يصل ناصر» إلى التساق مع الملك فيصل، وذلك احتمال يُزعم أن الملك يشتره بخصموا رأى عام إسرائيل يرفع يده عن اليمن، ثم إن أحوال الجيش الذين يصارعهم الآن (وهو يزعمهم من الأصيل) غير مرضية، بدليل أنهم يفتضون الآن بإمكانه على تركّزه بدل أن يهجم بمشقة على إسرائيل (في لبنان - لبنان) والملك هو الذي يدفع لجوهره ويتكاف بسلاحهم وادماهم، بينما الزعم «البحري» معركة مع عثة الأمير «الحسن» كلاً ما يذعي نفسه أحقية في إرث أسرة «حميد الدين» وأولمها بصلحه عن والده (الأمم «أحمد»)

والثاني بالحقي يشه بمقاومة الثورة، والخيار الثالث أن تصاب جمال عبد

الناصر، بيماس كامل من أعباء النظام الثوري في اليمن، ويتركز الانسحاب تاركاً

تخلّت في سياق لكسب الوقت، فقصحت رئيس الوزراء مخطوطة سياسية لتحويل الانتظار لخطية لنفواها إلى حين لأخذ قرار، وهذا (أواخر 1977) وقف «ديسلي» أشكول» في الكتيبت الإسرائيلي يقول ما نصه: «إن رئيس مصر (يقصد جمال عبد الناصر)» يحاول إبعاد الشبهات التي تحيط ببرامج التسليح المصرية بإشارات متكررة إلى أسلحة نووية إسرائيلية، وأريد أن أعلن أمام الكتيبت أن هذه الأسلحة لا وجود لها في منطقة الشرق الأوسط، ونحن لا نريد أن نراها هنا، ولقد قلت من قبل، ولأخذ الآن، أن إسرائيل لا تملك سلاحاً نووياً، ثم إنها لن تكون اليافذة بإدخال الأسلحة النووية إلى المنطقة».

ثم تلمذ «أشكول» من مشير الكتيبت بمبادرة عامة عرض فيها نزع السلاح على الجانبين العربي والإسرائيلي، واقترح إنشاء «نظام المراقبة الثنائي بين القوى الكبرى ما هو السموح وغير السموح به في المنطقة»، ثم أعلن عن «استخدام إسرائيل للمشاركة مع العرب في نظام المراقبة الثنائي على عيال المعطوات وتحميد لوزراء العرب» في الطرقيين 4.

2- وبمقتضى ما في ذلك فإن قيادة الأركان، ومعها المخابرات العسكرية والاعنية، أخذت تشرح على أن ضربة إسرائيلية استباقية إلى ضربة ولقائية مصرية لا بد أن تحدث «الآن» (نهايات 1977) وبدليات 1977، ولأنه وجود الجيش المصري (الجيش المصري «الملك» كما تشبهه الوثائق الإسرائيلية) في اليمن، لأن الجيش المصري في هذا الوضع تقسم نصفين، بين أحدهما والأخر أكثر من النسي كيلومتر، علاوة على أن طول مدة عمل الجيش المصري في اليمن طالت (ما بين 1977 إلى سنة 1977) قاربة خمس سنوات، وقد أحدثت التجربة اليمنية في الجيش المصري ما أحدثته التجربة الليبية في الجيش الأمريكي، وكان الجفر «موشي ديان» الذي شايخ العرب في جنوب شرق آسيا

1977 كان الشعوب السائدة في مؤسسة الأمن الإسرائيلية - وكما تلتحق الوثائق الإسرائيلية - أن الوقت قد حان لتفكير في ضربة «رمح» مذكوف، «Harpoon» إلى مصر (وايس إلى غيرها) - مع الإصرار على أنه كلما كان الجرح أصعب - كلما كان ذلك أفضل!



وهذا فإنه في بداية سنة 1977 لم يُخدّ السؤل المطروح على مستوى صانع القرار في إسرائيل هو سؤال بدء به 4 - وإنما كان السؤل بدمتي 4 - لم يديف 4

أي أن عنصر التوقيت أصبح النقطة المركزية في القرار، ثم تبيّن أن سنة 1977 هي ذلك الموع مع متي 4 - وكانت الأسياب التي تفرها الوثائق الإسرائيلية مؤشدة:

1- أن مسيرع إسرائيل النووي بدأ تشييده سرراً، فتم إنتاجه من البلوتونيوم ما طاقته 5 كيلو جراماً، وفي تقرير تلقاه رئيس وزراء إسرائيل في ديسمبر من 1977 حيث «المخاطر» الإسرائيلية على برامج التسليح الإسرائيلي، وفيه «أن مشروعاً معيّن له أولوية خاصة سوف يُسمح قادراً على الأداء في ظرف شهر الصفاها نهاية 1977».

2- وأن تقرير آخر في أيلول من ذلك سنة لجدد «جرحي خاص» الفرض في هذا وسائل «مخل» «توسيل» إلى السلاح إلى إسرائيل «وهو» جد وري ضدّهم لصالح الصراخ (مضدّ الطلقة) «في خضمه لصالح صراخ (مضدّ جري تطويره بالتعاون مع شركة «ناسو» الفرنسية، وأطلق عليه اسم «جويرو» (أي «أريصاد»).

وعلى هامش تقرير «فانسائل» وُزّدت ملاحظة ضمنية تقول «أن تركيب الماطوف» - «الأداء» عند إتمام المهمة - نهاية 1977 - يمكن أن يستغرق ستة أسابيع من صدور قرار سياسي بذلك».

وعلى الفاجية السياسية فقد كان هناك تقرير لد «موساد» مراه أن هذا «المنصور» يتصّب أن يقلل سرّاً، ومن أهمه والصال كذلك أن تفضع الحكومة الإسرائيلية في حساباتها وتتذكر أن «ناصر» سبق له أن أبلغ الأمريكيين أن «مصر سوف تجد نفسها مضطرة لنشر حرب وفاقية إذا تأكد لها أن إسرائيل على وشك أن تدخل مجال إنتاج الأسلحة النووية حتى لو بدت مصر عملاً انتقامياً».

ولذلك فإن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية (طبقاً للمطامات) كان وألفة من أنها تستطيع ردّ أي ضربة وفاقية «توجهتها صوب إسرائيل» لخضر النووي، لكن حساب التكليف جعّز «بناسة الأركان» توصي أن تأخذ إسرائيل في يدها زمام المبادرة وتضرب، وتخشاري في التوقيت ولا تتلقز غيرها بفرسه عليها، وذلك الجبب المنطقي الزائدة لهجوم مصري هناك يمكن «وه واجباها» - أهتة سوف يستوفى ضرائبه قبل جرائمه من تحقيق طلبه! - ويشك ما فإن المؤسسة الإسرائيلية





## مع الحروب

على الشغل فقد ينقسم مناسبا ان كثر له الفرصة ليقوم بترع إثر التحل ويترك لهم الخسلة بعد ان يقطع لنفسه قسما منه.

ولد وتر تعمير «إثر التحل وشكعه على لسان الوزير «المخضرم» أيامها «إسرائيل» جالياني في مناقشة لجلس الوزراء المخضرم جرت (مارس ١٩٦٧) في بيت «إيلي» «شكول»، وسجلته صاحبة البيت «مريم

اشكول». رواية شاهد أصلي. والقرين الزئي للمقول على هذا الأساس ان شزع «إثر التحل» (استيلاء عسله) يجب ان يتم قبل الموعد المقرر استيلاءه «شرق السويس» والتي يتحقق بقلتها من إكسحاب الاسرايرى البريطاني من الخليج قبل سنة ١٩٦٨.

هـ - وكان هناك باتريادة على ذلك كله سبب أخسر يرة على السؤال: «متي؟» بواب: ١٩٦٧هـ. ومخلص هذا السبب ان

إبراهيم التميمي المصري غير التقليدي يكلف جهوده في مجال الصواريخ. وقد ساعد للمخابرات الإسرائيلية ان «مصر» عرفان بان السبب الإسرائيلي في الجبال النوروى زادت وتيرة، واستعدت المسألة بينه وبين المشروع

الإسرائيلي في معظم التقديرات (المطارة في اللغات) بما يكثر بلسان أو ست سنوات مصر إسرائيل. وتربط على ذلك لسان

«صالح» (كما رصدت أجهزة الأمن الإسرائيلية) قررت سنة الجيوب بتفتيت إنتاج الأسلحة الكيميائية والجروموية لتكون رادعا ضد لخطر النووي. - على أن

كفاءة سنة الجيوب كانت لاتزال متوقفة على قدرة مشروع الصواريخ المصري على حل مشكلة الأساسية وهي مشكلة دلة جهاز

التوجيه. ثم كان ان غنمت المخابرات الإسرائيلية انه بعد ان جرى تخفيف عدد من العلماء الألمان

(ودفعهم إلى السفر أو إلى البري من مصر. وعلى رأسهم الدكتور «وولفجانج بيلز» الذي قصد إلى الصين ووضع خبرته تحت

تصرفها) - ان الفكرة بدأت في بحث مضطمة لجهة التوجيه مع الاتحاد السوفيتي. واستخدم مع عناصر في وزارة الدفاع

السوفيتية يسجعهما المايكوال «أنديو» جريتشكو، وزير الدفاع، والاميرال «جورج شوكوف» قائد الاساطيل السوفيتية، كعلما كان شديد الاهتمام والجرحى على البحر الأبيض والبحرين من البحر الأحمر إلى القرن الأفريقي إلى المحيط الهندي.

وكان التسوف الإسرائيلي من «ان المارشال والوزير - كليهما أو أحدهما - قد يمارس ضغطا أو يقوم على مسئوليته بمبادرة تؤدي إلى حل لعضة إلى حل مضطمة جهاز التوجيه في الصواريخ المصرية. ومن

ثم كتمسب إسرائيل التوجيه الدرع المصرية مدافعية في اعطائها على الأسلحة الكيميائية والجروموية كنوان ومعادل - ولو مؤقتة - للثقلية الإسرائيلية.

كان ذلك جعل الأسباب التي وضعت رقم ١٩٦٧، مرمويا ومحمويا أمام عيون متابع القرار الإسرائيلي وقتها - كما تقول به اللغات والأوراق الإسرائيلية



## ملاسيات

■ إلى جانب الأسباب التي اعتدت لعدد سنة ١٩٦٧ أهمية خاصة، تواجبت ملاسيات تفتت في الأخرى - وكما يتبع من اللغات والأوراق - في اتجاه نفس تقويع

يحيث أصبح هذا الموعد نقطة لفاء لاتجاهات كثيرة تنقطع نحوها بآسيابها وبواعيا: أولي الملاسيات ومن اكثرها تالير على

مسار الحوادث ان الخلافات استحكمت في إسرائيل بين القيادة السياسية التي يمثلها رئيس الوزراء «إيلي اشكول» وبين القيادة

العسكرية التي تشككت فترة إنشاء الدولة على سلمه في رئاسة الوزارة «إيليد بن جوريون»، وتلك علاقة تربط كثيرين منهم باستادهم

فراخوا ياترمون باسره رغم إبتعاده عن السلطة، وكان الجنرال «موشي ميان» من الأول على كسالة الجنرال في هذه المدرسة، والأث

أصبح هو المخزن من وراء ستار في الضبط على رئيس الوزراء الجديد، وتحولوه بطالب للمؤسسة العسكرية وصنعت به مرات إلى درجة

الغضب وتقعته في إحداهما إلى ان يطلب من زوجته «مريم» ان تسجل نكاحه في مذكراتها رسالة اعترضا نوعا من الوصية. وقد

سجبت «مريم» في مذكراتها بالقلع عن زوجها قوله: «مريم: سجلي انني أول رئيس لوزراء إسرائيل أجري هذا المنصب من خارج

الجيش ويعيدنا عن نزوة الملش. ولوق ذلك فإني أول رئيس وزراء لايعل ان يكون لعبة في يد العسكريين. أيلتها كان «اشكول» قد

عاد من مكتبه شرقا وفي مزاج تفعه إلى ان يقضي زوجته بهيموه (وكانت «مريم اشكول» هي الزوجة الثانية لرئيس الوزراء، وكانت سكرتيرة لخدمة التفتيت حين تعرف

«اشكول» عليها وأخيرا وثرقها (رغم فارقي في السن بيسع عمره شبعف عمرها). وبالقلع سبكت «مريم»، وولخت شهادتها الشكبة في وثائق الدولة اليهودية وملفاتها وأوراق.

لكن الخلاف بين «اشكول» وبين المؤسسة العسكرية زادت القلعة عندما راجع مجلس أمنه اعوانه العسكريين يقتلون أيضا ليعلم بينهم حول طلباتهم من السلاح. وكذلك لقتال

الجنرالات «إسحاق رابين» (رئيس الوزراء)، «دايزن وايزمان» (قائد الطيران)، و«حاييم بارليف» (مدير العمليات)، و«هارون ياريف» (مدير المخابرات العسكرية)، وإسرائيل تال» (مدير القوات البحرية).

ثم بدأت الأمور تتغير. وقد خلس طليخا حين اتفقوا جميعا - ورغم خلافتهم - على طلب واحد قدموه إليه وهو «مطل مشروع مخون» (منع القنبلة الذرية)

من رئاسة الوزارة إلى اختصاص جيش الدفاع. وعندما حاول رئيس الوزراء تنكيرهم بأنه هو نفسه وزير الدفاع، وأن ألبدا المطلق

عليه من الأصل هو ان يؤمنش المشروع اللعينة تحت اختصاص رئيس الوزراء، فإن الجنرالات تسكوا برأيهم. وحججهم ان هناك

فارقا بين وضع مشروع في مرحلة الإنشاء التي يشرف عليها الوزارة ولزيادة عسمة وإضفاء اكبر قدر من قوة الدفع السياسي

إبراهيم التميمي المصري غير التقليدي يكلف جهوده في مجال الصواريخ. وقد ساعد للمخابرات الإسرائيلية ان «مصر» عرفان بان السبب الإسرائيلي في الجبال النوروى زادت وتيرة، واستعدت المسألة بينه وبين المشروع الإسرائيلي في معظم التقديرات (المطارة في اللغات) بما يكثر بلسان أو ست سنوات مصر إسرائيل. وتربط على ذلك لسان «صالح» (كما رصدت أجهزة الأمن الإسرائيلية) قررت سنة الجيوب بتفتيت إنتاج الأسلحة الكيميائية والجروموية لتكون رادعا ضد لخطر النووي. - على أن كفاءة سنة الجيوب كانت لاتزال متوقفة على قدرة مشروع الصواريخ المصري على حل مشكلة الأساسية وهي مشكلة دلة جهاز التوجيه. ثم كان ان غنمت المخابرات الإسرائيلية انه بعد ان جرى تخفيف عدد من العلماء الألمان (ودفعهم إلى السفر أو إلى البري من مصر. وعلى رأسهم الدكتور «وولفجانج بيلز» الذي قصد إلى الصين ووضع خبرته تحت تصرفها) - ان الفكرة بدأت في بحث مضطمة لجهة التوجيه مع الاتحاد السوفيتي. واستخدم مع عناصر في وزارة الدفاع السوفيتية يسجعهما المايكوال «أنديو» جريتشكو، وزير الدفاع، والاميرال «جورج شوكوف» قائد الاساطيل السوفيتية، كعلما كان شديد الاهتمام والجرحى على البحر الأبيض والبحرين من البحر الأحمر إلى القرن الأفريقي إلى المحيط الهندي. وكان التسوف الإسرائيلي من «ان المارشال والوزير - كليهما أو أحدهما - قد يمارس ضغطا أو يقوم على مسئوليته بمبادرة تؤدي إلى حل لعضة إلى حل مضطمة جهاز التوجيه في الصواريخ المصرية. ومن ثم كتمسب إسرائيل التوجيه الدرع المصرية مدافعية في اعطائها على الأسلحة الكيميائية والجروموية كنوان ومعادل - ولو مؤقتة - للثقلية الإسرائيلية.

وراءه ومن حوله - وبين ان نكاحا هذا الإشراق وضعه نيكاحا وداعا، لأنه وقد فارق المشروع درجة شدة (أي قارب الاعتقال) - فإن «هذا السلاح» بدله ان يأخذ مكانه من غيره من الأسلحة. هذا مع التسليم بضرورة إبقاء

استعماله شدة «زهوة» بقرار سياسي، وكان دة «اشكول» ان «كل سلاح مقيد بقرار عسكري وليس فقط ذلك السلاح «المخون» - وبالتالي فهو لا يراى الآن باعيا للتفسير.

وأصارت المؤسسة العسكرية. ولم يكن «اشكول» «شككتا لحل وسط. [وربما بعد لاسكول» وسوعسدة ١٩٦٧ يطرع نفسه على الجميع - ان الحل

الوسيط المتونجي يكمن في توجهه ضربة إلى مصدر التهديد السياسي الإسرائيلي، وهيئت تشكيت الصاعدة إلى نكاح ان الخصاصات القنبلة الذرية - في الوقت الراهن على الأقل.]

□ وكان الجند الثاني في الملاسيات - الإسرائيلي على مفرنسا أصبح مثيرا للارتجاج يوما بعد يوم.

والسبب ان الجنرال «شارل ديجول» رئيس فرنسا لم يمتد يلفسي ضيقه بالسياسين الأمريكية واليونانية، بل تحول الأمريكي في جيتاج تأسيا إلى الضد الذي جرى في ختامه كان يثيره أشد شكوا

تصاف إلى هواجسه العسكرية - والمطشرة - في أن الولايات المتحدة وولت بالفعل إسرائيل فريشا. ثم إن فرنسا لم تكد قادرة

بسبب عراقيل - أمريكية - على أداء ما يتفهمه الجنرال «دسانالو الحضارية» إزاء الشعب التي ارتبطت به سابقا (في شمال أفريقيا - وسوريا وإلبن) - بالإضافة إلى جنوب شرق

آسيا وفي قلبه فيتنام ولبوس (كمبوديا). ولها يتعلق بالشرق الأوسط قد فئسي

الجنرال «ديجول» انه «القلم» آخر يهم فرنسا، لكنه يرى الآن عسطة تورييه - سياسة شرق السويس - من الإمبراطورية البريطانية إلى الإمبراطورية الأمريكية - بينما

باريس لا يرى لها ولا مشورة تطلب منها. وزيادة على ذلك فإن «ديجول» الجلمش ببعرض أوروبا المؤدة - مثقلة في مشروع السوق الأوروبية - لم يكد يتغير ان بريطانيا

ما زالت جزءا من أوروبا. بل إنسها على قبل عيرها لم تكد تخفي بربها كذلك، فقد تضرعت طول سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت مركز على هذه الناحية من المحيط الأمريك الشمالية (كولومبيا المتحدة).

والهاجس الذي بدأ يترق ملتي إسرائيل في باريس «ان قصير الإيزرية (مقر الرئيس الفرنسي) بدأ يؤججه استلة لوزارة الدفاع

تكن تسع من قبل، ويطلب إيجار بيطرية غير معاداة (حتى من شركات منتج سلاح مثل شركة «مادام»)، ويبدأ من لفرقات قصر الرئاسة ان الجنرال «ديجول» متساو شوك



## موسكو

اتجاهها، فأراد القيايدات التي قادت معركة الاستقلال الوطني، وأولهم «باريس لومومبا» في الكونجو، و«واما ايتروما» في غينيا، و«أحمد سيكوتوري» في مالي، - يخطفون من الساحة بالاعتقال والانتقال، وبالشحوب موجودة في كل هذه العمليات، فلما جرى لظروف اغتيال لومومبا، وظروف الانقلاب على «نكودا» - ومن وراء الستار في الظروف الضاغطة على «سيكوتوري» و«كيتا»، والخلق الإسرائيلي - على الأقل ما وصل إلى منها - لا تتحدث عن مشاركة إسرائيل مباشرة في هذه العمليات الأفريقية (لها عدا عملية اغتيال «لومومبا»، لكن السعادة التي تعكسها الآن والنفات توحى بأن إسرائيل في هذه «الأفراج» لا تكن مجرد مدعو فيها وإنما هي ضمن أصحاب الفرح ! وفي إشارة «دايتريز» لومومبا تشير فقرة في مذكرة عن السياسة الإسرائيلية إلى أن «لومومبا كان يُعتبر «ناصر» استثناءً ولمهمه». ثم تقول عن «الفرقاء» إنه «الفرقاء الذين كان صديقاً لنا في القصة «ناصر» بتغيير رأيه عندما قدم له إسرائيل بوصفها مشروعاً استيطانياً ضارياً من نوع «الترابز» أو «الريكانس البيض في جنوب أفريقيا».

وهذا حين دفتر من الدوائر الهامة التي تصبغ بمصر منذ مع نهاية سنة ١٩٦٦ طبيعة البلاغات ومشكلة، لكن السؤال المخرج هو هل يتمسك هذا الوضع أو تتجسج السياسة المصرية على نحو ما في تغطية مواضع الانكشاف؟

وكان كونجول الأخير في الليكبة على سودة سنة ١٩٦٧ - هو ظهور حركة المقاومة الفلسطينية «فتح».

وتتطرق في الوثائق سنة ١٩٦٦ ان العمليات المصرية والحمدية التي قامت بها للقوة الفلسطينية سواء من الأردن أو من سوريا سببت قلقاً زائداً لإسرائيل، لكن بعض الإشارات بدت مُخْمِسَةً من تأخير هذه العمليات على منظمة التحرير الفلسطينية (إلى انشائها مؤتمراً القصة العربي الأول [١٩٦٤]، «الخوف من أن الغلغل القادق ان يؤذي» «مشيرها» وإلى جانب ذلك قد هناك التقارير لتحمل لهذه العمليات على المواطن العربي، الذين يعيشون داخل حدود دولة إسرائيل، وأخيراً - وهو الأهم فيبدو من كل الإشارات في الوثائق - فإن عمليات المقاومة الفلسطينية راحت تؤثر على العلاقات بين إسرائيل وبين «الأمم» «حسين» ومعلته الأردنية الهاشمية.

وقد جاءت الفقرة التي قام بها الجيش الإسرائيلي على قرية «السوم» الأردنية (جنوب الخليل) انتقاماً من عملية قاذية محدودة على تشكك صعوبة المسار الذي يتعرض لعلاقات إسرائيل مع الملك «حسين»، وفي حالة الفقرة على «السوم» (١٣ نوفمبر ١٩٦٦) فإن رئيس الوزراء يلمح لشكوك، وأتى على قيام القوات الإسرائيلية

وفي دورة اللجنة المركزية في سبتمبر ١٩٦٦ رفعت «كوسيجين» يطالب بضرورة إعادة تقييم السياسة السوفيتية في العالم العربي على أساس من الأرقام وأيس على أساس من الأوصاف الخطاطة التي تقبل للتفسيرات الواسعة للحزب وللعجش! وكانت إسرائيل تحسب أن الفقرة التي يلمحها «بريجنيف» سوف يبرجس رأيها، وإن استخدام النقاش حول «دراسة الجنود» وحساب التكاليف قد يفتح نافذة أفرصة لتلق يدخال التدخل في الشرق الأوسط - لأن هذه النقطة قد تُقْلَع في زمن قريب، ومن ثم يكون هناك إجماع داخل القيادة السوفيتية على خط مؤيد وقد يكون مؤيداً دون تردد للمصر.

وكان البند الرابع ضمن الليكسات - في الإصحاح على سودة سنة ١٩٦٧ - أن الفترة ما بين سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٦٦ شهدت توتراً لم تراجعا في مسيرة حركة التحرير الوطني التي كانت مصر تقوم فيها بتدور رئيسي وتجربها واحداً من مصادر طاقتها الحيوية في حركتها الدولية. فقد تولى «جواهر لال نهرو» والتقى أعمال لخصه «العينة» «موراجي» «بداي» و«كان لخصه إسرائيل في «موراجي» بالغ التقاطع وإثراً لبيت «موراجي» وعقبه مرة ومرة كل شهر.

(وإن هذا الفصل الإسرائيلي يُجْمَل في كل واحد من تقارير «عجبا» «موراجي» بالتحريز الإسرائيلية).

وفي نفس الفترة كان «أحمد سوكارنو» مضيق مؤتمراً «بانونغ» الشهير بوجه شبه حصار قبرص عليه الجيش الإندونيسي، بينما فضيلة إسرائيل في «هونج كونج» تراقب وتتابع من قرب ما يجري في إندونيسيا.

(وكانت وفاء المخابرات المركزية الأمريكية قريبة، ولكن وكيفية من هونج كونج).

وكانت رجاح التغيير في أفريقيا قد عكست

في «الخيال المطلوب أولاً باعتبار الرغبة»، وأما نحن فإننا «الخيال البالي باعتبار الضرورة»!

ماذا تقول في هذا الذي سمعته منهم [٢٤]

والوثائق الإسرائيلية فصيحة في الإشارة عن حجم ما كان مؤثراً لإسرائيل من مصادر المعلومات في موسكو رغم أن سفارتها هناك كانت تحت المراقبة (حتى المقات في ظروف حرب سنة ١٩٦٧)، لكنه من الواضح أن إسرائيل كانت تتابع بكفاءة ما يجري في الحزب وفي الحكومة وإلى حد ما في «ك»، وربما أن الواقع الذي ظل غصصياً عليها - إلى وقتٍ مُضْطَر - هو وزارة الدفاع ومؤسساتها.

وهو على سنة ١٩٦٥ و١٩٦٦ تبدو الوثائق الإسرائيلية وتركيزها على السياسة السوفيتية تدور. وفي تلك الفترة - وكما يبدو من الأوراق والمقات - فإن المخابرات الإسرائيلية كانت مأخوذة بتداعيه ما رآته خلافاً بين مرتدين في القارة السوفيتية الحاكمة:

● مدرسة يوتوما «لويديز بريجنيف» رئيس الحزب، وهي يتناحروا «موراجي» العسكرية التي يوتوما «جريتشكو» ترى أن السياسة السوفيتية في العالم العربي كُتِر تكاليفها وزاد ما تحلقه من مزايا إستراتيجية واقتصادية وعسكرية وأمنية، وهذه المزايا لا تقتصر على الشرق الأوسط وحده، لكنها منه وأصلها إلى أفريقيا وإلى شبه القارة الهندية.

● ومدرسة يوتوما «البيسي كوسيجين» رئيس الوزراء (وهو في الأصل مهندس) ترى أن السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط زادت تكاليفها من كل حساب، خصوصاً أن ثؤلكرية في «المجموعة الإثرائكية» حتى في أوروبا - اقتدت تشكو من أن تعاضل موسكو مع «البيد» أكثر كرمًا منه مع «الآر».

وكانت رجاح التغيير في أفريقيا قد عكست

في إسرائيل تتصرف داخل «المؤسسة» الفرنسية، معتمدة على مسالك تعزلها وعلى مواقع مؤالية لها حتى في جمهوريته الخامسة.

وكانت إسرائيل (وهو واضح في الأوراق والمقات) تتشأن «ديجول» يتصرف بتدابير أنها (إسرائيل) ملحق بالتحالف البريطاني (الخارج) من شرق السويس والأمريكي (الداخل) إليه، وقد بذرت من الجبرال إشارات يمكن تفسيرها بوجود نزعة لديه تغريه بأن يتخذ لفرنسا سياسة مستقلة في المشرق العربي. وعندما وجهه الجبرال «ديجول» دعوة خاصة إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» لزيارة باريس (قام بها الأخير «عبد الحكيم عامر» «يابة عنه» - فإن تقديرات وزارة الخارجية الإسرائيلية توصلت إلى أنه «يصعب على فرنسا أن تضع نفسها خارج التحالف العربي الأوربي مهما كانت حسابيات الجبرال «ديجول»، وأن صفراً ما يمكن أن يصل إليه الرئيس الفرنسي في الواقع الإستراتيجي الأتسبي هو «أن يُعْمَر بحرية الخطاطة عما لا يقدّر عليه بحرية الغل».

لكن صانع القرار، خصوصاً إذا كان فرار الحزب والبلاد - كما عليه أن يضع إشارات الجبرال «ديجول» يفتقني ما يلحظه منها، وذلك كان يصل إلى أيدي ياديه الخشبي منها تُصْنِيع الوثائق الإسرائيلية كخطر إغراق الأيوب - أو حتى مؤاربتها - على غلغلتي نارة النسيم!

وكان البند الثالث ضمن الليكسات - الملحة على مع سودة سنة ١٩٦٧ - أن إسرائيل اختست ومنذ منتصف سنة ١٩٦٥ أن هناك مناقشات جادة تدور في الترميل حول السياسة السوفيتية في العالم العربي، وكان بين مؤامرات الانقلاب على الزعيم السوفيتي «نيتشاسا شتروفيك» في أكتوبر ١٩٦٦ - إصرار الزائد ليعما قدته للحزب، وقد أُنْهَم بأنه ربما مؤامرات السوفيتي بإعداد مساعدات اقتصادية وعسكرية لضخ مصر والجزائر وسوريا والعراق واليمن، ثم ومن إلى ترقية الهرطقة بأن الهدى وسام ويطل الأصداء السوفيتي، في سنة واحدة لثلاثة من انداسة العرب (بين بيللا وجمال عبد الناصر، و«عبد الحكيم عامر» - نون استنطاق غلغلتي بيرو، بل على العكس فإن الثلاثة كانوا من «الأمم» المتخضعين في مُعارة الشيوعية.

وكان ذلك السراي رائجاً في موسكو بالفعل تلك الأيام، وأتذكر مرة في الترميل وإثناء حوار مع وزير الخارجية السوفيتي «أندريه جروميكو» أن قال لي: «لو شكاً أو مؤان: [أصل تصرف ماذا يقولون لنا؟] يقولون إن غرامك الأول هو أمريكا، وعندما لم تبادلكم أمريكا الغرام وأخارت غريمك فقد كنا نحن (السوفييت) «توابع» الصلحة الذي فرضته عليكم الظروف. يقولون لنا إنكم متحيزين من «أمريكا»



## عندما وجه الجنرال «ديجول»

دعوة خاصة إلى الرئيس «جمال عبد الناصر»  
لزيارة باريس فإن تقديرات وزارة الخارجية  
الإسرائيلية توصلت إلى أنه «يصعب على فرنسا  
أن تضع نفسها خارج التحالف الغربي، وأن صفراً ما يمكن أن يصل إليه الرئيس الفرنسي  
هو أن يعبر بحرية الخطاطة عن  
لا يقدّر عليه بحرية الفعل»







## موضوع

الديني الذي يحلم بخلافة جديدة تقوم على الكتاب والسيف!

٢ - أن حركة الولاية العربية في نهاية المطاف قوة تحديث في العالم العربي، وأن العصر التقليدي للعالم العربي لا يتخلل إلا على العكس فإنها سوف تأخذ منقلة الشرف الأوسط كلها إلى الهواء، وهذا يحولها إلى ساحة فراغ يراد على الاحتلات.

٣ - أن مشروع «ناصر» الطموح ما زال مفتعاً، «الفرافرة» بأن يدفعه نفسه في مصر «تؤتج» من الشغل في شئون بلاد أخرى، إذا ولت الولايات المتحدة بوعدها لمساعدته في عملية تحديث شاسع أحلامه، وتطفي على «أوامره الإمبراطورية» (تلكاد كان شخصاً الولايات المتحدة حركة القومية العربية).

في الواقع أن الدراسات لم تؤلف من «مذكرات جونسون» حتى قرب الخطة الأخيرة «بان ناصر» في كل ما قام به كان في موقف «دافع الفعل» وليس «الفعل» - كما كان في «مناقشته للاحتلال البريطاني لبلاد» - وفي تأميمه لمقاة السويس، وفي الترويج عن الخلف بالمشرق إلى التقدم سواء كان ذلك بالنقد الصالح الذي دارت حوله معركة السويس، أو ببرامج التصنيع التي تبو «مخططة» لبلادها، وحتى «فرع ناصر لنين» «ما سُميت الوثائق الأمريكية» فإن المدرسة «المشرقية» في وزارة الخارجية اعتبرته نوعاً من «الدعوة إلى ممارسة الانفصال بين سوريا ومصر»!

٤ - أن الخلف علناً «في» «ناصر» قليل «بان يحول» «المشرق العربي» إلى شلال أن يهرع غداً للولايات المتحدة، وقد أعلنه أن الولايات المتحدة سوف تجعل نفسها المعو (١) لإقامة العرب، في حين تتراجع إسرائيل إلى دور العودوم (٢)، وقد وضع لصاحبه فيه له، فضلاً عن أنه خطر محقق على المصالح الأمريكية في المنطقة وعلى أعباء الأمريكيين فيها، وحساب ذلك سوف يوضع عليه (جونسون) شخصياً في حال وقوعه - بل إن التهديد الانشائي منه وإصلا بالتأكد إلى المصالح الغربية ومواطني دول الغرب جميعاً، وذلك سوف يتسوجب أولاً للولايات المتحدة حتى من أقرب أصفيائها وأخصها خلافاتها.

٥ - أن مثل ذلك أيضاً سوف يؤدي للإساءة إلى صورة الولايات المتحدة في العالم الثالث نظراً لصلقات «ناصر» القوية في الهند وفي الصين، ويصفه عامة في آسيا والبريما - ومرة الولايات المتحدة لا تلتاح في شؤره زائد أن يفتقد تكلت بما هو كافي واكثر.

ويتوقف الآن هنا الاستشهاد (المحلفة واحدة) بالوثائق الإسرائيلية [

ثم تعود الوثائق الإسرائيلية (وهي موضوع هذا الحديث أصلاً) لكشف متاعبة إسرائيل في سرب زلزلة قام بها إلى

«المصار» في أوجها - لأن أسلاف الخلف بين القاصرة وشطن زادت وتراكمت فوق بعضها، وانحوت إلى «قطار» واحد متحرك، وهو في حركة يشتر وراهل كل حمولة: من رفض القاصرة للاحتلال العسكرية - إلى إقامه رغبتها لمشروع «أيزنهاور» - إلى إقامة علاقات قوية مع الاتحاد السوفياتي، ضمنها صفقات سلاح متزايدة، إلى بناء مشروعات ذات التا يعيد للمد (الأسد العالي) - ثم إلى تلك الأزمات التي تشعل مرة وتخبو مرة بين النظام السوري والقاصرة وتظم تطبيقه صديقة للولايات المتحدة وشعثمة عليها في الصمالية - ولدى هذه التكم مصالح يتناول أصبحت مكشوفة عندما تتصلق تواجد مصرى - سياسي وعسكري - في شبه الجزيرة العربية بعد ثورة اليمن.

ثم أخيراً - وبأولي الواقع ضمن هذا الطلل المحرر بكل حمولة التي خط واحد - فقد كان هناك لأخص صرح عبد الحفيظ صبح - وسلم مع إسرائيل تتصق نحو منطقة الشرق الأوسط تخريصة جديدة بالكامل (أمريكية - إسرائيلية في الواقع).

على أن «جونسون» لعل حتى قرب نهاية سنة ١٩٦٦ يحاول مع مصر، ويشجعه على استمرار المحاولة - وتأجيل الضيق وفقاد العصر (من وجهة نظر أمريكية) - مدرسة «مشرقية» لها مجموعات مؤثرة في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، وحتى في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (وهذه مدرسة تخضع لها الوثائق «الإسرائيلية» صفحات بعد صفحات مؤثرة تقود لها باكثر من الحقيقة، وحاملة على البريما - كما تسمى ثم - باكثر ما يستحقون، ومخططة لهم إلى درجة المظردة - أحياناً بالشرع ما هو إنساني -) وكان ملخص آراء هذه المدرسة «المشرقية» الأمريكية: ١ - أن البديل لحركة القومية العربية إذا تفرقت في القاصرة وحادث من اثنين: إما التنازل الشيعي الخوالي للكلال لموسكو، وإما التنازل

إسرائيل. ونحن نعتقد أن سياساتكم الخاصة بإبقاء «ناصر» في الخلاط بشأن خططكم سياسة هشة إذا فورنا بالخطر التي قد تتعرضون لها. إنما أيضاً نخشى أن يستغل «ناصر» جهودكم النووية - حتى لو طغاه جميعاً بأن مقاصدها سلمية - في الاضرار بإسرائيل، وتعميشة العالم العربي ضد مخاطر وجودها. ولقد سبق لنا أن لخطرتنا بنسب من هذا القبيل، لكن الواقع يكد ذلك قد يفرض احتكاماً آخرى.

وفي ١٥ أبريل تطلع الوثائق الإسرائيلية رأياً من «الفلوك» إلى «جونسون» يقول فيه ما نضمه: «إنك لا تستطيع أن تلتصق مدى اكتشاف إسرائيل ولتزعجها، فالجبال الجوية للبد محصور، والتكس السكاني فيه مركز في منطقة محدودة تجعل خطر أي هجوم مفاجئ سيادة حياة أو موت - وأريد أن أصيب - بكل أماته - إلى ذلك أن تخيد متاعبة تقدمه لما الولايات المتحدة لا يكون كافياً عندما نصلحه. ونحن لانمانع من أن يستنتج من ناصر، ما يريد أن يستنتج بشأن ما تقوم بصفه، لأن قوة الردع الكاملة فيما بينك من نضته سوف تفل فعلها باكثر من أي اعتبار آخر.

[غات الولايات المتحدة الأمريكية - طبقاً للوثائق الأمريكية وليس الإسرائيلية (المحلفة واحدة) - قد مثلت مراحل متعددة ومختلفة في علاقتها مع النظام السوري في مصر: في البداية وفي عصر «أيزنهاور» كانت هناك مرحلة من «الغفوية»، وبعد السويس، وفي أعقابها تطلت الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط بقطبي مبدأ «أيزنهاور» (رياني ١٩٥٧) - وكانت تلك مرحلة من «الاحتواء» وفي عهد «كينيدي» كانت سياسات البيت الأبيض مزيياً من شريك في «الغفوية» والاحتواء» - بعد مصها بمرحلة «المصار» وعندما جاء «جونسون» كانت مرحلة

«اشكولة» في عزام زوجته الخاتبة «مريم» (هي ٣٥ سنة و ١٦)، وقد نسى لأول مرة في حياته (على حد قوله) «وجونسون» في غرام «ماتيلدا كيريم» (هو ٦٥ سنة وهي ٣٤)؛ وهي نعمة مجتمع يهودية كانت بالفعل حميلة (كما يصف الذين عرفوها).

وبما كان ذلك كله صحيحاً، لكن دوره في الغاب كان من تأليب «عالم كيميائي مساعد» (Catalyst) لتحقيقه أن الأوراق تؤكد ذلك الاستثنا ولعل التوافق بين شخصيتي الرجل فعل فعله لأن العوامل الموضوعية في التعامل بين أبليدين (الولايات المتحدة وإسرائيل) دعت إلى تقارب كبير (ومن هذه العوامل الموضوعية تراجعا عليه من المعاطف النفسي، والتأخفي السياسي، والتمثال المؤسسي مريد إسرائيل بالوات المتحدة) - ولا دفعت كلها إلى ضرورة الفعل المباشر في توقيت محدد بالباد آراء «فهد محد بالاد في منطقة محددة باليات. تميز مصالح حيوية لأحدهما (البرتول للولايات المتحدة) - ويؤكد أصل الثاني (وهو أنس معنى التقوى والتواضع) ■



## السماءات

■ وفي نهاية الفترة التي حدثت فيها التلفة الموعبة في المحاللات بين إسرائيل والولايات المتحدة (توافق «اشكولة» وجونسون) - بدا واضحاً من الوثائق الإسرائيلية أن الرئيس الأمريكي لم يتخضع بعد لتي يمش إسرائيل «حرية العمل» في الشرق الأوسط - بما إلى ذلك إدخال السلاح النووي إلى المنطقة

وفي للغات الإسرائيلية رسالة من «جونسون» إلى «اشكولة» بتاريخ ١٩ مارس ١٩٦٤ يقول فيها ما مضه

«إنني أعتقد بأن سبب إسرائيل إلى صنع سلاح نووي يعن أن يردع «ناصر» عن جميعها، والعكس قد يكون هو العوض والمعلومات المتوافرة لدينا تظهر أن «ناصر» يخشى من احتمال قيام إسرائيل بصنع سلاح نووي لأنه سوف يجد نفسه في هذه لحظة أحم جاريين - الاندفاع بكل قوته في تطوير برنامحه امحسكي.

■ أو «المعاصرة بضربة وقائية صد إسرائيل حتى ولو كانت بالأسد» - وكلا هذين الاحتمالين مؤثر على أمن



## مع الحروب

الولايات المتحدة - رئيس مجلس الأمة المصري «أنور السادات»، وهو عضو في مجلس قيادة الثورة وواحد من «أعوانه وأصدقاء» جمال عبد الناصر».

وفي برنامج «زيارة «أنور السادات» لواشنطن فإن الرئيس «ليندون جونسون» اجتمع به لأكثر من ساعة، وصادف اللقاء معه في البيت الأبيض.

وطبقاً للوثائق الإسرائيلية (بإذات) مجموعة لمخلفات لوفاتج جاسات مجلس الوزراء المصنّف برئاسة «اشكول» (ديسمبر) فإن «جونسون» وُجّه إلى «السادات» تحذيراً شديداً طلب منه نلّه إلى الرئيس «ناصر» مسؤولاً أن الوقت قد حان لكي تراجيع الجمهورية العربية موافقها من الولايات المتحدة وأصدقائها. رئيسه المصري «نصري» تربط معها بتاريخ طويل من التماثل المتمر للفرقة، ويذهبها آمن لا يسبيل إلى التحليل منها. ثم إن مصر عليها أن تُخفّر سبيلها عنها بغير ما إسرائيل - وإن «تكد» عن إرفاق نفسها وبقربها ببرنامج تسليح تؤدي إلى زيادة التوتر في منطقة لا يتفقها غير السلام وأونه السلام بين إسرائيل، وأخيراً فإن تعاون مصر مع الكتلة السوفيتية قد «يقدها» في أسلحة الحرب لكفّه لن يساعدها في ضرورات السلام. أي جانب أن «تعاظم» الحرب القاهره مع البعثيين يشير هسيق الشعب المصري. وإن هذا التصديق هو الذي دفع به إلى «الوثائق الموقّعت» لتسلّحات مبيعات القمح الأمريكي لمصر وفق القانون ٤٥٨٨.

ثم أخيراً «جونسون» قائلًا أنه لود السادات، (وفق لمخلفات) خاضع مجلس الوزراء الإسرائيلي المصنّف إنه «في الفترة القادمة سوف يراقب ما يجري في المنطقة ويأمل أن تجد الأطراف وسيلة للتصوّر بحكمة وتصبر».

«وفيما عرف فإن السيد «أنور السادات» قدّم بعد انتهاء حملته تقرير عن وفاته مجلس كتبه السيد محمد عبد السلام (الزيات) من ست صفحات - لكنه لم يضع في هذه الصفحات الست أي تفاصيل عن المحادثات بين «جونسون» و«أنور السادات»، مشيراً إلى أن «السيد أنور السادات» سوف يتحدّث فيها مع الرئيس جمال عبد الناصر. ثم أثار المصري إلى أن «السلطان مصطفى كامل (سفير مصر في واشنطن وقتها) حضر اللقاء وكتب مختصراً يوافقه أنه أرسله بالشرقية إلى انقراضه».

وذكر أني قرأت برقية السفير مصطفى كامل، عن وثائق اللقاء. كما أتى - ولو لم أحضر لقاء جمال عبد الناصر مع «السادات» عندما عاد من رحلته - سمعت من الاثنين تفاصيل وتعلّقات في المخالفة بين «السادات» و«جونسون»، ولم اشعر بما سمعته أنه كان هناك تحذير صريح، أو ما يُشبه التحذير! ■



## كـ

■ إن ما أتبع من الوثائق الإسرائيلية وافتتح من الملفات والأوراق يخف، لويصف يشكك ملحوظ مع نهاية سنة ١٩٦٦ - والسبب أن الأكثر من وثائق وملفات وأوراق ما بعد هذا التاريخ بقي مختوماً محجوباً حتى الآن رغم انتهاء أجل السرية، ورغم ذلك فإن عدداً من الباحثين (وبينهم الأستاذ «مايكل بيرشر» عثروا على محفوظات قيّمة في مجموعات الأوراق الخاصة لعدد من السياسيين والعسكريين الإسرائيليين، أي جانب مُدكّرات كتبها بعضهم - وشهادت بالبالغة الأهمية وُزّعت في أقال صُتّرت عن مسؤولين كبار من وزراء وسُفراء وجنرلات، وحتى مسؤولين عن الأمن في «الموساد» وأمان».

والحقيقة أن هناك كثراً من المعلومات والأسرار عن السياسات والتفكير والخطط الإسرائيلية موجود معظمه الآن في المخابرات المصرية العامة، وفي المخابرات العسكرية المصرية، وكذلك أيضاً في مجموعة أوراق «جمال عبد الناصر» التي كانت في منضبة البري والتي تَلَمّت إلى محفوظات مصر «عابدين».

وكانت الظروف التي جمعت مقتنيات هذا الكثر من المعلومات والأسرار - هي التي الواقعة ظروف ما بعد وقف إطلاق النار ليلة ٩ يونيو ١٩٦٧، وعندما فوجئت إسرائيل (حكومة وحشياً وشعبياً) بحجم الانتصار الذي حقق «لهم» في حرب الأيام الستة - وقد فاق خسارة الخطط وتجاوز سبيل الاحتلال!

كانت ردة الفعل الأولى لدى الجميع ساسة وجنرلات «دبلوماسيين وخبراء (وقد أضرت إلى ذلك من قبل) - نوعاً من الذهول أو درجة عدم التصديق - نوعاً من too good to be true تعبير «رايين» نفسه. لكن هذا غير القابل للتصديق - كان أمراً واقعاً على الأرض لا بد من تصديقه بقوة الأشياء. وهذا فإن المبادرات الإسرائيلية السياسية والعسكرية كان عليها أن تلقفت بانها قامت بتغسل يديها، ومن ثم فإن كل مشاركي في النصر خصوصاً من العسكريين لا بد أن يصير مجزأة يُشعّره خالية للعداء، وكذلك يسد كل منهم تصرف على هذا الأساس».

وبداية تصرف «على هذا الأساس» أن يحكي الدنيا والخلق ما قام به في الحرب على طريقة «بوليس قيصرة» - جشنت ورايت وانصرفت، وللانصاف فإن اللواء «حسن البدر» (وهو وقتها المؤرخ الرسمي للجيش المصري) - كان أول من تنبّه إلى أن الفداء العسكري، على طرف سبعين كانت له إعتاقيات الدولة المصرية في الخارج قد استطاعت الحصول على أوراق بالاكومات وتستخدمت الصلوات ثريد بعد ست ساعات، وشرائط مُصوّرة تُريد لمدة الازمة، عرضها على ١٢٠ ساعة، وفصحها ١١ مقابلة تلفزيونية للجنرال «موشي ديان» (وزير الدفاع الإسرائيلي)، و٨ مقابلات للجنرال «إسماعيل راين» (رئيس هيئة الأركان)، و٨ مقابلات للجنرال «مورخاي هوه» (فائد الطيران)، و٦ مقابلات للجنرال «إير ويزمان» (مهندس الضربة الجوية). وهو يومها مدير عمليات، و١٣ مقابلات للجنرال «إسرائيل غالي» (قائد الدرعات)، ومقابلات للجنرال «حاييم باراف» (مدير عمليات الجبهة الجنوبية)، ومقابلات للجنرال «دافيد إيجاز» (فائد الجبهة الشمالية)، ومقابلات للجنرال «أوزي نازكيس» (فائد الجبهة الوسطى)، ومقابلات واحدة للجنرال «جوزيف إيفان» (رئيس عمليات الجبهة الوسطى)، وغير ذلك وغيره بما فيه مقابلات مع المحقق العسكريين الإسرائيليين في واشنطن ولندن وباريس.

وكانت حظوظ السياسيين الإسرائيليين تحت الأضواء أقل من العسكريين، ومع ذلك فقد نكلم كثيرين منهم وأفاضوا. وبينهم «اشكول» نفسه رغم إشارته بيطبعته للصمت، ثم كان آخرهم

وكانت حظوظ السياسيين الإسرائيليين تحت الأضواء أقل من العسكريين، ومع ذلك فقد نكلم كثيرين منهم وأفاضوا. وبينهم «اشكول» نفسه رغم إشارته بيطبعته للصمت، ثم كان آخرهم

الناصر، يقترح أن تتولى المخابرات جمع كل ما أساله القادة العسكريون (والسياسيون) الإسرائيليون في «مشوة» النصر وسكرته، مكتسباً على ورق، أو منطوقاً وراء ميكروفون، أو مُصنّراً أمام عدسة، حتى يُوضع كله «تحت المحبر» لدراسة مُخطّطة، يمكن منها - حسب تعبير «حسن البدر» - استخلاص «دروس مُستفادة، وربط وقائع مُخفّرة، ولهم «سيكولوجية» الجيش الإسرائيلي (والحكومة الإسرائيلية والراي العام بالتعبية) في هذا الطرف الذي اعتبره «البدر» في مدكرته «بداية وراها ما وراها» (بقصد حقبة عودة مصر إلى ساحات القتال).

وكان اللواء «البري» مسئولاً في نفس الوقت عن وحدة الدراسات العسكرية في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأنصار، وكان وجوده فيها يسبب حساسية - إنده إلى عدد من القادة العسكريين، من فهم القاد العام لظلمات السلطة في المرحلة المستجدة بعد يونيو ١٩٦٧ وهو الفريق أول «محمّد فوزي» - وكان نكلم الجميع - وهو إلى حد ما مُنطلي - أن وجود «البدر» «البدر» في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأنصار معناه أن لدى خطفاً واصلًا مباشرة إلى «الرئيس جمال عبد الناصر».

وقبل «جمال عبد الناصر» اقتراح «حسن البدر» - بل ونصر له مُنطراً فائدته إلى الإزاحة مرحلة جديدة من الفعل العسكري، على طرف سبعين كانت له إعتاقيات الدولة المصرية في الخارج قد استطاعت الحصول على أوراق بالاكومات وتستخدمت الصلوات ثريد بعد ست ساعات، وشرائط مُصوّرة تُريد لمدة الازمة، عرضها على ١٢٠ ساعة، وفصحها ١١ مقابلة تلفزيونية للجنرال «موشي ديان» (وزير الدفاع الإسرائيلي)، و٨ مقابلات للجنرال «إسماعيل راين» (رئيس هيئة الأركان)، و٨ مقابلات للجنرال «مورخاي هوه» (فائد الطيران)، و٦ مقابلات للجنرال «إير ويزمان» (مهندس الضربة الجوية). وهو يومها مدير عمليات، و١٣ مقابلات للجنرال «إسرائيل غالي» (قائد الدرعات)، ومقابلات للجنرال «حاييم باراف» (مدير عمليات الجبهة الجنوبية)، ومقابلات للجنرال «دافيد إيجاز» (فائد الجبهة الشمالية)، ومقابلات للجنرال «أوزي نازكيس» (فائد الجبهة الوسطى)، ومقابلات واحدة للجنرال «جوزيف إيفان» (رئيس عمليات الجبهة الوسطى)، وغير ذلك وغيره بما فيه مقابلات مع المحقق العسكريين الإسرائيليين في واشنطن ولندن وباريس.

وكانت حظوظ السياسيين الإسرائيليين تحت الأضواء أقل من العسكريين، ومع ذلك فقد نكلم كثيرين منهم وأفاضوا. وبينهم «اشكول» نفسه رغم إشارته بيطبعته للصمت، ثم كان آخرهم





## مع الحرب



## تذيير

■ وما هو ظاهره في كل «الواد التلافيفي» الإسرائيلي، أنه في وقت ما - بين فبراير ومارس ١٩٦٧ - اتخذت إسرائيل قراراً بأن هذه السنة لا يجب أن تمر دون حرب مع مصر، ثم أن الولايات المتحدة عرفت بما ظفر، وكان حسداً مفسوساً أن تصرف به وأن تأخذ لنفسها الفرصة الغالية لتفكيكه وتُربّ نفسها إزاءه.

وتُعتبر من كل الشواهد ما يُسَكَّر بطريقة لا تُحسّل كذرة المظنون، على أن هذا «الفراغ» الذي وصل إلى الولايات المتحدة سُئِرَتْ ولقيها بعد ما يقيل إلى أطراف أخرى عُرِثَتْ على نحو أو آخر أن هناك «شيءٌ عُمِلَ كبير»، إسرائيلياً مُتَّخِصٌ ومباشر، مَوْجُوعٌ إلى مصر بالذات - ومصر وحدها!

وكان البديل دافِعاً على أن القرار المُخَذ، وعلى أنه وُصِّلَ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى أن أطرافاً أخرى في المنطقة وخارجها عُرِثَتْ به! - والشاهد أنه في يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٧، تلقى «الواد» عبد المغم رياض، الذي كان رئيساً لإركان حرب القيادة العربية المُوَحَّدة رسالة من الملك حسين، شكَّه الأردن بتدعيمه لمقاتلته في أسرع وقت ممكن.

وكان «عبد المغم رياض» قد ارتبط من خلال عمله في القيادة العربية المُوَحَّدة بعلاقة على قرب مع «الملك حسين»، ومع ذلك فقد بُدِأ ذلك الانتماء غير موعود - إلى حكومة الأردن - كانت قد اتخذت قراراً بتجميد التعاون مع كل مؤسسات العمل العربي المشترك التي أنشأتها مؤتمرات القمة العربية، بما في ذلك القيادة العربية المُوَحَّدة.

ويلاحظ فإن «عبد المغم رياض» عندما تلقى رسالة الملك عُرِثَها على نفسه في القيادة العربية المُوَحَّدة، على عاصم - فلسطين - كيف يُتَصَرَّف ؟ - وتشاور القائد العام للقيادة العربية المُوَحَّدة مع المشير «عبد الحكيم عامر» وهو رئيسه الفعلي (بصرف النظر عن الرسميات العربية) - وتلقى «عبد المغم رياض» إِنْشَاءً بِلَّغٍ مُقَبَّلٍ مدعوة الملك ويتوجه إلى غسان.

ويوم أول هبوب أذاعت وكالة «رويترز» البريطانية الخبراء برقية من بيروت نصها: «استقبل الملك حسين اليوم الفريق عبد المغم رياض رئيس أركان حرب القيادة العربية المُوَحَّدة الذي وصل اليوم في زيارة مُفاجئة» للآثرين. ولم يُعرف أحد ماذا حصل وإلى متى

يُجسِّي ؟ - وقد اعرب المراقبون في بيروت عن دهشهم لهذه المقاتلة لأن الملك حسين كان قد أعلن أنه لن يتعامل مع أية منظمة تنشطها مؤتمرات القمة العربية. والقيادة العربية المُوَحَّدة هي إحدى ثلاث مؤسسات أنشأتها المؤتمرات السابقة (منظمة التحرير الفلسطينية - هيئة تحويل روافد الأردن - والقيادة العربية المُوَحَّدة).

وقد حكي لي «عبد المغم رياض» بنفسه وفتح لقلقه من الملك «حسين»، وشكره بالفعل في كتاب «الانفراج» ١٩٦٧ (صفحة ٤٣٧). ثم حثَّ بعد سنوات، وفي لقاء مع الملك «حسين» (في شهر فبراير ١٩٩٢ - وفي حضور مستشاره السياسي وقنصل السيد «عمنان أبو عودة»، وهو أحد مستشاري الملك «عبد الله الثاني») أن اترك لي الملك «حسين» بنفسه رواية «عبد المغم رياض».

وكانت تلك الرواية ويلسان «عبد المغم رياض» على النحو التالي: «حينما دخلت إلى مكتب الملك واتخذت مقعدي بدعوة منه أمامه، لاحظت على العبرانية مهووم - لو هناك أحسست، كان سؤاله الذي لى عن «الأحوال» - وانصرف لدُعي إلى ساقلي عن الأحوال العامة. وكان ردى أن الأحوال تبدو لي في متبني الخطورة. فعندما يعرفه الملك بالتفاصيل عن الوضع العمل العربي المُوَحَّد - فإن الأفاضل في إسرائيل لم يأتوا أبداً أن تشير على كل من يسمعه أسر العاصم العربي ويستقبله. فهذه أزمات بدأ ظهورها في الانتماء أدت إلى زيادة عدد المحاضرين في إسرائيل. ثم إن هناك ظاهرة هجرة من يهود إسرائيل إلى مواطنهم الأصلية التي جاءوا منها. كما أن هناك خلافات داخلية على مستوى السياسة العليا في إسرائيل، يتعلق بعضها بمسألة الأمن. وهنا من شياسته أن يجتمع الإسرائيليون في مقالة عربية عصبية يحتفل معها بالدموي على أي مقاربة» - ومرة أخرى لاحظت أن الملك كان شارباً

حتى مما يقول له. وسكت منتظراً أن اسمع منه. وكان ما سمعته مفاجئاً لي. وكان الملك لي بداية حديث متريداً تجسي كملاته ببطيئة وكأنه يفرح في كل كلمة يقولها وفي كل حرف. ولحسنت أن ما أسمعته خبير. واستأنثت الملك حتى لا يضع منه شيء. وسنَّع الملك مع طلبة معاملة ما يقوله بالقصي درجات الأسرية، وأن يكون نكته إلى شخص واحد فقط وهو الرئيس «جمال عبد الناصر».

وكان جُعلَ ما قاله الملك «حسين» له عبد المغم رياض، على النحو التالي: «إن الفريق رياض يعرف ويتابع بلا شك كل أسباب ودواعي الخلافات القائمة بينه وبين القاهرة. لكن هناك موضوعات تتعلق على أي خلافات لأنها تمس الأمن القومي في مصر. ويخضع فإن الملك لديه الآن ما يدعو إلى التسليم بأن هناك شيئاً يُدِير للجمهورية العربية المتحدة والرئيس «جمال عبد الناصر». فهناك محاولة لتزوير بطونه في حرب مسلحة لا تتلهم ظرفيها» - (والحقبة) «إن الجماعة في سوريا مختلقة. ويهضم مسؤولي مع جهات لديها خططها. والمفارقة الأساسية في هذه الخطط هي إشغال الولد على الجبهة السورية بما يفرض على مصر أن تولى عام بعدة أنشطة سورية. وهنا تصبح مصر في الهدف الأول للأسلحة ويجري تسريبها. وقد (الملك) يريد أن تصل رسالته هذه إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» بأسرع ما يمكن، ويرجو أن يشاهد الرئيس أن واقعه إليها هو واجبه القومي وليس أي سبب آخر. وهو يمتحن أن تؤخذ رسالته جِدَّةً ولا تُحسَّل مع محل موله من بعض الأطراف المعنية في دمشق».

وحاول الفريق «عبد المغم رياض» أن يستوضح الملك أكثر. فقد بدا له أن الملك يتحدث بوحى شخص معلومات يعرفها أكثر مما يتحدث بوحى شخص جاك تروادو. ولكن الملك لم يُبدي أي استعداد لتجاوز ما قاله. ونُتِجَ الفريق «عبد المغم رياض» من المحار

علاً أن عُثَان إلى مكتبه في القيادة العليا المُوَحَّدة لجيش الدول العربية، «جمال عبد تقرياً لسطح بدء إلى الرئيس «عبد المغم رياض» - ثم نُزِجَته إلى مكتب الفريق أول «علي علي عامر» يستأنثه (طبقاً للتقارير العسكرية وتسلسل مراتب القيادة) أن يتولى فإن الفريق أول «علي علي عامر» بحث بالخياط مكتب رئيس الجمهورية (كان ذلك يوم ٥ مايو). لكنه حتى يوم ١٢ مايو لم يكن هذا الخطاب قد وصل إلى يد الرئيس «جمال عبد الناصر».

[وشأت الغفوف أن التفتي بالفريق «عبد المغم رياض» في قاعة المحاضرات بالأكاديمية العسكرية العليا وعُثت فيها مع المارشال «موتيمري» قائد معركة «الطين» الأشهر (ولاد دارت وقائمتها في صحراء مصر الغربية، وفيها بدأت هزيمة القائد الأتاني الأسطوري «روميل»).

كان «موتيمري» وقتها يزور مصر وفق ترتيبات خاصة شارك فيها الأعلام، مع «الصداء» تيمرس في مناسبات مرور قبره على معركة «الطين» (١٩٦٢). وبعد أن انتهت محاضرة فيها مارشال «الطين» جانيه الفريق «عبد المغم رياض» استأثرت أسئلة «عبد المغم رياض» - «حسب تعديري» - «وتجسها معاً أن مكتبي في «الأمراء» والله قال لي أنه يريد أن يتأكد أن تقريرك الذي يخطه يد الرئيس «جمال عبد الناصر» قد وصل إلى يده وأنه أطلع عليه لاسية ما فيه. والعصمت كياونيها الرئيس أسأله [إذ كان قرا تقريراً كتبته له «عبد المغم رياض» بخط يده. ولم يجز تقريرك قد وصل إليه]».

كان ذلك مساء ١٢ مايو ١٩٦٧. وفُهِر اليوم التالي ١٤ مايو كان تقرير «عبد المغم رياض» على مكتب الرئيس «جمال عبد الناصر»، وقرا، وكانت عينة الصوت قد بدت برؤيتها.

فقد كان الفريق «عبد المغم رياض» رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ساعته في الفريق إلى دمشق يتقصى أخبار «حشود» إسرائيلية، تُهذَّب بصرير سوريا وياتر في دمشق!



هكذا فإن الملك «حسين» في عُثَان كان يعرف بخط ما هو مُنْبَرٍ. ولم يكن معقولاً أن يكون هو وحده الذي يعرف. والواقع أنه طبقاً للواتق الإسرائيلية - فقد كان هناك آخرون غير «حسين» - داخل المنظمة - يعرفون شكل ما هو قادم - وفي الغالب تنبؤاته! - كان القائد الأوسط كله على برميل بارود. وكان اللهب يجري بسرعة في الفتيل المشعل في برميل البارود، وتوقيت وصوله الساعة ١٧ و٥ دقيقة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧. ■



### الملك «حسين» في عمان

كان يعرف بخطه ما هو مبدّر.

ولم يكن معقولاً أن يكون هو وحده

الذي يعرف. والواقع أنه طبقاً للواتق الإسرائيلية - فقد كان هناك آخرون غير الملك

«حسين» - داخل المنظمة - يعرفون

شكل ما هو قادم -

وفي الغالب تنبؤاته!

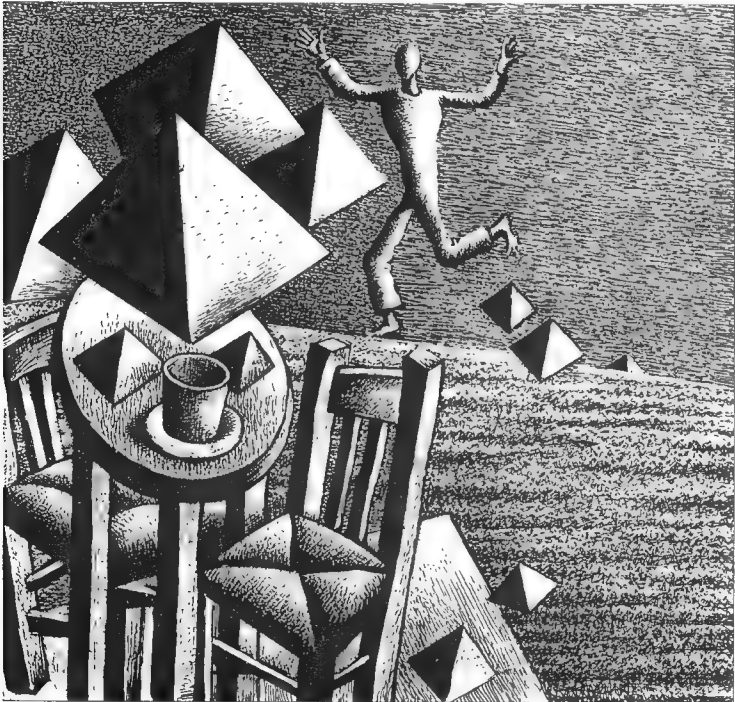


■ ■ ■ هذا مقال أعرض فيه للنقطة التي تدبر في الوقت الحاضر لصنع ماء النيل بغرض إعادة توزيع نصيبها بين دول الحوض. وهي النقطة التي جرى إعدادها في الوقت الحاضر تحت رعاية مؤسسات الدولة وشركات صناعه الماء العالمية بعيداً عن الأنظار. ودون مشاركة من أحد فيما عدا قلة من الخبراء الدوليين والمحليين من ممثلي حكومات دول الحوض، يجريون أعمالهم في سرية ودون أن يكونوا مسؤولين أمام أحد. ويبدو من الأخبار التي تسربت من عديد من الاجتماعات التي جرت بهذا الشأن منذ تأسيس مجلس وزراء الموارد المائية لعدد من الدول المشاركة في سنة ١٩٩٨، بأن هذه الخطط على وشك الاستكمال، وأنها تشمل عدداً من المشروعات التي سيتم عرضها على مجموعة من الدول المناهضة التي وافقت على حضور اجتماع سيخلف بمدينة

جنيف بسويسرا تحت رعاية البنك الدولي في شهر فبراير سنة ٢٠٠١. يفرض الحدث في تمويلها تمهيداً لإقامتها على نهر النيل. وتأثير السرعة المذهلة التي تم بها الوصول إلى هذا الاتفاق على الخبراء والمشروعات المنظمة لحياه النيل بين دول الحوض، الكثير من التساؤلات والشكوك في الأبعاد الحقيقية وراء هذه المشروعات التي جرى إعدادها في سرية ودون مشاركة أو تغطية إعلامية. تتناسب والأبعاد التي ستأتي بها على حياة شعوب هذه الدول. وما يريد من مصداقية هذه التسهيلات والشكوك لى هذه المشروعات حتى في إطار الحملة التي يقوم بها البنك الدولي منذ سنوات لكي يجعل من المياه، والتي كانت منذ القدم حقاً طبيعياً للبشر، سلعة من السلع شائنا شأن أي سلعة أخرى لها سعر وسوق وشركات عالمية تعمل في الاتجار فيها. وجاء تنويع هذه الحملة

والقرار هذا المبدئي الذي المؤتمر العالمي الذي تنعقد البنك الدولي وعدد كبير من المؤسسات الدولية في مدينة لاهاي بهولندا في شهر مارس سنة ٢٠٠٠. حضره وزراء الموارد المائية لعدد كبير من الدول وما لا يقل عن ثلاثة آلاف خبير في شؤون المياه من مختلف أرجاء العالم يمثلون بلادهم والهيئات العاملة في حقل المياه والشركات التي تتاجر فيها، والتي يجي في مقدمتها شركة السويس - دلتا الفرنسية (وهي من مخلفات الشركة العالمية التي كانت تدبر قناة السويس منذ إنشائها في أواخر ستينيات القرن التاسع عشر وحتى تأسيسها في سنة ١٩٥٦) - وفي هذا المؤتمر تمت مناقشة تقرير اللجنة العالمية للمياه (World Water Commission) التي كان مقررها الدكتور إسماعيل سراج الدين نائب رئيس البنك الدولي والتي تشكلت من عشرين خبيراً من خبراء

المياه في العالم، وأبرز تقرير هذه اللجنة وبشكل ترمي الأمانة التي تتألف منها الكثير من دول العالم في الوقت الحاضر من نقص في إمدادات المياه العذبة فيها وهول منها، وحاول أن يحدد أنها ستتحقق بمعظم الدول إن لم يكن اليوم فسبحا حين يزيد البشر وتزايد الاحتياجات، والقرار التقرير حل لهذه الأزمة الناجم عن المياه كسلعة يصرى تنظيم استخدامها بواسطة القطاع الخاص الأكثر كفاءة من القطاع الحكومي أو العام، ويجري تسعيرها حتى يتم ترشيدها هذا الاستخدام، وأثر تقرير اللجنة اعتراضات كبيرة من الكثير من المشتغلين بشؤون المياه والبيئة الذين كانت لهم تحفظات كثيرة على ما جاء فيه من بيانات أو نتائج. ومن الكثير من المنظمات غير الحكومية التي رأت في التقرير أنه مهدد بواسطة وإصلاح الشركات العاملة متعددة





الجنسيات من تخطط لتوسيع أعمالها على حساب المستهلكين، وشارت الكثير من هذه المنظمات في احتجاجات مخابرة صاحبتي المؤتمر بذنن المربكة التي صاحبتي اجتماعات منظمة التجارة العالمية التي عقدت في مدينة سبائل الأمريكية بعد ذلك، وعلى الرغم من هذه الاعتراضات والاحتجاجات، فقد وافق المؤتمرين من ممثلي الحكومات على التوقيع على ميثاقها، وكانت مصر والتي مثلها وفد كبير برئاسة الدكتور محمود أبو زيد وزير الأشغال والموارد المائية من أكثر الدول حماساً وتأييداً لتقرير المؤتمر، وكان وزيرها أحمد إسماعيل من شاركوا في إعداده وفي تنظيم المؤتمر وفي رئاسة جلساته، وجاءت موافقة مصر على التقريرين على الرغم من أن الكثير مما جاء فيه يتعارض وما فتئت تردده على طول تاريخها من أنها ضد تسعير الماء بأي شكل من الأشكال

وأنها ضد تحكير توزيع المياه لشركات القطاع الخاص. وجاء تقرير اللجنة العالمية للمياه مؤكداً للردود المأزج الذي أصبحت تعجبه اليوم شركات صناعة المياه العالمية والتي توسعت أعمالها في العقود الأخيرة بفضل تصاميم مستجتي الخصخصة واتجاه إلى العولمة واعتماد أعمال هذه الشركات إلى أسواق أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والقارئ للتقرير الذي أصدرته هذه الصناعة (واشنطن سنة ٢٠٠٠) والذي يباع بسعر النسخة ٨٩٥ دولار، سيرى الحجم الكبير لهذه الصناعة التي أصبحت لها اليوم سوق بلاغة، قدر في الوقت الحاضر بحوالي ٨٠٠ مليار دولار، ينتظر أن ترتفع إلى ضعف هذا المبلغ خلال العشرين سنة القادمة بدخول دول العالم الثالث في سوقها. ويسيطر على هذه الصناعة في الوقت الحاضر ما لا يزيد على

خمسة عشرة شركة عملاقة تفتح معظمها في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة وتعمل في توزيع المياه ويهيها وفي إدارة الخزانات وإقامة المشروعات العملاقة على الأنهار.

### حقبة أزمة المياه في العالم

كان من أهم ما جاء في تقرير اللجنة العالمية للمياه التأكيد على أزمة المياه العذبة في العالم والتي تحقّق اليوم ببعض البلاد وخاصة تلك التي تقع في حزام الصحاري المدارية في كل من تصفلي للكرة الأرضية الشمالي والجنوبي، وأصبحت هذه الأزمة حديث الناس ووجدت تصميلاً بسبب الظروف المناخية التي حالت بالكثير من البلاد النامية التي تزيد سكانها وغسدت نظفلة حكمها

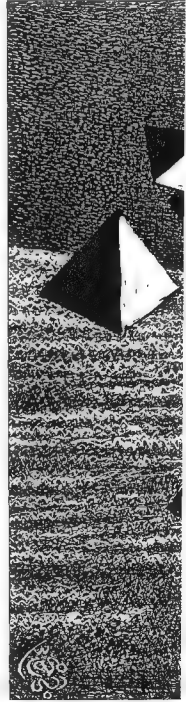
وطهرت فيها أزمة الغلاء بشكل بارز آثار عطف الناس عندما اتهموا مأسابها على شائشات التلفزيون عبر العالم. وليس هناك من خلاف حول ما جاء في تقرير اللجنة حول أزمة المياه في بلد البعيد ذات المصادر المحدودة منها. ولكن الخلاف وقع في الحل الذي اقترحه التقرير لتفروح منها عن طريق ترشيده استخدام وإيقاف التثبيتي فيها بإعطائها سعراً كما سلعة أخرى من السلع التي تنظمها قوى السوق. وهذا الحل بالإضافة إلى تعارضه مع الكثير من ثقافات ومعارف العالم فإنه لا يحل أزمة المياه بل يضاعفها في حالها وميزته من منافع استخدامها كما حدث في الحالة الوحيدة التي تم تلخيصه فيه عن حالة دولة أستراليا، عندما صمم البنك الدولي على خصخصة مرفق المياه في إحدى مقاطعاتها وبيعها للناس بمتكلفتها بما تسبب في رفع سعرها وإحداث أضرار جسيمة في اقتصادها المحلي والمخاطر والإضرابات العامة.

وقد وجدت الكثير من البلاد حلولاً أخرى لأزمة المياه فيها لم تثل من تقرير اللجنة إلى اهتمام. فعلى سبيل المثال، هناك الحل الذي أخذت به دول شبه الجزيرة العربية ذات المصادر المحدودة من المياه العذبة والتي وجدت في استخدام التقنيات الحديثة لتحلية مياه البحر سبيلاً لزيادة مواردها المائية لقلابة المنظمات الأساسية للحياة كالاستخدام المنزلي وإدارة أقل الخليل من الأنشطة التي تخشعها أساسيات العيش وإبطلت كل تفكير في ممارسة النشاط الزراعي باستخدام الماء وبوفرة. وهو الأمر الذي لم يكن صعباً بسبب أن هذا النشاط لم يكن يمثل شيئاً مهماً في حياة شعوب هذه الدول على طول التاريخ. وقد حدث في سبعينيات القرن العشرين تفكير في بعض دول هذه المنطقة للبدء في نشاط زراعي فيها. سرعان ما خسر بسبب عدم جدواه وجوره على مخزون المياه الأرضية فيها. وعلى عن البيان أن الذي أتاح هذا الحل لهذه البلاد إمكانيةها المائية الكبيرة التي توافرت لها بوجود النفط بكميات هائلة. مما جعل إدخال هذه التقنيات ممكناً ومما جعل الماء الناتج عنها منتجاً ويسعر بغيره لبعض الاستخدمات الأساسية للإنسان، وناجح وجود البعاج حول شبه الجزيرة بسهولة تركيب محطات تحلية المياه بحيث تكون على بعد مقبول من التجمعات السكانية فيها

## تساؤلات وشكوك حول «المبادرة»

# مياه النيل في سوق التجارة العالمية

رشدي سـعيد



وفي بلاد الشام (سوريا وفلسطين/ إسرائيل والأردن) أزمة في المياه العذبة يزيد من حداثها كمياتها المحدودة والتي لا يبدو أن فرص زيادتها كبيرة في ضوء البحث العلمي التكثيف الذي أجري على مصابرها وتزايد السكان الذين يعيشون على رقعة محدودة المساحة من الأرض، وفي هذه البلاد فإن حل هذه الأزمة يكمن في القدرة على ترشيده استخدام المياه المتاحة، وتطوير نهج الحياة للعيش في حدودها بالاستفادة أو بتقليل الأنشطة التكلفة الاستخدام للمياه كالتربية المروية التقليدية والاعتماد على التقنيات الجديدة لبناء مجتمع معلومات حديث تقوم فيه الشروع بطرق الإنتاج الإلكترونية الحديثة التي تتطلب أقل الخليل من الماء. ولحق قابس لا أرى من بين بلاد الشام من أدرك هذا الطريق غير إسرائيل التي هي في طريقها لهجر الزراعة التقليدية والانتقال إلى مجال الإنتاج والخدمات الإلكترونية الجديدة، ويمكن للمرعب في معرفة دعوات هذا الصريح أن يراجع البحث الذي كتبت قد قرأته أمام مؤتمر «أزمة المياه في الوطن العربي» الذي نظمه مركز البحوث العربية بالقاهرة في سنة





مصر أو السودان أو كليهما معاً، وليس هناك من طريق آخر.

وقد فشل كل واحد من هذين طريق تعويض ما سوف يؤخذ من نصيب كل من مصر والسودان من مياه المرتفعات الأيوبية في حال إعادة توزيعها من فلتان المياه الكبيرة والمتوافرة في أحواض هضبة البحيرات الاستوائية والمتوافرة في تلك من هضبة حوض النهر ككل، وإلى على التكاثف الباهظة التي يستجابهها توفير هذا التخصيب من المياه، بل وسيجب صعوبة نقله عبر شريان النيل الأبيض القليل الإحسان والحدود القدرة على حمل المياه، هذا بالإضافة إلى صعوبة حماية هذه المشروعات كما أثبتت تجربة قناة جوبجلى التي شاركت مصر في السور، في إقامتها وجداعها مثيرة للنزاع، وفي الحقيقة فإن نظام من أية مشروعات مشتركة في هضبة البحيرات الاستوائية هو كلام سابق للأول ولا يمكن أن يؤخذ فيه جدل كبير نسبة لعدم من النزاعات السياسية سواء في جنوب السودان أو في دول الهضبة نفسها.

إن السياسة المالية التي سارت عليها مصر في معالجة موضوع توزيع مياه النيل التابعة في المرتفعات الأيوبية وعلى أن يصبح البنك الدولي وغيره من المؤسسات المالية الدولية، الخاضعة عن نصيبها من المياه وعدم الدول، في أية مناقشات بشأنها إلا إطار يحدد في الاتفاقية كما أصدرها الأخرى للمياه المتخلفة

لدول الحوض، ولم تعد مصر من هذا الموقف مع كل دول الحوض وعلى أن يكون نصيب مصر في تلك المياه أكثر غير من النيل بل يتم ضبطها حتى اليوم والتي تظلها انظر نظرية مما يجعل مصداقها من المياه كبيرة، يمكن أن تقي لها احتياجاتها دون الحاجة إلى مشاركة مصر في مصدر مياهها الوحيد، وبالإضافة إلى ذلك فإن إقامة السودان الكبيرة على فرع النيل التابعة في الإيوبيا من المشروعات المشكوك في فائدتها لدى من الدول التي تستأجرها لها هي بالإضافة إلى التزامات وحالة عدم الاستقرار التي ستعيق فيها، فإن ضررها أكبر على كل دول الحوض، هو واضح وأكيد في حالة مصر لا يزال سائل من نصيب مصر من المياه من العطش الذي، إما في حالة الإيوبيا فإن مثل هذه المشروعات باهظة التكليف والتي ستقلل من أضرار شديدة الإحسان وسريعة الإطعام سيكون كبير جدوى وإن يكون صديقه سواء استخدمت في توسيع رقعته الزراعة أو في إنتاج الطاقة مبرراً اقتصادياً، فلم تعد الزراعة المروية عليها ذات معنى يمكن أن يحد الاتفاق الكبير عليها، فإن إنشاء الطاقة الضخم الذي سينجم عنه، كما أن يكون التصديري في نفسه أنه لن يكون له استخدام محلي نظراً لأن الإيوبيا وكل البلاد المحيطة بها بلاد غير صناعية تستخدم القليل من الطاقة مما سيحتاج أن تصديرها إلى الخارج، فالتأثير على اقتصاد تلك من ضير لا فائدة تذكر، هذا بالإضافة إلى أن تصدير الطاقة هو من المكوّنات لا يسدده من ممران الإيجال المحيطة بها من إمكان تصديرها نظراً لأن عدم تصديرها عادة ما تمتد إلى سنوات طويلة، وقد أثبتت التجربة المحلية لأهل الإيوبيا أنهم دفع وضع الأقال على هذه المشروعات الكبيرة على الأثر.

فيبادوا ويسواعهم وبما يتكثف فيما سبق في بناء السدود المصغرة عليها التي يجودها فيها لفظة سريعة ومحققة وهي غير عملية للزراع، فالإياه التي يستغلونها بواسطتها ليست من الأكبر بحيث تسبب خللاً مؤثراً في ميزان إيراديات الأنهر.

وآخر تاريخ طويل وتجربة كبيرة مع دول الحوض منذ أن بدأت تشييدها علاقاتها معها حين دخلت زراعة القطن في المسوون في العشرينات القرن العشرين مما دعا إلى مطالبة السودان بحصة من مياه النهر الذي كان وحتى ذلك الوقت نهراً مصرياً خالصاً تتم دراسته ووضع خطط الاستفادة منه في الزراعة وفي وزارة الأشغال المصرية التي كان يعمل بها في ذلك الوقت بعض من أكابر خبراء المياه في العالم، وعندما امتدت زراعة القطن بالسودان احتاج أمر ترويضها بلاده إلى استقطاب خبر من المياه التي كانت تنساب إلى أرض مصر لتجديد حجمها بعد طلاء وطعام استمرز ما دون توقعه في اتفاقية سنة ١٩٢٩، وحتى سنة ١٩٤٢م عندما تم حسم الاتفاقية، والتي وقعت بين مصر والسودان بمناسبة بناء السد العالي لتوزيع مياه التخزين فيه، ولم تحترف لإقامة بهاد الاتفاقية على الرغم من أنها لم تكن تستند فيها رؤايف التي تنبع منها.

وفي ستينيات القرن العشرين رأت الولايات المتحدة استخدام ورقة مياه النيل لتضيق على مصر التي كانت تنجح في ذلك الوقت نهجها استقلالياً لم تكن الولايات المتحدة بإرادة عنه، فأوفدت بحلة كبيرة من خبراءها لدراسة منابع النيل بالإيوبيا والقرارات المشروعات الخاصة باستغلال مياه هذه المناطق، ولم تكن الإيوبيا في ذلك الوقت أو فيما تلي ذلك من أوقات في حاجة إلى بناء السدود، في اعتنيت الأريق وبغرض الزراعة، فليس حول هذا النهر لأرض مساحلة كثيرة، كما أن انحدار النهر الكبير وانحداف مياهه وكثرة الرواسب التي يحملها يجعل بناء السدود



صعباً والاستفادة منها في الزراعة باهظة التكلفة، ولكن الحراسة تحت أن الخروض منها لم يكن خدمة لتجويها قدر ما كان توصيل رسالة إلى مصر المستعبدات بأن الإصرار بها سهل وأن حياتها مروعة بين بحكم منابع النيل وهذه الرسالة في حد ذاتها كانت حرية بان تدبر العوالب الخوجية التي يمكن أن تنجم من تدخل طرف من خارج النهر في شؤونه وأن تلقى صاحب القرار في مصر على نقادى الدخول مع طرف ثالث وراء الكلام مع دول النهر، والحق فإن الباحث وراء الكثير من المشاكل التي تثار بين دول الحوض حول توزيع مياهه يجد وراءها بيوت الخبرة الأجنبية وبكبار القائلون بالدوليين وشركات صناعة المياه العالمية التي تسعى لأن تلتحق لها طرفاً وسوقاً في هذه الدول الجبر فخرسل لها النصوص والبيانات التي تحول لها مشاكلها في التدبير والخيار التي تحدث بسبب استيلاء مصر على الجزء الأكبر منها وهي المأكلة لغيره، هذه القوة لا أساس للقانون في أرض الغنى البدل الأيوبية في المياه بما حقق معه وضعا وبناغورة، وللاطلاع على واقع النيل لا تصف مصرها بما فيه، بل انضمت الآخر فهو في صورة انظر ومياه جوفية وانهار أخرى كبيرة يعبس بعضها في البحر الأحمر وإعترها في المحيط الهندي ولعمدة الأنهار ميرة كبرى فهي قليلة الإحسان تسهل إقامة السدود بجعل من الاستفادة من مياهها التي تدفب اليوم ممر إلى البحر في الزراعة أكثر رضى وقلة، هذا بالإضافة إلى أن استغنائها عن التسبب في خلق نزاع مع أحد دولها، ومع ذلك فإن تجد الخبراء وجهون جديدهم لهذه الأنهار أو لتعظيم عائد الزراعة نظرية أو تلك المتعمدة على المياه الجوفية.

وينطبق الشيء نفسه على السودان ذي المساحات الشاسعة ومصادر المياه المتنوعة والتي تشكل فيه الخدبة الحاكمة من أهل القضاء بتسمية الجزء القاحل التي تعيش عليه فهي ترصد الأموال وتوجه المياه وكلفة مصادر الشريعة إلى هذه الأرض دون اعتياد الخاضع للسودان الأخرى مما يتسبب في نشوء النزاع

الذي وصل إلى حد الحرب الأهلية مع غير سكان أرض الشمال.



ليس هناك إذن من سبب يلج على أي من دول أعالي حوض النيل لخلق نزاع حول مياه النهر لدى هذه الدول بدلاً كثيرة لزيادة مياهها وتوسيع رقعته الزراعية، ولأننا نجد أنها وضعت ضغطاً لوصيات الخبراء الذين يقدمون عليها سواء من الشركات العالمية أو المؤسسات الدولية والتي أصبحت اليوم تعمل في رباط وثيق معها تتزاحم على نهر النيل وتتدفع في خلق النزاع مع جيرانها، ولبقول مصر الدخول في مبادرة حوض النيل تكون قد سلمت بوصيات هؤلاء الخبراء وهي التوصيات التي أن تؤدي إلى فصلتها النهائية إلا لانسار بمصالح مصر الحيوية وإنهاء النزاع بين دول الحوض، وأصبح لذلك أن يكون من بين طامع الخبراء الذين يؤفدون بآلات حوض النيل خبراء استخدموا الأساليب في استعمالات القانون العصريين لتقنين وصياغة حالة النزاع لتستمر إلى أجيالهم إسرائيليين في منطقة الشرق الأوسط وتدعى العيشين في تلكه، والحق القطن أن هؤلاء الخبراء يتوهمون أن تحمل دول حوض النيل حالة مماثلة من النزاع المستمر.

ومزيد من محاولة من ذلك لتخضع عنه مبادرة حوض النيل منسك مجموعة الخبراء الذين يقفون وراء البنك الدولي، لخدمته الإمبريالية لهذه المبادرة لهم مجموعة محدودة العدد، مثالة وهي ولياسة الصلة بمخبرات الدول الكبرى ومراكز التمويل الدولية ووسائل الإعلام العالمية ولها صلات واسعة بإدارات دراسة وصنع القرار في جميع دول الحوض وعلى الأخص بمرآكز الأبحاث فيها والتي يتم معظم مخططاتها من طريق العنونة التي تلتقي في مظهرها وهي تقسيم تدبير أزمها في سرية وبوطن إيمان مركز جنوب السودان وأما من وراءه مركز تقيت للسنوات والخارج، ومزيد من الخسوف لقله المعلومات التي تنشر من المبادرة والتي تجرى نوى في مشاركة وبواسطة فنيين جرى اختيارهم دون أن يعلم أحد شيئاً عن مدى خديهم أو ثقافتهم السياسية.

نهر النيل هو حياة مصر لا يحور أبداً أن يترك أمر تنميته والحفاظ عليه إلى غير أهله، ولضرر من هذا المجال دور مهم، فهي الوحيدة من بين دول الحوض المؤهلة لتقديم مشروع جديد ومبتكر، وقابل للتصديق لتتقدم عليه من يمكن أن يجعل من النهر جسراً للصدقة بدلاً من مصدر للزراع بين دوله.

وقد أعطين في هذا المقال بعضاً من الإطلاة لا يمكن أن يدخل مشاك حول مياه النيل من الحاحها التي تدخل الجدي للولوج إلى الإقراض، فقد أثبتت التجربة أن المشاريع والسدود المصغرة لا تكتفي في الاستفادة من مياه الأنهار، ولا حسن الاستفادة من مصادر المياه المتخلفة خارج وادي النيل مما يمكن أن يقلل ضرر النزاع ويؤيد من إمكانية كل بلد أخذ حصة

**يقول مصر المشاركة في هذه المبادرة  
تكون عن حداث عن موقفها التاريخي بعدم فتح  
ملف إعادة توزيع مياه النيل ووافقت على ما درجت دول  
أعالي الحوض على الظاهلية به باعتبار سياسية  
كانت تؤججه بيوت الخبرة الأجنبية وشركات المقاولات  
والمياه والتجارية بسبب أن مصر تحصل على التخصيب  
الأكبر من مياه النيل ولا تستر  
إلا القليل لغيرها من دول الحوض**

## كتاب الزاوية



### المسحراتي

#### من أشعار فؤاد حداد

فؤاد حداد أحد شعراء العامة الكبار في مصر، ومن الذين طوروا قصيدة العامية ونقلوها من مرحلة الزجل المباشر إلى مرحلة القصيدة... عبرت قصائده عن آمال قومية ورؤى حضارية جسورة، بدأ ذلك واضحاً منذ ديوانه الأول «أحرار وراء القضبان»، ثم في ديوانيه التالية: «حنيني السد»، «بقرة العمال وبقرة الفلاحين»، «كلمة مصر»، «من نور الخيال في صنع الأجيال» وديوانه الذي نعرش لمختارات منه «المسحراتي». توفي فؤاد حداد في ١٩٨٥.

#### ١- يا هادي

إصـــــحى يا نايم  
وَقـــــد الدائم  
وقـــــول نويت  
يكره إن حـــــويت  
الشـــــهر مـــــايم  
والفـــــجر قـــــايم  
إصـــــحى يا نايم  
وَقـــــد الرزاق  
رمـــــضـــــان كـــــريم

\*\*\*

مـــــســـــحـــــراتي  
مـــــنـــــأـــــســـــراتي  
وانـــــابـــــائـــــهادي  
بـــــمـــــلـــــو حـــــســـــبي  
يا دنيـــــا حـــــســـــبي  
الحـــــســـــن بـــــيـــــن  
ومـــــمـــــر أـــــولى  
حـــــقـــــقـــــنا ثـــــورة  
وقمنا صـــــخرة وعرقنا زـــــين

كاربين للبيت

Carpet City



تربط بينك

فـنـيـ عـطـفـهـ

وبالتفسيط

أنفع عطفه

بخطفه



حليب جديد

اكستيرا

ولدت في حليب اليوم يتقدم حليب فوايده اكستيرا وتزيد...

كالمصوم كسرا  
التي تسمى به انتاجه وتكونه الحليب  
الذي يصنع في الدار والاراضه  
التي هي من حليب البقر  
التي تصنع في الدار والاراضه  
التي هي من حليب البقر  
التي تصنع في الدار والاراضه  
التي هي من حليب البقر



حليب اليوم يتقدم حليب فوايده اكستيرا

# la paire



LA PAIRE'S PHOTOS OF LA PAIRE'S NEW  
RESTAURANT AT ZAMALEK AND OUR DELICIOUS  
CREATED CUISINES ARE AVAILABLE FOR YOU...

LA PAIRE'S PHOTOS OF LA PAIRE'S NEW RESTAURANT AT ZAMALEK AND OUR DELICIOUS CUISINES ARE AVAILABLE FOR YOU...

## تحرير

## الإنسان العربي

### عزمي بشارة



إسرائيل، ليس الصراع بين الأقصى وجنات المنيح بل بين الشارع الفلسطيني والاحتلال، وليست الحرب بين المسلمين واليهود بما هم كذلك، وإنما بين دولة إسرائيل عدولة احتلال وبين العرب كواقعيين تحت الاحتلال أو كنول وشعوب معذري عليها، شعوب تعتبر إسرائيل عائقاً أمام تطورها.

الانتفاضة صراع بين ظالم ومظلوم، بين ضعيف وقوي، ولكن صورة الظالم الضحية غير عادية لإثارة الضمائم، لمن أجل أن يتحول التعاطف من مجرد شفقة إلى تضامن يجب أن تكون الضحية ذات سياسة فاعلة وصاحبة مشروع. هذا هو التضامن السياسي، إنه تضامن مع مشروع سياسي، للضحية الضعيفة تسخر الشفقة، ومن أجل الضامن لا يبقى أن تكون الضحية صاحبة حق، بل يجب أن تكون أيضاً صاحبة إرادة سياسية لإصقاف هذا الحق.

لا توجد قوات إسرائيلية داخل المدن الفلسطينية (عدا الخليل والقدس) منذ انتهاء المرحلة الانتقالية وبلغت تركزت في الأمان أكثر مما ينبغي صورة الشبان الباطلين عن الجندو الإسرائيليين خارج المدن الفلسطينية لا من أجل مقاتلتهم بل من أجل الاستشهاد بترؤيد القناعة الإسرائيلية بأنهم يتحركوا.



لقد استشهد في انتفاضة الأقصى خلال أول أسبوعين أكثر مما استشهد خلال أربعة أشهر من الانتفاضة الأولى، وذلك ليس فقط لأن جهوزة إسرائيل الأمنية قد استجسجت ما استنتجته من استمرار الانتفاضة الأولى سنين طويلة فوجهت المظاهرات الضاحية بغيرها إلى الغزوة إلى درجة التعامل معها كأنها خصم مسلح بدلاً من مبادرة أكيان الفلسطيني الناشئ، وإنما أيضاً لأن الشباب الفلسطينيين قد خرجوا لمواجهة بصدور مشرعة، كان هذا النمط من الفصل صالِحاً في المواجهات مع الجنود الإسرائيليين داخل المدن التي سرعان ما عانت تتحول إلى ملاحقات بين الأقسام، على الأقل في السنة الأولى للانتفاضة الأولى عندما كان المجتمع الفلسطيني بأسره في مواجهة مع الاحتلال

العنصر الثاني كان يحوِّكها إلى قضية دينية جعلت قضية الأقصى جوهر الصراع، ليست معركة التحرر الوطني الفلسطيني حرباً دينية ولا انتفاضة القدس والأقصى حرباً عليوية رغم بعدها الديني ورموزها الدينية. لا يوجد في الحرب الدينية ظالم ومظلوم، ولا مستعبر ومستعمر، بل صراع بين حطين ومطيلين لا يستطيع التمييز بينهما إلا المؤمنون بهما ومع ذلك كاد أن توجد حرب تحررية بعد ديني أو رمزي يُصاف إلى دوافع المجاهدين المقاتلين وإلى رموز الوطن والوطنية ولا يخلو الأمر حتى من بعد عيلدي في بعض الحالات وذلك عندما تصبح العقيدة من مؤكلات الهوية. لا تلتقي هذه الأبعاد ويجب الاتفاق على خصوصية التحرر الوطني كتحرك من الاحتلال أو الاستعمار أو الإرهاب. معركة الفلسطينيين هي معركة الاستقلال، معركة الفلسطينيين هي معركة مستعمر ومستعمر، وقد وكلت منظمة التحرير الفلسطينية من رحم النضال من أجل عودة اللاجئين وتحرير فلسطين في القدس الشريف عندما كان الأقصى تحت السيادة العربية الإسلامية في العام ١٩٤٨.

ليست انتفاضة الأقصى انتفاضة دينية بل انتفاضة وطنية شاملة اتخذت من الحرم القدسي الشريف رمزاً لها، والأقصى مقدس للمسلمين وغير المتدينين كرمز وطني فلسطيني، والخلاف مع إسرائيل ليس على قضية للمسلمين بل على احتلاله من قبل

ولكن الاحتجاج لم يكن عادياً بل عاصفاً ومتشديراً يرافقه الغضب الليلي الذي تطهره الفضائيات العربية ويصلح على الأقل مؤشراً لما يجري على الساحة العربية، سواء كان ذلك بالنسبة للانتفاضة العربية أو بالنسبة للحركات الأمريكية، ولذلك كان انفجار القبة العربية الأخيرة والزعامة يشعرون إلى مؤخرة رؤوسهم بنفس المظاهرين الساخن ولهاظهم وهتافهم أكثر اعمية وأعظم مغزى مما تعود الناس على الاعتقاد، فالزعامة لا يحثون الاجتماع بضعف من الجماهير.

كان اجتماع القبة تنالاً من قبل الانتفاضة، وانضواء العراق تحت لوفته تنازل منها أيضاً، وتأكيد الولايات العربية لإنجاز جساميري، ومطالبه القبة العربية بإعلان الجهاد والحرب والتعامل مع التقاعدا كإمارة تفرغ للانتفاضة من معناها وغير ذلك من ضروب الشرعية من باب تحول العاصفة السياسية العربية ذات الطابع الأخلاقي الشعبي إلى بث تليفزيوني حي بواسطة الفضائيات، فالدبلوماسيون والفرسان العرب، وجهان، وجه حرية التحرير وإحتجاز الحدود القطرية والتحدث بالعربية الفصحى ووجه الشعبي والخرافة والغيبية.

تعددت الانتفاضة بفعل العنصر الأول إلى قضية عربية حاضرة في كل بيت وإعادت للقضية الفلسطينية إلهامها العربية، ولكن

■ في إحدى تلك الليالي العربية التي جمعت هذه الألفة أمام شاشات التلفاز ظهر حشدٌ من عشرات آلاف العراقيين وهو يستقبل في مطار بغداد جرحى من شبان وأطفال فلسطين دعوا للعلاج في العراق. ظهر الشعب العراقي وهو يحمل الشبان والأنفاس الفلسطينية على الاكتشاف ويهتف من أجل فلسطين، جرى ذلك في عراق الحصار والظلم وتنازل الأوبئة والأغلبية.

تفوق رمزية القضية الفلسطينية بالنسبة للعرب كل تصور ربما القضية التي تسرد التقدم في دول لا يبرز فيها الجوع للتطهر، ولا يشغق فيها النظم لصراخ ضده ولكن القضية الفلسطينية، التي تتحول إلى قضية إجماع قومي عندما يقرر الفلسطينيون أن يواجهوا (ويفعل في هذه الحالة)، تضع الحد بين الحق والبيوت البساطل في أعين العرب وتشق في المجتمع السياسي المتحضر أخذاً لتدفق فيه كل الإحباطات وكل النكاهة وكل مشاعر الظلم، مشاعر الظلم المحلي التي أسقطت نحو الخارج، ومشاعر الظلم الخارجي التي ألقت راحة الداخل الاحتجاج العربي يؤمن بالحق الفلسطيني إلى درجة اللجوء إليه من التناقضات الداخلية وإلى درجة تجعل لغة العلم التي تُرجم إليها كل الأمم، مثل لغة الصلاة العربية أو اللاتينية التي يترجم إليها شوق العذاري وتصرعات الحنازين وأصال النظراء.



كانت مسيرات الملايين في المغرب واليمن وسوريا والعراق وفلسطين وعمان واتحاد الإمارات العربية وعصر تعبيراً عن غضب وسخط وتضامن. كانت هذه باختصار مسيرات احتجاج وجود وغياب مشروع سياسي عربي على المستوى المحلي في كل بلد على حدة، وحده يقرر إذا ما كان انصحب العربي، وإذا ما كانت مسيرات الاحتجاج مجرد سيل عربي صمراوي لا يكاد يروى فلما الأرض التي شقها حتى يخلفي الحلفاء ورواد شفا أجبر من شقوق الحلفاء العادية





الخارطة السياسية الإسرائيلية الحالية (٢١) لا يمكن تحميل ما هو أفضل منها ضمن الخارطة الأمريكية الحالية: (٢٣) قوى التسوية العربية أكثر وضوحاً وأهمية من القوى المعتدية للتسوية، والذين تقبل هذا المنطق وتلقونه، بل وتوقع من أجل قبوله، وفحلاً لم تبدل أي دولة عربية مؤيدة أو معارضة للتسوية جداً يذكر لإنهاء الفلسطينيين من قبول هذه الاقتراحات في كتاب دبغير، وسادت حالة التناظر العربية في يوفع ياسر عرفات، أو حالة التناظر في الفصل الثالث يوفع مساولات جديدة للتأخير على القرار.

واكن مشكلة الإسرائيلييين أنهم يواجهون فلسطينياً مقترضاً، تماماً كما حاولوا مواجهة سورياً مقترضاً طيلة العصر الماضي، ومقابل اليمين الإسرائيلي يشعر اليسار أنه أكثر لعية لتقاضي نوايا وادافع الطرف الآخر ضمن عدلية التسوية. يقترض اليمين أن العرب هم خصم لا يعن أن يسلم بوجود إسرائيل وبالتالي فإن التصورات تقترض عليهم فرضاً، يفرض التناظر عن الزيادة، أما اليسار الصهيوني فيقترض تاريخياً أنه قدر على إقناع الشعوب اليهودية بوجاهة منطق، والمثاقفة براية تكمن دائماً عند «الزعماء المظفرين» أو «المختفين» الذي يستخدمون القضية الفلسطينية كوسيلة لتقوية نفوذهم بصرف النظر لشؤونهم مع فلسطينية الدخالية وعلى أية حال فقد العرض باراك أن سوريا سوف تقبل ما يعرضه عليها، وأن الجولان باكله ما على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبريا، هكذا وقع باراك خبيرين أمام السوريين، أما إقناع ما يتقرر أو الانسحاب من لبيان من طرف واحد، وقد بلغت مسودة السورييين باعين الإسرائيلييين لتساع الانتشار وعمق القاعة أن بعض العرب صدقوا

للقاومة اللبنانية ليست بنظر السوريين لا ورقة تفاوضية للجنة، بل كانت شعاعات من تحت عنقا أحد سوريا، أن سوريا عملياً قد انقلت مع إسرائيل وما على الفلسطينيين إلا السابعة يومهم للقول ما يعرضه باراك. والنتيجة أن سوريا كما انتهت لم تقبل سوريا موقفها بشأن ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران والسبت إسرائيل من طرف واحد ومن الجانب

التناقض بين شلي المجتمع الإسرائيلي الإسرائيلي لا يحدد حول التزامات المرحلة الانتقالية إذا، وكان هذا موضوع انتقادات السابلية على نقاش التماس طيلة الأصوام الماضية، كما أنه لا يدور حول مبادئ العمل الدائم، وإنما يدور النقاش حول العمل الدائم ذاته تحت سقف هذه المبادئ. أي إذا انقضى البكود وحزب العمل على أنه لن تكون عودة للاجئين الفلسطينيين إلى حدود عام ١٩٤٨، وأنه لا انسحاب إلى حدود الرابع من حزيران ٦٧، وأن القدس الشرقية لن تكون تحت السيادة الفلسطينية وأن غلبة المستوطنين بالية تحت السيادة الإسرائيلية، يبقى الخلاف على مساححة الدولة الفلسطينية ونوع صلاحياتها وطبيعة علاقاتها بإسرائيل والدول العربية المحيطة، ولا شك أن النقاش على حجم ومساحة الدولة ومدى مهارتها لسيادتها على الحدود هو النقاش الأكثر أهمية. وضمن هذا النقاش ذهب باراك بمسجداً إلى درجة طرح ساية فلسطينية على أحياء عربية في القدس وإلى توسيع مساحة أحياء المستوطنين مع بقائه ٨٠٪ من للمستوطنين تحت السيادة الإسرائيلية على مساحة لم تحدد بعد من الأرض تتراوح بين ٨٠ ٪ من أرض الضفة (دون القدس)، وبقية مساحات أخرى تحت سيطرة أمنية إسرائيلية خاصة في الأقاليم.

لم يطرح باراك هذا الاقتراح في كتاب دبغير بل طرحها الأليات المتحدة التي تناقضت مع إسرائيل قبل طرحها، أي أن أمريكا في كتاب دبغير أوصفت لأول مرة رسم إسرائيل، ولم ترغب إسرائيل بالانحياز بهذه الاقتراح قبل أن تسمح للفلسطينية عليها كاتفرحات أمريكية أو.

هذا اعتقاد باراك ومعه الائتلاف الحاكم من هذه الأليات التي عكفت كل الائتلاف الحاكم واتسحاب وزير الخارجية وكنته الماهجرين الروس منه سوف تقبل فيقول أن لم يكن ترجيحاً لدى القادة الفلسطينيين، لأن لالحسابات التي يجب أن تتم من وجهة النظر الفلسطينية بإبرام حبيب منطقت معطية فلسطيني لتنازلها، أي حسابات موازين القوى المحلية والإقليمية والعربية.

وبوجه هذا المنطق يحسم، «الفلسطيني المختفرون» إسرائيلياً ما يلي: (١) لا يمكن تحصيل ما هو أفضل من هذا الاقتراح ضمن

اتفاضة الاقصي والقمع الإسرائيلي للتسوية في استعسار للصراع الذي دار في مفاوضات كتاب دبغير بوسائل أخرى. لقد انتهت المرحلة الانتقالية من مفاوضات أوسو دون أن يتوصل «الطرفان» إلى اتفاق حول المبادئ التي يجب أن يصاغ على أساسها العمل الدائم للفلسطينية، وذلك كتسوية تاريخية، بين الطرفين، ولقد حدد اتفاق أوسو في حبه قضايا الحل الدائم بالعناصر الثابتة اللاجئين، السيادة، الحدود، القدس، الاستيطان.

ولكن اتفاق أوسو حدد الأمثلة ولم يجد الأجوبة، وتجربة الشامي سنوات الانتقالية التي كان من المفترض أن تنهي اللجة بين الطرفين أدت في الواقع إلى العكس. فقد حاول الطرف الإسرائيلي أن يستغلها لتحويل وجهة نظره حول الحل الدائم إلى واقع على الأرض، وتحوّلت الإجابات الإسرائيلية حول مسائل الحل الدائم بالتدريج إلى إجابات إجماع صهيوني تجلت في برنامج باراك الانحسار الذي لم يأخذه العرب بالجدية كاتفاهة إذ كانوا مشغولين بالاحتفال بهزيمة كاتفاهة.

وقد قلنا وكشفتنا في حينه أن باراك وتناهبوا وبعثان وجهتي نظر متقاربتين بأفندية لعدم جدوى «الانتخابات الإسرائيلية» في المرحلة الانتقالية، أي دون التزام فلسطيني بوجهة الحل الدائم، وهذا يعني أن تنقيهاو وباراك لم يربها بتطبيق إلى التزامات لها علاقة بالانسحاب وإعادة الانتشار أو إطلاق سراح السجناء «مجمعة» في إطار لرحلة الانتقالية ودون تنازل فلسطينية فيما يتعلق بالحل الدائم، ولقد حاول تنقيهاو عرقلة واعادت الانتشار، الأمر الذي أدى إلى أن التزام تنقيهاو وألى ضعف دولي وحسلي إسرائيلي، عرقله أجبره على تنفيذ بعض منها في اتفاقيات وداو، ولكن باراك الذي يشارك تنقيهاو وجهه التفرع ولم يبق إلا إعادة انتشار سوى ما التزم بها تنقيهاو، مع القلق له لم يوجد لباراك أي ضعف دولي أو محلي، بل على العكس فالتفكير للحل الأوجه لباراك يأتي من اليمين، لقد اضطر تنقيهاو إلى تجديد الأيد في مستوطنة جيل أو غيم جنوبي القدس تحت ضغط دولي وحسلي إسرائيلي، وتنامي فلسطيني، ولكن باراك عراده الياء، حالياً تسويق شاق هذه المستوطنة للبيع دون ضجة تذكر.

بشكل مختلفة ما لبثت أن تحولت إلى تنظيم خلايا مسلحة.

هذه المرة انطلقت بمظاهرات الاحتجاج الشبابية لملائة الجنود خارج التجمعات السكنية مقدمة للجنود الإسرائيليين دون أن يتحركوا من مواقعهم أهدافاً للقتل، ولأن الكيان الفلسطيني الوليد قائم وحى يبرز باربعين ألف شرطي فلسطيني مسلح لمبن معني تنظيم الخلايا المسلحة هو مبادرة إسرائيل لتحويل المواجهة إلى ما يشبه الحرب غير المتكافئة والتي يصعب تحويلها إلى حرب عصابات دون عمق عربي لتجا إليه، فإسرائيل تحيد المناطق الفلسطينية من جميع الجهات لفلسطينية على حدة، وسوف يكون من الصعب جرها لمحاولة احتلال التجمعات السكنية الفلسطينية لتحمو المواجهة المسلحة وغير المسلحة المباشرة ضد من يحكم المجتمع الفلسطيني مباشرة.

استراتيجية الانتفاضة غير واضحة إذا، ويصعب تحويل الانتفاضة العربية الحالية إلى تضامن سياسي فعال مع ما يبدو كاستمرار للنواحيات على نقاط التماس مع إسرائيل كما كان الحال في كل أزمة تفاوضية في الأصوام الأخيرة مع الفرق لها على نطاق أوسع وأشمل، ولكن التفاوض هذه المرة يدور حول الحل الدائم والعناصر الأساسية المتخوة للفلسطينية الفلسطينية.

لا يقارب التحرك الجماهيري العربي ولا يشبه بالأساءة ومدفه وحاسمه إلا التحرك العربي عام ١٩٦٧ تضامناً مع مصر، ولكن في حبه لم يكن التضامن مع ضحية عدوان ففسب بل مع مشروع وطني قومي بدأ مبادراً باخترين والتمسح والتفكير، وهو أيضاً مع مشروع يشرح بحياة أفضل في كافة أرجاء الوطن العربي، هل كان هذا التضامن الحقيقي وهماً؟ ربما، ولكنه غير متوافر حالياً، لا يوجد إيمان يشعرو أنه لا يوجد مشروع، وما يعوض عن غياب المشروع هو زمرة ومرتزقة القضية الفلسطينية والقدس والأقصى التي حولت سمعة الدولة إلى شهيد ليس للكيان الصهيوني، لقد استدارت الانتفاضة الجماهيرية الفلسطينية بفضل السيد القومي المفضل للفلسطينية، ولكن الانتفاضة ليست تعبيراً عن مشروع قومي فهل هي تعبير عن مشروع وطني فلسطيني أم لا؟

وهنا في هذه الحالة بالذات يظهر أن المفاهيم الإسرائيلية والإسرائيلية الصراخ بيننا من سبيلنا مختلفين لثلاثة بينهم. فقد تصور باراك أن انسحابه من لبنان من طرف واحد يشكل ضغطاً على العرب، كان اعتقد مخفياً أن الانسحاب من طرف واحد يشكل انحصاراً لإسرائيل بخربة أنه قطع وعداً للناخبين الإسرائيليين والمتمزج به.

ولكن في ذلك العالم الآخر الذي لم يلجه باراك إلا بمقتضى بل. فلن قالنا، بنا الانسحاب الإسرائيلي من طرف واحد كتهزيمة مادية، وكهزيمة معنوية تلعب قيمتها اضعاف تلك المادية. وقد ثبت درجة عالية من اليقون أن انتصار المقاومة اللبنانية الجبر عنه واضطر إسرائيل إلى الانسحاب دون اتفاقيات كان عاملاً أساسياً في نشوء الحالة العربية السببية التي نراها. حتى تفصيل الموقف اللاعقضي الفلسطيني وفي رجع معنويات الشعب الفلسطيني الكفاحية. كان باراك قادراً على تفاوض مع السوروني واللبنانيين والنفوس العربية في الحروب باتفاقيات سلام مع سوريا ولبنان. ولكنه تفاوض مع بشر من صنع خياله وليس مع العرب الفلسطينيين، وهذا هو الفرق بين النماذج في المفاوضات الفلسطينية والعسكرية في الحرب، القاذبة العسكرية يفترض أنها الطرف الآخر ويخضع خطفه وأرجحه بناء على تقدير سوريا ويخضع الطرف الآخر ولكن المفاوضات النماذج يستلجج أن يحاول الطرف الآخر والتشديد بواباء ويتصرف عليه. فقد اضطر باراك أن يتصرف في المفاوضات كقائد عسكري. وتذكر هذه الحالة فلسطينياً مع فارق واحد: أن بعض الفلسطينيين في القوات المسلحة التي قادت مع الإسرائيليين أثناء المفاوضات جعلوا الطرف الإسرائيلي يعتقد أن اقتراحاته مبنية. وكان هؤلاء مشغولين في عملية تناسل فلسطيني داخلي على الزعامة.

ومن مميزات الزعامة الأساسية في حضية أوصلو اقتساب القبول الإقليمي الأمريكي، وفي الحالة الفلسطينية يرضي الخرق بين موقف الفخري الذي يفاوض ويدين السياسي، وتشتمل النقوات المختلفة لتفاوض إلى علاقات متشعبة لنخب سياسية فلسطينية متنافسة على ود أمريكا وإسرائيل. ويبدو أنه حتى النخب الفلسطينية المختلفة في قنات تفاوضي متنافسة. لم تترك حتى لقاء خامس يديف خليفة موقف الصانع القرار الفلسطيني، ومدى قدرته على صنع القرار الضغوطات الأمريكية والإسرائيلية. وحتى هذه اللحظة ورغم تخرج الانقفاضة لاسيما لا يستلجج أحد أن يفصل بين حقيقة الموقف الرسمي الفلسطيني خاصة فيما يتعلق بالحدود والمستوطنات واللاجئين.

لم أصر الطرف الفلسطيني المفاوضات على موضوع القدس التي تختلف عليه وحده ووفق على عمالة الأفكار الإسرائيلية - الإسرائيلية الأخرى. أنه لا تفرس خلف هذا الموضوع إلى الإبعاد والمعاني الزمنية من أجل إضلال كافة الناظر الأخرى؟ ما زالت الإجابة عن السؤال ضرورية لأنها تدرك حقيقة استخدام رصيد الانقفاضة النشائي.



## مطالبة القمة العربية وإعلان الجهاد والحرب والتعامل مع انعقادها كمؤامرة تقريظ للانتفاضة من معانها وغير ذلك من ضروب التشرية من حجاب تحول العمالية السياسية العربية ذات الطابع الشرقي الصهيوني إلى بث تاييزوني حي بواسطة الهاتف



في خضم معركة الانتخابية لقيادة الحكومة  
للتعبير عن هذه المسألة.

بدأت الانقفاضة الفلسطينية كتعبير عن طلب الشعب الفلسطيني عقد السلام وحلها لجأت إليه القيادة الفلسطينية بعد أن حاصرها بالترك الإسرائيلي الجارتي ديبلوماسياً، وعلى أن عرضت أمريكا ما كان يفيد من إيدى مصر، إلا أنه الرئيس الأمريكي كيرفرضه والانسحاب، أي لتفكير الأمريكية المنقضة عن باراك سلفاً وغير المنقضة عن الإجماع الصهيوني الإسرائيلي.

وقد لفتت شرقية هذه الانقفاضة منذ بدايتها، خطباً حديدياً يربط الشعب والقيادة الفلسطينية، لافتكاً منه دون الحساس بقدر الشعب الفلسطيني وحرمة الشرف، وهي وحدته الوطنية في مرحلة التحرر الوطني. لقد أصبح من غير الممكن القبول بإعلانات باراك كخيتون من كاذب يفيد حتى مع تحديثات وتغييرات في التسميات.

ويكسب بعض الفلسطينيين أن الدم الفلسطيني المسفوك بسفاه (والإسرائيليين يندم الشعب من قبل القيادة أم غير محمود)، أن يمنع البهش الأخر من استخدامه لتجوير تحجيز خاصة وإن حجة عدم تحرك العرب رسمياً كقول جازفة فلفاً، والحجة والتبرير حاضراً، حاولوا ولم يفسدوا أحد، ولا تستطيع الاستمرار بهذا العدد من الشهداء يومياً. ومما عيلاً للإفول بل لم يكل قيل الانقفاضة، وبهذا تحول الانقفاضة من سنة فرض الإصلاات في إسرائيل إلى تمرير إلى النضال والتفكير، وعلى من يشاهد حالاً عاماً لا مسجده تسوية ناجمة عن موازين القوة والحظية ومن برجاسية تحلقية، أن يتخلل من بعض المساعف من أجل وضع استراتيجيته: (١) أنه يوجد حل عام وشم للمسألة الفلسطينية على المدى القريب: (٢) أن لا يستلجج إلا تسويات مؤقتة لا تنهي الصراع شرطية إلا تحمل توقيعاً فلسطينياً يتناول من حق العودة على القدس: (٣) أن الصراع من أجل حل عام وشم من صراع طويل الأمد وموضوعه ليس «الأممي» والبارك أو القدس الشريف بل موضوعه من العدالة للشعب الفلسطيني، والتحرر من آخر استعمال واحتلال سلفي، وبهذا المعنى فإن الأممي والقدس هي أرض والقدس تحت الاحتلال ونقدها هي حافز للنضال تحت تحريره. ولكن قسديتها لا تجعل احتلال أرض فلسطينية أخرى والإستيطان فيها أمراً مبررة في غياب القدس: (٤) أنه إذا لم يوجد إحد أو فرض حل مقبول للقيادة الاحتلال بواسطة تقسيم فلسطين بين دولتين سينشأ تقسيم جديد هو بين شعبين على نفس الأرض وليس نطاق الهيمنة، أي في نظام الإبراهيمي.

على هذه المسلمات تبني استراتيجيته التي تتصلب بين تحرير الوطن وتحرير الإنسان ولا تستطيع إسرائيل أن تحساق على نظام أبراهيمي مع الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع دون استيراده إلى داخل الخط الأخضر.

وخشية الأمل وتلقين الفلسطينيين درساً على «المساهمة لعملية السلام، وإحداث هذه السلام، الحاكمة عام شامياً، فقد حاولت هذه أن تلقى الإسرائيليين بقول كل «الناظر أن» كاذب يفيد أن الفلسطينيين يريدون السلام، وتأتي لخصم الانقفاضة لتثبت أن الفلسطينيين لا يريدون السلام، وبهذه الفجاجة يتم لتعامل مع كل النوع.

ولكن على أية حال لم تترك مفاوضات كاذب يفيد واتحمة الديبلوماسية والإعلامية الإسرائيلية التي تتنها من مخرج أمام الشعب الفلسطيني إلا أن تفسا لشعبها في هذه الصورة تبدو رواية شائون غير المرحب بها في الأقصى جرد قصير.

ومع ذلك بالإمكان تخيل قنود شائون إلى العم القمسي الشريف مسفلراً لتعليقاته أنه من انقفاضة تتكون، ولكنه جاء في فترة الأزمة بعد أن تفضحت الموقف، وبما أن كنوع من معارسة استغزاية لقيادة الإسرائيلية على الحزم، «والزيارات البردية» دون هدف، أي بهدف الزيارة فحسب لذيت السيادة أكثر مما يائنها الاحتلال العسكري. ولكن شائون أراد أن يثبت السيادة كاز مفرع من إلى درجة القيام بزيارة «بردية» دون مناسبة ثابت العكس، أي أنه لا توجد زيارة عهده إلا تتحول إلى إعادة احتلال عسكري للحرم.

وبهذا الاحتلال أراد شائون أن يمتحن نوايا باراك هل سيحسرس ببارك زيارة تميم المعارضة إلى سيمسار السيادة رغم أنه العرب أم سيستلجج عنها خوفاً من رد الفعل العربي، ود مع باراك في امتحان شائون العربي، وبهذا

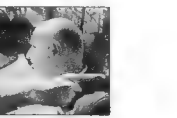


لقد اعتبرت الانقفاضة والر الإسرائيليين الحربي عليه، أو الاستغزاز الإسرائيلي وأردى كاذب يفيد اقتضائي عليه استغزاز لفرع الذي دلر في كاذب يفيد بوسائل أخرى. إنها تعبير عن صراع إرادتي بين العندين الأممي المقسول فلسطينية ختمتة تاريخية ضمن الشرعية الفلسطينية والعندين الأممي ضمن الإجماع الوطني الإسرائيلي، أي يقصر باراك في الحفاظ عليه عندما يتم الصلح من تسوية ندامة مع الفلسطينيين. وما «الذات» التي فسحنا أمرها

الأرجح أن يتحول الدم المسفوك في هذه الانقفاضة إلى صفة في الأممي الذي ضمان لعدم قبول الإصلاات الأمريكية الإسرائيلية، ولكن مازال الاحتمال قائماً لكي تستخدم الانقفاضة لتصور العجز من تغيير مواءة القوي، وتضائل الموقف العربي، وعدم قدرة الشعب الفلسطيني على احتمال هذه أفضاحيا اليهودية دون إنجذارات مملوسة. وهذا يبرر للعودة إلى قول ما لم يقل في كاذب يفيد بعد أن يلتفت القيادة الفلسطينية ما يوسعها دون فلتة، والمطوب في هذه الحالة أن تتعاون أمريكا لتعديل بعض الاقتراحات المنقضة بالسيادة على الحرم الشريف، هكذا قد تتحول قضية الحرم من أصعب القضايا إلى أسهلها مقابل موضوعات مثل اللاجئين والحدود والفلسطينيين أن الصراع في نهاية المطاف ليس مجرد صراع على السيادة الإسرائيلية على الحرم.

بعد أن طرحت الأفكار الأمريكية في كاذب يفيد، انطلقت القوة بالذات الأمريكية إلى للنخب الفلسطيني، وبما يعني أن رفضها من قبل الفلسطينيين يعني رفض السلام. وقد اتخذت الإدارة الأمريكية موقفاً واضحاً بعد المؤتمر يحمل الفلسطينيين مسؤولية الفشل، واعتبرت إسرائيل كما هو متوقع هذه المرحلة إنجذراً ديبلوماسياً لها. وبعد أن ختل، عرفت باراك تحسين أيضاً أن الموقف الأوروبي ليس مانصراً للسلام العربي وأما لعناية السلام فحسب. هذا ما تضمنتها شبه الخريز مع تيار حزب العمل في السياسة الإسرائيلية.

ومع أوروبا الغربية التي تعبر على وجود هذا الاحتلال إنجذراً يجب أن يصفه طيرة العرب لا يكتفينا بوضع تصور خاطي للحرب بل يشعرون بخيبة الأمل والفرارة وعملاً لا يتصرف عليهم بموجب صورتهم المتكشكة في ذهن قوى السلام الإسرائيلية والأممية. وهذا العاصم الخفية والقصبة لدى قوى السلام الكفاحية حالياً في إسرائيل تصيف إلى القمع الاحتلالي المدعوم ضد الانقفاضة عنصراً جديداً هو الضرب والتمقة وتصفية الحسابات



تصوير فلسطين



كل من يستعجل الحال حالياً يعني القبول بالاتجاهات الإسرائيلية الإسرائيلية وقد عدلها الانتفاضة الفلسطينية في بعض نواحيها إيجابية، وسلبياً في نواح أخرى مثلها مثل الاحتياطات الأمنية الإسرائيلية. رفض الإقترحات الفلسطينية المعلقة والتي سوف تعتمد بناءً على حل طوارة مؤقت وكما اقترحت من ملامسة الواقع ذاته، رفض هذه الإقترحات يعني الاستمرار للنضال على لدى البعيد، والتشال على لدى البعيد يعني عدم تذير وجهر الشعب الفلسطيني الكفاحية بسرعة والتفكير في تفاسي يرافقه عدد كبير من الخصائص والإجازات لا تتناسب مع حجم التضييق وصولاً إلى اليأس والقنوط. واليأس والقنوط يعني اللجوء إلى الحلول غير القبولية سلباً، أي الاستمرار في بنى يعني القدس الطويل ترشيد التضييق ووسائل الفصل وتوزيع العدى على فئات اجتماعية واسعة.

لا يمكن تحويل المحاصرة الكفاحية العلنية للشعب الفلسطيني إلى نضال مستمر طوارة وخلافه وإلّا ما أدى وهوي وهوي دون تمكين الاحتلال الإسرائيلي من محاصرة المدن والقرى الفلسطينية والأحياء والمجاري، بل بالإمكان محاصره هو على الأرض كاستياف، وعلاياً كعمالة استعمارية بلبت مدلة حتى اليوم.

يجب أن نعلم العالم، والمقصود ليست ملكة السويد ولا جوار، بل الشعوب ومؤسسات المجتمع والقرى السياسية المعلقة فيه أن إسرائيل هي نظام إسرائيلي يقيم حقوق الإنسان والمواطن، ولا تستطيع الحركة العربية أن تلتزم أحداً بذلك إلا أنها لا تحترم حقوق مواطنيها تحديداً. إقتضت الفلسطينيين والمجتمعات العربية في القاهرة على إقناع العالم بشره أن تفرض فواها الاجتماعية العالمية بحسباً سياسياً إعلانياً متناوياً وطنياً سلباً في الوقت ذاته، وليس فيجيباً ومزايلاً على مستوى الشعار ومتفاعلاً ووالصعباً إلى درجة تخريب كل شيء عدا المصلحة المادية المباشرة عند النطقين. وإمكانه دون القوى الاجتماعية أن تبرز الدول العربية والإسلامية ذاتها لتضع إحتياجات كبيرة تحت تصرفها.



تصعب الانتفاضة حتى مجرد البحث بنيتها لها، ويبدو واضحاً أنها تقتصر إلى بنيتها هزيمة على الأقل، إلى التواجد فيقادة المقاومة وأحدة توجدها فعاليتها في حالة الإقليم، وإلّا كانت توجد قيادة معنوية وأحدة على مستوى المدينة الواحدة. إن يبدو واضحاً أن التناقص بين الإجابة الأمنية الفلسطينية على التناقص في صفوف تنظيم فتح ذاته، وإلّا سعلما بوجود قيادة تنظيمية واحدة مقلق جداً ولا يفيها الفلسطينية أو يأس عرفات تحديداً، لا يبدو أن الانتفاضة تقترت بناءً على استراتيجية محددة أو أن هناك استراتيجية سياسية تحكم استمراريته.



## اتفاق أوسلو حدد الأسنلة ولم يحدد الأجوبة، وبجيرة الثماني سنوات الانتفاضة التي كان من المفترض أن تبني الثقة بين الطرفين أدت هي الواقع إلى العكس، فقد حاول الطرف الإسرائيلي أن يستغلها لتحويل وجهة نظره حول العمل الدائم إلى وقائع على الأرض



متعلق بارض فلسطين في العام ١٩٤٨، كل هذا مقابل تطبيق القرار مجلس الأمن ٢٤٢ و٢٢٨ والقائمة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشريف. ولكن القواعد الفلسطينية وجدت نفسها تقاضى على أرضها عام ١٩٤٧ بما في ذلك قبول ٢٨٠ من المستوطنين على الأرض تحت السيادة الإسرائيلية، من تحديق سيادة فعلية على القدس الشريف على اليد، وهكذا وجد أن إسرائيل لا تتنازل عن كل ما استلته عام ١٩٤٧، من أجل تحقيق شرعية وجودها يامن وسلا في العام ١٩٤٨، وإلّا تلتخصيت بعض من أحداثه مع عروى ٦٧، كما تبين أن إسرائيل تتعامل مع موضوع اللاجئين ليس كموضوع نقاش وتنازل شرعي، وإنما كموضوع مطروء عنه ويكاد يخرج النقاش.

نقاش إسرائيل من أجل تحقيق فصل بيومغرافي بإخافة على الدولة اليهودية، ولديها إسماعيلها لاحتفاء هذا الفصل الديموجرافي على أساس دوائين ولعدة يهودية والأخرى عربية يتقلى تماماً وحق الدولة، وحق الدولة لينة العودة بقوة التحرير بل على الإقزام الأطراف بالعودة إلى اتفاق، أي عودة اللاجئين إلى أرض إسرائيل، في إطار أن هذا مستحيل التحقيق في أيدي البشر القلق.

في أي حال لا نقاش إسرائيل من أجل إحقاق العدالة للشعب الفلسطيني، وإنما بغرض إحقاق العدالة والآن لها في المنطقة بفرض فصل ديموجرافي ممكن مع العرب يحافظ على يهودية الدولة اليهودية، وهي تلمع أن الثمن الذي عليها لا تدفعه من قبول الدولة الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات، ومحاولة تحديد سيادتها أمر إسرائيلي. وقد تحدرت في الأونة الأخيرة في السياسة الخارجية الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية قناعة معادها أن الأونة الإسرائيلية الفلسطينية الأساسية هي قضية الدولة، وليس الدولة حول بقية القضايا إلى تفاصيل ثانوية يمكن الوصول إلى حل وسط بشأنها، من قبل قول ٢٨٠ في الأرض إلى إسرائيل خلال عامها ٢٨٠ في المستوطنين (وإلّا كان تضيق الرقعة أكثر في المفاوضات، وتنازل إسرائيل، وزيادة عدد المستوطنين)، كنزاً سيادة فلسطين، على عاصمة دولة فلسطين شرقي القدس،

تسعى إحياء معيئة باسم القدس ويمنح الفلسطينيين فيها إدارة ذاتية.

ما الذي يحصل هنا؟ إسرائيل تقاوض على العمل العالم بتجزئة القضايا بمقتضى المرحلة الانتقالية والفلسطينيون بأوا المفاوضات بإحدى الأقصى من التنازلات يقول ميذا القسوية التاريخية على أساس خطوط ٦٧، وهذا يعني أن أي تفكير بتجزئة لا تدل على يقاوض عنه الفلسطينيين، وفي وثيقة أوسلو ذاتها هي عبارة عن قطع بالحد الخي بالنسبة للشعب الفلسطيني.

لا يمكن التوصل إلى حل دائم بين هذين المنطقين المختلفين أي أن التسوية التاريخية لتصلب إسمائهم أحد الطرفين عن نتيجة التفاوض ومنطقه أو تنازل كليهما والطريق إلى مثل هذا التنازل حالياً هو كسر الإرادة القوي أو استنزاف الطرف الأخرى على اليد البعيد، ولا يستطيع الفلسطينيون كسر إرادة إسرائيل قوياً وإلّا إجراء بعض التعديلات على إقترحاتها.

ما يبرز إناً هو استراتيجية بعيدة المدى، وهذا يحتاج مجرّد لعب دور الضحية، وكل إيجابا الاقتصادي والإداري والاجتماعي وسياسي على الأرض دون التوقيع على تنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني هو إنجاز ضد إسرائيل ضد الاحتلال.

وسوف يكون لزاماً على أي قيادة فلسطينية شرعية أن تجد السبل لنزاع القضية الفلسطينية ملقحة دون توقيع على تنازل عن أي مركب من مركباتها، وفي الوقت ذاته يتاح للشعب الفلسطيني بناءً ذاته وإقتضاه وتطور نفسه كجسم لا يتواصل الفصل ضد الاحتلال، والمطوب وهو وضوح الحقوق وتفرغ عصرى الإرادة والمثابرة من أجل تحقيق هذا الهدف دون البحث عن طرق مختصرة ووغرة.



وتتطلب هذه الاستراتيجية التضالعية استراتيجية إعلامية ترافقه، على مستوى الراى العام العالمي. ولدى العرب بشكل عام منحاو إلى يقينية إسرائيل، والواقع أن هذا الموقف العربي الضعيف لا يتجاوز «فشة الخلق» بالمعنى الفلسطيني، وهو في الواقع العملي اعتراف بالحد، أو تعبير عن عدم رغبة بتوضيف متطلبات الصراع مع إسرائيل على الراى العام. إالّا أن يريد أن يدافع عن حقوق الإنسان الفلسطيني لا بد أن يسال من مدى احترامه مع لحقوق الإنسان والمواطن في يده.

لا تستطيع الأنظمة العربية أن تدافع عن حقوق الإنسان الفلسطيني بنيتها حتى إسرائيل، ولست لديها مصداقية، وهي لا تغير تعاملها مع حقوق المواطن في يدها من أجل تحسين صورتها ليسمح بإمكانها الدفاع عن حقوق الإنسان الفلسطيني، وهي تفصل، ولعل



أمريكا في كامب ديفيد فلوضت لأول مرة باسم إسرائيل، ولم ترغب إسرائيل بالانتماء بهذه الأفكار قبل أن تسمح لها الفلسطينية على إقتراحات أمريكية أولاً. هكذا اعتقد باراك وبمه إتلافه الحاكم أن هذه الأفكار التي كتلت كك الإحتلال الحاكم وأنسحاب وزير الخارجية وكتلة المهاجرين الروس منه سوف تلقى قبولا أن لم يكن ترجيحاً لدى القيادة الفلسطينية.



الغالب، ولكن تعقيدها كامن فيما يعبرها  
(١) تشابكها دولياً مع المسألة اليهودية؛  
(٢) تشابكها مع المسألة القومية العربية  
لقد أدى تشابكها مع المسألة اليهودية إلى  
صعوبة التعامل معها دولياً كقضية استعمار



في هذه المرحلة يجب التأكيد ان إسرائيل بحاجة قصوى إلى حل دائم وشرعي، وهي المعنية بالإسراع، ليست العجلة إذا من الشيطان في هذه المرحلة وإنما من إسرائيل.

أما إذا كانت هذه التسوية التاريخية متعذرة وغير قابلة للتحقيق، فلسطينياً وإسرائيلياً، فأمامنا صراع مستديم ضد الانتداب أساسه عنصر المواقفة الواحدة في بلد واحد لشعبيين، بحيث يفتقن تحرير الوطن مع تحرير الإنسان، وعنى أي حال فقد تفضل إسرائيل حيال الحرب الشاملة على هذا الخيار الأخير. هذا ما سوف توضحه الانتفاضة ■

أما تهديد خارج الخط الأخضر دون استيراده إلى داخل الخط الأخضر بشكل يجمع الفلسطينيين على جانبي الخط الأخضر (السكان الأصليين) في النضال ضد «شعب الأسياد». وهذا سبب لخزي إسرائيل من

ويبدل أن يطرح الفلسطينيين أن عندهم هو  
ف الضعفاء وأصحاب الحق في الوقت ذاته،  
هو عنف مبهر، نرى بعضهم يكثر العنف  
لفصل ويعتبره مجرد دفاع عن النفس،  
بعض الآخر ينجر إلى مقارنة بين الشباب

Flight	Departures +	Arrivals +
EF025	ENGLAND	QATAR
EF001	HONGKONG	EGYPT
EF254	YEMEN	ETHIOPIA
EF261	NEWYORK	JORDAN
EF255	SAUDIARA	BOTSWANA
EF013	KUWAIT	KENYA
EF225	JORDAN	NAMIBIA
EF420	EGYPT	MOROCCO
EF540	SPAIN	ZIMBABWE



EFG - Hermes

# المجموعة المالية - هيرمس

## خطوط الخبرة المالية

### تغطي الشرق الأوسط وأفريقيا

لا يوجد في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا شركة لخدمات الإستثمار أكثر التزاماً بإدارة التعاملات المالية من المجموعة المالية - هيرمس.



**EFG - Hermes**

خبراء الإستثمار في العالم العربي وأفريقيا

[www.efg-hermes.com](http://www.efg-hermes.com)

شارع التحرير - القاهرة

تلفون: 19221111 (1 خط) 19221111 (1 خط)

تعد المجموعة المالية - هيرمس مؤسسة مالية متكاملة وخدماتها تشمل: بنك إستثماري، وساطة في الأوراق المالية، إدارة الصناديق والمحافظة المالية، الإستثمار المباشر.

# غزو الهامبورجر!

مصطفى عبد الرزاق نوفل



## العولمة الغذائية تعتبرها الدول المتقدمة طريقاً

زيادة مصالحتها، إلى الانتفاضة الاقتصادية بفرض سيادة تسويق منتجاتها الغذائية في أسواق الدول النامية، بينما تهدف الدول النامية بدورها إلى استخدام العولمة الغذائية كوسيلة للخروج من المشاكل التي تواجهها مثل نقص الغذاء وضعف مستويات التغذية بين المواطنين وزيادة معدل انتشار الأمراض وما يصاحبها من مظاهر وقبيح الفقر والتخلف



ماكولات هذه الحضارات كنظم غذائية صحية تقدمها لواطنيها، وتعمل على تطوير هذه المأكولات لإنتاج أغذية صحية وولائية بل وعلاجية أيضاً في أسوأها التجارية فط.

ولقد بدأ هذا الاتجاه المتخالف في مجال العولمة الغذائية خلال النصف الأخير من عقد الثمانينيات، عندما اهتمت المؤتمرات والفترات العالمية الغذائية بضرورة إيجاد وسيلة مبسطة توضح قواعد التغذية السليمة للمستهلك، وتحدد له مكونات الوجبات الغذائية الصحية وتكميلاتها المناسبة التي يجب أن يتناولها من كل مادة غذائية. وعانت الحاجة إلى تلك جميع هذه المؤتمرات على أن هرم قدماء المصريين هو أفضل شكل يمكن استخدامه كوسيلة لنشر قواعد التغذية الصحية للمستهلك

وقامت الولايات المتحدة بأول تصميم فعلي لهرم غذائي يمكن استخدامه كدليل يرشده المستهلك إلى مكونات الوجبة الصحية اليومية. وعندما قدم وزير الزراعة الأمريكي هذا الهرم الغذائي الصحي في مؤتمر عالمي في عام ١٩٩٢، كانت الحاجة لتناول أي مادة تعتمد الوجبة الصحية في هذا الهرم الأمريكي على تناول الحبوب والبروتين والحبوب والفاكهة، وأن تتساوى الحبوب والدواجن والأسماك مع البقول والبضيص لتصبح المستهلك حق اختيار تناول أي مادة غذائية منها مع إتبعه بنفس القواعد الغذائية التي تتكامل مع تناول بنية أغذية الهرم.

وعندما وجد خبراء التغذية في الدول المتقدمة أن هناك تقارباً بين ما يدعو إليه هرم الغذاء الأمريكي الذي صمم في عام ١٩٩٢ مع وجبات أغذية قدماء المصريين التي كانت متباعدة منذ حوالي ٤٥٠٠ عام،

لقد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٠م

كبيراً لتحقيق أهدافها من العولمة، بينما نجد أن موقف الدول النامية مازال ضعيفاً وغير مؤثر في اتجاه العولمة الغذائية، مما يحرمها من التمتع بأى مميزات أو مكاسب من انتشار هذه العولمة.

ويمثل الاختلاف بين دول العالم في تحديد أهداف للعولمة جانباً واحداً من المصلحة العالمية التي أصبحت أكثر تعقيداً بالظهور جوانب أخرى، وهي الجوانب التي قد يمكن وصفها بالاتجاهات المتناقضة للعولمة الغذائية. فضلاً عن دفع العولمة الغذائية النامية إلى تغيير الكثير من تشريعاتها ومن أنماط استهلاكها الغذائي المعتادة محلياً، بهدف تسهيل تسويق منتجات العولمة الغذائية بها وتأكيد سيادة تواجدها في الأسواق المحلية لدول العالم النامي. وفي الجانب الآخر، تعمل الدول المتقدمة على إيجاد تشريعات لديها لمنع دخول أي منتجات غذائية من الدول النامية، مما يمنع من إنتاجها نفس النظم الغذائية في الدول المتقدمة. وحيث أن الوضع الاقتصادي والمواضع للدول النامية لا يسمح بذلك، فإن العولمة تظل قلقة في اعتقاد واحد نحو مصالح الدول المتقدمة.

## هرم الغذاء الأمريكي

ومن أهم نتائج انتفاضات العولمة الغذائية أنها تعمل على استخدام الإعلام الأمريكي والتجريب لنشر مأكولاتها المختلفة مغلفة بلطفة ومزاجات غريبة أمريكية تزيد من قوة اختراقها لأسواق الدول النامية، مما يعمل على هدم الهوية الغذائية المحلية وبخاصة ما يرتبط منها بحضارات قديمة، بينما من جانب آخر تقوم الدول المتقدمة باستخدام

العولمة، أنها لا تمكن جميع الشعوب من الاستفادة من مكاسبها، ويرجع ذلك أساساً إلى الاختلاف القائم بين دول العالم حول تحديد الأهداف الحقيقية لمفهوم العولمة.

فالعولمة الغذائية مثلاً، تعتبرها الدول المتقدمة طريقاً لزيادة مصالحها الاقتصادية بفرض سياسة تسويق منتجاتها الغذائية في أسواق الدول النامية، بينما تهدف الدول النامية بدورها إلى استخدام العولمة الغذائية كوسيلة للخروج من المشاكل التي تواجهها مثل نقص الغذاء وضعف مستويات التغذية بين المواطنين وزيادة معدل انتشار الأمراض وما يصاحبها من مظاهر وقبيح الفقر والتخلف.

ومن الحظ أن منظر إلى انتشار الأغذية الأمريكية والغربية في أسواق الدول النامية تحت ستار العولمة - باعتباره بعيد الاستهلاك صحياً، لأن نوعيات هذه الأغذية عالمياً ما تكون مستحددة ومنظمة القيمة الغذائية وتختلف كثيراً عن مثيلاتها التي تقدم في أسواق الدول المتقدمة. وبما يؤكد هذه الحقيقة ذلك التناقص الهائل الذي نشط بين أواخر سبتمبر ٢٠٠٠ بين هيئة حماية المستهلك الكينية والسفارة الأمريكية في نيروبي حول المعونات الأمريكية من الأغذية المقدمة للدول الأفريقية - ومن بينها كينيا - التي تتعرض لوجبة قياسية من الحفان منذ عدة سنوات، حيث ذكرت صحف كينية أن الإدارة الأمريكية قامت بإرسال شحات من الأرز المعلبة بالهاندسة الوراثية والفاصرة بصدحة الإنسان عن طريق الأمم المتحدة إلى الدول الأفريقية لتستخفي من حدة الآثار السلبية لتلفها الغذائي في عدد منها. ومع وضوح اختلاف أهداف دول العالم من انتشار العولمة الغذائية، فإن أمريكا والدول الغربية فقط هي التي قطعت شوطاً

مع انتشار استخدام كلمة العولمة في مختلف المجالات والأنشطة العالمية، إلا أن ارتباطها بمجال الأغذية أصبح يمثل أكثر صور العولمة وضوحاً في مفهوم المواطن العادي في كل دول العالم

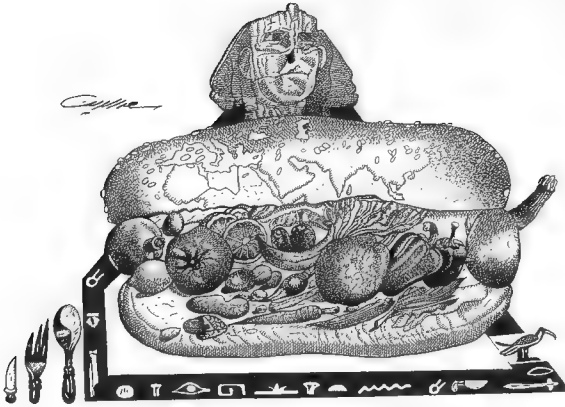
لذلك لم يكن غريباً أن تستخدم الأغذية كاهم وسيلة تعبير في الاحتجاجات المتكررة لدول العالم المعادية للعولمة، فمثلاً انطلقت أعمال الإضراب السنوي لصندوق النقد والبنك الدوليين مبكراً عن موعدها المحدد في أواخر سبتمبر ٢٠٠٠ في العاصمة التشيكية براغ، وذلك عقب مساعد أعمال العنف والاحتجاجات المناهضة للعولمة والتي كان من أهم مظاهرها تطعيم نوافذ عدة مطاعم أمريكية شهيرة بوسط العاصمة التشيكية.

وقبل ذلك، أصدرت محكمة فرنسية حكماً بالحبس لمدة ثلاثة أشهر ضد جوزيه بوليه الفلاح الفرنسي الشهير المعادي للعولمة، وذلك بسبب قيامه مع آخرين بتطعيم أحد المطاعم الأمريكية الشهيرة قيد الإنشاء في وسط فرنسا بوصفه أحد رموز الغزو الأمريكي تحت ستار العولمة الغذائية

وكان بوليه قد دفع مع الوفد الفرنسي إلى الولايات المتحدة أثناء استقبال مؤتمر "الحياة الطاقش في "سينات"، وكان يحل معه الجبين الفرنسي الشهير وبعض مبعوثات أخرى من المنظمة الفرنسية كوسيلة اعتراض ضد العولمة، وبشأن للدفاع عن خصوصية كل دولة - ليس فقط في مجال الاقتصاد والسياسية، ولكن أيضاً في مجال الأنماط الغذائية وعادات المعيشة والتقاليد المرتبطة بها والمزاولة محلياً - منذ القدم - في كل دولة من دول العالم

## العولمة الغذائية

ومن أهم أسباب اعتراض الدول ضد



ومن أهم معيرات الوجبة الصحية لدول البحر الأبيض المتوسط اعتمادها أساساً على الأطعمة النباتية، بينما تعتبر الحمية المتحضرة اليونانية مكونات ثانوية في الوجبة، لذلك تنتشر في المنطقة وجبات البطاطس مع الخضروات، ووجبات البقول بأنواعها المختلفة، ووجبات الكسكسي، ووجبات المكرونة المختلفة وغيرها، كما ينتشر تناول العاكهة والمكسرات مثل الفول السوداني وغيرها والبذور الحذائية المختلفة والزيتون.

ومن المثير للانتباه أنه بينما تقرر المؤسسة الأمريكية للمحافظة على الأصول القديمة للطعام الصحي أن دراسات الوجبة الصحية التي كانت قائمة في منطقة دول البحر الأبيض المتوسط قد حققت فائدة كبيرة لدول العالم في مجال فهم المزيد من قواعد التغذية الصحية، تنتشر في أسواق المنطقة مبيعات منتجات الوجبة التي تعارض غذائياً وصحياً مع أسس السبعية الصحية التي كانت سائدة في هذه المنطقة من العالم منذ القدم. وبمثل ذلك على حرمات شعوب المنطقة من التمسك بأصول قواعد التغذية السليمة التي ارتبطت بشراخيمهم القديم

لذلك لم يكن غريباً - في ظل تناقصات الوجبة الحذائية - أن تعلم هذه المؤسسة العلمية الأمريكية أن نشر دراسات إعادة اكتشاف قواعد الحذية الصحية لدول منطقة البحر الأبيض المتوسط يجب أن يكون دافعاً لفسحيو المحافظة على تراثها الحذائي الاصيل وإعادة احياء تقاليدها الحذائية القديمة الحذية التي ارتبطت - في الفاريخ القديم - بمقومات السلامة الصحية لهذه الشعوب.

١ - الفين والأرز والمكرونة والبرغل والكسكسي والبطاطس والحبوب الأخرى ومنتجاتها

٢ - الخضروات  
٣ - الفواكه  
٤ - البقول والمكسرات  
٥ - زيت الزيتون  
٦ - الحن والزبادي

ثانياً: تناول كميات قليلة وبمعدل اسبوعي - وليس يومياً - من مادة غذائية واحدة من المجموعات التالية -  
١ - الأسماك  
٢ - الدواجن  
٣ - البيض  
٤ - الطوى

ثالثاً: تناول اللحوم بكمية صغيرة جداً في الوجبة، وأن يكون معدل تناولها الشهري فلفلاً.

رابعاً: استخدام كميات صغيرة جداً (أو في المقاسيات الخاصة فقط) من الزبد والكريمة، مع تناول الطوى ومشروبات الحاء الغازية بمعدل قليل أو يقتصر تناولها على المناسبات الخاصة فقط

وفي عام ١٩٩٥، أضافت الدكتوروة أريتميس سسيوبولوس رئيس مركز الجينات والتغذية والصحة بالولايات المتحدة تفاصيل لقائمة الأغذية الصحية التي كانت معتادة منذ القدم في وجبات دول البحر الأبيض المتوسط، والتي منها زيت الزيتون والليمون والخل والزيتون والفين والحن والزبادي والفواكه وعصائرها والمكسرات والشوم والحبوب والخضروات والأعشاب والتوابل والمكرونة والأرز والبطاطس. ويلاحظ أن ترتيب ذكر هذه الأغذية تم تبعاً لأصليتها الصحية، وإنها تخلو من أنواع المسلي والمجربوس والدهون المشبعة الأخرى.

النعال الثامى، مما يؤكد على تناقضات مفهوم الوجبة الحذائية وخطورة تأثيرها الحذائي والصحي.

#### شدة البحر المتوسط

ولقد قامت مؤسسة المحافظة على الأصول القديمة للطعام الصحي (وهي مؤسسة علمية مقرها كامبريدج بولاية ماساشوسيتس الأمريكية) بدراسة تفاصيل قواعد التغذية الصحية التي ارتبطت عبر الحضارات القديمة الأخرى غير المصرية، بالصحة الجيدة للإنسان، وتوصلت في عام ١٩٩٤ إلى أن الوجبات التقليدية والمعتادة لدول البحر الأبيض المتوسط تمثل نمطاً صحيحة متميزة للتغذية، ويرجع ذلك إلى ما سجلته التقارير العلمية القديمة من انخفاض معدل الإصابة بالأمراض المزمنة في منطقة البحر الأبيض المتوسط مقارنة بمناطق العالم الأخرى، مع ارتفاع متوسط عمر الفرد فيها - في ذلك الزمن الجيد - بالرغم من أن الخدمات الطبية كانت محدودة في ذلك الوقت.

وكان من المثير للانتباه، أن هذه المؤسسة العلمية الأمريكية قد قدمت أسس وجبات دول البحر الأبيض على شكل هرم غذائي حتى يسهل المستهلك أن يستخذه في تكوين وجبات يومية منه.

وتعتمد الوجبة الصحية التي كانت متبعة في دول البحر الأبيض المتوسط، والتي أعادت اكتشافها لدراسات الدول المتقدمة، على ثلاثة أسس رئيسية: أولاً: تناول مواد غذائية واحدة - على الأقل - يومياً من كل مجموعة من المجموعات الحذائية التالية:

قامت الإعلانات التجارية لأغذية الوجبة - في المجلات العلمية الأمريكية - بوضع صورة «أبولون، فوق هرم أمريكا الحذائي» تأكيداً على أن أحدث نظم التغذية الصحية في أمريكا - في عصر الوجبة - تعتمد أساساً على الغذاء الصحي لقدماء المصريين، ومع ذلك تنتشر في الأسواق المصرية منتجات الوجبة الحذائية التي تنتجها أمريكا والدول المتقدمة، والتي تبعد في تكوينها وفي فوائدها الحذية عن أسس التغذية الصحية المرتبطة بالحضارة المصرية القديمة، والتي بدأت أمريكا - منذ عام ١٩٩٢ - في إعادة اكتشافها وتقديمها إلى المستهلك الأمريكي. ونل في ذلك تأكيداً آخر يوضح الجواب المتناقضة في مجال الوجبة الحذائية

والوجبة الصحية - طبقاً لأحدث قواعد التغذية الأمريكية - يجب أن تتضمن تناول المواطن الأمريكي مادة غذائية واحدة على الأقل - يومياً - من كل مجموعة من المجموعات التالية: والمزيتية غنائياً تبعاً لزيادة كميتها المتناولة يومياً.

المجموعة الأولى: الفين والأرز والمكرونة والحبوب ومنتجاتها والتشويات وهي تمثل أكبر كمية في الوجبة اليومية.

المجموعة الثانية: الخضروات

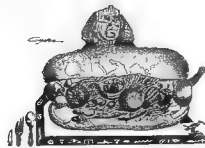
المجموعة الثالثة: الفواكه

المجموعة الرابعة: الألبان

المجموعة الخامسة: اللحوم والدواجن والأسماك والبقول والبيض

المجموعة السادسة: الزيوت والدهون والخلوى

ويلاحظ أن اللحوم والدواجن والحبوب والخلوى التي يجب أن تملأ أقل الكمية المتناولة يومياً لتتمتع بالخصائص الصحية الأمريكية، تعتمد أساساً منتجات الوجبة الحذائية التي تقدمها أمريكا إلى مواطني



## كتاب الزاوية



### المسحراتي

٢. صاحب ندا

مسحراتي صاحب ندا

منقراتي كندا وكندا

فى إيدى طبله مجروده

أمشى على ريحة الندی

والنسمه فى الجو منشد

توالى موالى والحدا

يا مصر يا واحه معده

نطق والفجر كان صدی

حتى الشجر فى الحجر شدا

لما بدأت التاريخ بدا

خمس وطول الزمن سدى

أنت الأميرة الجاهده

الإنسانیه أم الفسدا

أم الحشارة يا والده

ضمم الأهر والسیده

وآلف مساندن یدک بدا

سباج لامه مرحد

يا مصر عيش على المدى

واهدنا ثانیه مخلد

إسم الشهاده أو الهدى

النصر الأكبر على العدی

يا كمل عینی يا منجده

البعيد، يوضح بعض أسباب غزو الأسواق المصرية بمنتجات العولة المصنعة من الفول المدس والطعمية والعدس وغيرها من المكونات المصرية المرتبطة بهوية المائدة المصرية منذ القدم.

ولعل ذلك يوضح سبب سرعة اهتمام لصناتى الصناعات الغذائية الأمريكية لإعداد وتصدير أنواع جديدة من الأغذية باستخدام المكونات الشعبية للحضارات القديمة - وبخاصة الحضارة المصرية- للاستفادة من تكتلها المقلقة والمميزة ومن فوائدها الصحية والمغذية، وتقديم هذه المكونات فى صورة منتجات تغزو أسواق العالم تحت ستار العولة.

ومن هذه المكونات- كما حدثتها المجلة العلمية الأمريكية- البقدونس والزنجبيل والكرم والحلبة والذئبق والعرفسوس والذوم والبصل والبطاطا والقرنفل والرجلة والتين الشوكي، والحبان والكسبرة والتمر هندي والسمسم وشجيرة السمسم وزيت السمسم والزعرور والنعناع والعدس والبصل والريحان وخلفه ثوابل البدة وروائح الزهار وبلانها الطازجة وزهورها الجافة.

### الهوية الغذائية

.. إن استعراض جملة هذه التناقضات فى اتجاهات العولة الغذائية، يؤكد على ضرورة المحافظة على هوية طعامنا المصرى الأصيل الذى لم يمتد حديثاً فائدته للصحة، وبخاصة أن أى سياسة غذائية فى أى دولة أو منطقة يجب أن تعتمد أولاً على طبيعتها الغذاء المألوف محلياً ونظم إنتاجية المعتادة وتربية الكفاءات المتاح فى البيئة المحلية، وأن تتلقى بالتالى مع العادات الغذائية السائدة بين المواطنين فى الدولة.

ولن نتحقق المحافظة على هوية الطعام المصرى إلا بمساعدة المستهلك بكل وسائل الإعلام لكى يحتفظ بمقائله الغذائية المحلية ويعادله وتقاليده للتوارث لئلا يذهب أن تتوحد- دائماً- إعلامياً فى وضعها اللاتق- كما يجب أن يتطور الطعام المصرى بما يتناسب احتياجات ونغيات المستهلك لئلا يستطيع أن يواجه بقوة التغييرات السريعة فى منتجات العولة الغذائية التى يراها فى أسواقه المحلية.

إن سيادة تواجد الطعام المصرى فى السوق المحلية يعتمد أساساً- فى ظل العولة- على المستهلك صاحب الكلمة الأخيرة فى فرض نوعية المنتجات الغذائية التى تعرض فى أسواقه. فليس نساعد على ذلك.. أم تشركه بملهم مع الإعلانات الجذابة وجوائز وهدايا المسابقات التى تغري من هوية طعامه المصرى المفضل. وتدفعه إلى طعام العولة.. الذى لا يضمن ولا يبنى من جوع. ■

وفائدة غذائية عند تناولها بكمية معتادة ومألوفة، تشير إلى تربع الجزر والبطاطا على قمة الخضروات من ناحية احتوائها على أعلى نسب من الفيتامينات والمعادن المهمة مقارنة بالخضروات الأخرى.

وتأتى هذه الدراسة بعد سنوات قليلة من الدعوة التى قام بها أحد العاملين فى وزارة الزراعة الأمريكية والتى تهدف إلى جعل البطاطا غذاء أساسياً على المائدة الأمريكية، وليس مجرد غذاء موسمي. ولقد أدى ذلك إلى تولف منتجات عديدة من البطاطا فى الأسواق الأمريكية على صورة مسجدة (مثل قطع الطوى المجمدة من البطاطا) وعلى صورة صواب ملحية أو على صورة شيبسى، أو على صورة فطائر (بطاطا نائية)، أو على صورة رقائق، أو على صورة دوتس بالبطاطا، وأخيراً على صورة سق سطات.

وهذه النوعية من المنتجات- التى تهتم بإنتاجها الصناعات الغذائية الأمريكية- تمثل التحول الصحى نحو منتجات أغذية سريعة مفيدة للمستهلك الأمريكى، وإذا كانت الدول النامية التى تستهلك البطاطا على صورتها الطبيعية، ليست فى حاجة إلى منتجات العولة المصنعة من البطاطا، إلا أنها تحتاج إلى ضرورة التأكيد على أن تناول ما يتوافر طبيعيّاً فى بيئتها المحلية يتلقى غذائياً وصحياً على أى منتجات تغزو أسواقها تحت ستار العولة.

### غذاء العولة الصحى..

#### أصله

وكما ذكرت المجلة العلمية الأمريكية لتكنولوجيا الغذاء فى أغسطس ١٩٩٩، ثم أكدته مرة أخرى فى يونيو ٢٠٠٠، فإن ما عمل نفسه يؤثر على اتجاه نوعيات المنتجات الغذائية فى القرن الحادى والعشرين هو مدى اعتبار الطعام مألوفاً ومعشوقاً بالنسبة للمستهلك فى بيئته المحلية، وبخاصة من ناحية توافره (لذته ومذاقه) ومعنى ذلك فإنه فى ظل العولة- وطبقاً لما حددته المجلة الأمريكية- سوف يُحد من انتشار سلسلة المطاعم الأجنبية التى ترتبط بمذاق أطباق خاصة بدول معينة مثل المطاعم الصينية والمكسيكية واليابانية والإيطالية وغيرها، فيصبح عددها محدوداً بعد انتشارها الكبير فى كل دول العالم. وسوف يُفسح ذلك المجال لتسويق منتجات العولة دون منافسة من هذه المطاعم المرتبطة بهوية غذائية أصيلة.

إن ما تؤكده المجلة العلمية الأمريكية لتكنولوجيا الغذاء من أن المستهلك سوف يعود إلى تفضيل منتجات الطعام ذات التكه المألوفة والمعتادة له محلياً، بل سوف يبحث عن نوعيات الأطعمة التى تعال هويته التى كانت ترتبط بقرائنه الغذائى فى الماضى



■ هذا التعبير هو عنوان هذا الكتاب، الذي يعني في حقيقة الأمر السؤال عن يقف وراء العارف.

والقصود بالعارف هنا، مجموعة الكتاب والفنانين والصحفيين الثقافيين التي صدرت في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية كجزء من نشاط الحرب الباردة الثقافية ضد العسكر الاشتراكي والديموقراطية الشيوعية. وسوف يرى القارئ من قراءة هذا العرض أن المخابرات الأمريكية هي التي كانت تقف وراء هذا النشاط الثقافي تمويلاً وتوجيهاً. ولذلك فإن العنوان الفرعي لهذا الكتاب هو

«المخابرات الأمريكية في الحرب الباردة الثقافية».

والكتاب استغرق من مؤلفه سنوات في الحصول على وثائق وإدراجها. ويقول الدكتور إدوارد سميث في مقدمته عنه في مقال له في مجلة London Review of Books إنه عمل رئيسي من أعمال البحث التاريخي

والقيادات الأساسية التي بدأت النشاط الثقافي للحرب الباردة كانت في الغالب الأعم عناصر من روسيا أو أوروبا الشرقية هاجرت عائلاتاً من الشرق إلى أمريكا، إما زمن القيصريّة أو بعد ثورة ١٩١٧، وهم من يهود هذه المناطق. وقد التحق بعضهم بالجيش الأمريكي خلال الحرب، وعملوا ضمن سلطات

الاحتلال الأمريكي للألمانيا عقب انتهاء الحرب، وقد تم تجنيدهم في المخابرات الأمريكية تبعاً بعد ذلك.

ونرى عن البيان أن الحداثة للاشتراكية والاتحاد السوفيتي هو الذي كان يجمع بينهم جميعاً.

ومن أمثلة هؤلاء، وربما أهمهم جميعاً، مايكل جوساسون Michael Josephson. وهو ضابط أمريكي من أصل ليتواني، يتحدث أربع لغات بطلاقة، وقد عمل ضمن قوات الاحتلال الأمريكي في برلين، يهودي ابن تاجر أخشاب في ليونانيا. وصل إلى برلين لأول مرة بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧، وقد عادى معظم القارية الثورة فاعتقلوا وأبعدوا، وإذا لم تعد الأسرة إلى ليونانيا ليد، ومن عمله في قوات الاحتلال الأمريكي تم تجنيده في المخابرات الأمريكية. وأصبح مسؤولاً بعد ذلك في باريس عن نشاط «مؤتمر حرية الصحافة» وأحد المسؤولين الرئيسيين عن مجلة «مواجهة» Encounter. وهي المجلة التي غادت المخابرات الأمريكية لتعمل إحصائياً في لندن بعد الحرب، وكان رئيس تحريرها زمناً طويلاً الشاعر الإنجليزي ستيفن سبيسر.

ومن هؤلاء أيضاً مايكوف، روسي ليجش يهودي عاش في برلين قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٣. عمل مع سلطات الاحتلال الأمريكي في برلين بعد انتهاء الحرب، فكان مسؤولاً له قطوعات شهيرة وكان يتردد على شقته في برلين مجموعة من المثقفين المعادين للثورة السوفيتية وفي قطعهم مايكل جوساسون. وقد عمل ضابطاً بقسم المخابرات في هيئة الاحتلال الأمريكي في برلين.

الحرب الباردة، وقد اعتمدت في ميزانيتها على الصور والرسومات أسيرة للحكومة البريطانية. وكان بيان يقول: «لا نستطيع أن نأمل في هزيمة الشيوعية على أسس مادية فقط، إنما ينبغي أن نضيف إلى ذلك نداء إيجابياً على أسس المبادئ المسيحية والديمقراطية». ينبغي أن تقدم أيديولوجية مناصرة للشيوعية».

ولقد كانت مشكلة الإعلام البريطاني هي أنه رسم خلال الحرب صورة ودية للاتحاد السوفيتي ولستالين، وأصبحت المشكلة بعد الحرب هي: كيف يمكن التخلص من هذه الصورة القديمة وإحلال صورة معادية لها. تلك كانت مهمة «إدارة البحث الإعلامي»

ومن أول خبره هذه الإدارة كاتب هنغاري الأصل، كان شيعياً في الماضي ثم تحول إلى العداء للشيوعية. وكتب رواية «الغلام وقت الظهور» عن أسوة النظام السوفيتي. هذا الكاتب ظهر أثره كوسكر، وقد اشترت الإدارة البريطانية من كتابه ٥٠ ألف نسخة وزعت عن طريق المجلس البريطاني.

وقد قام كوستلر بإلقاء العديد من المحاضرات في بريطانيا وأمريكا، هي بمثابة دعوة للمثقفين للتعاون مع قادة السلطة في بلادهم والخطي عن الأفكار «المنحازة» التي تدعو إليها الماركسية، وكانت محاضراته هذه وزاراته هي فرصة للتعرف على خبره الخارجية الأمريكية ومساعدي الرئيس والمخفيين وأخيراً بالطبع موظفي المخابرات! وكانت المخابرات الأمريكية مشغولة آنذاك بمقولة أن أفضل وسيلة لمحاربة الشيوعية هي استخدام الشيوعيين السابقين الذين تخلوا عن فكرهم. وبالتالي فإن كوستلر أخذت

ثم هناك ثلاثة ميلان لاسكي تعلم لغة اليميدش من جده اليهودي أصلاً. هاجرت عائلته إلى أمريكا بعد ثورة أكتوبر، ولد في نيويورك وتعلم في جامعتها، وتميز بأنه حاد في مواقفه الفكرية. عمل أيضاً ضابطاً في وحدة المخابرات الأمريكية في برلين، وهو أول من أنشأ مجلة Der Monat كجسر أيديولوجي بين المثقفين الأمريكيين والألمان المؤيدين للفكر الرأسمالي، وقد عمل محرراً لمجلة «مواجهة» Encounter بعد استقالة ستيفن سبيسر من المجلة عام ١٩٦٧. بعد أن دأبت فصيحة قيام المخابرات الأمريكية بتمويل المجلة وتوجيهها.



تساعدت الحرب الباردة بين الشرق والغرب إثر إعلان موسكو عن تجاهلها في صناعة القنبلة الذرية في أغسطس عام ١٩٤٩. وبعد إنشاء الكومبارنوم عام ١٩٤٧ كهيئة تنسيق بين الأحزاب الشيوعية وتبادل المعلومات والخبرات، وإيراد مواقف حدة بعد إدانة موسكو لنتيكتي قائد يوغوسلافيا عام ١٩٤٩، وسحب خبرائها العسكريين وإيقاف موانئها الاقتصادية لبلجارد.

وقد تعامل الراد البريطاني على هذا في إنشاء إدارة جديدة، تتجسس رسمياً ووزارة الخارجية والمطالبة، سميت «إدارة البحث الإعلامي» In-formation Research Group. ورغم أسسها الذرية، فإن هذه الإدارة التي كان مؤسسها وزير الخارجية إيرمتس بيغن كانت إدارة سرية



## من يدفع

## للزمار؟!

## عبد العظيم أنيس

كانت مشكلة الإعلام البريطاني هي أنه رسم خلال الحرب صورة وديعة للاتحاد السوفيتي ولستالين، وأصبحت المشكلة بعد الحرب هي، كيف يمكن التخلص من هذه الصورة المزدوجة وإحلال صورة معادية لها، تلك كانت مهمة إدارة البحث الإعلامي، ٦٦



التدريه مارلو، ومن بريطاني حضر جوليان إيري وهيريت ريد، وهو برقوق روبر، وهارولد ديفر وآخرون، واقتتح المؤتمر بخطاب من عدة برلين الغربية إيرنست روتر، ولدة أربعة أيام دار الحوار حول الموضوعات الآتية: العلم والشعوبية، الفن والفنانين والحرية، المواطن في مجتمع حر، الدفاع عن السلام والحرية، ثقافة حرة في عالم حر.

ودا في المؤتمر اتحاد حاد يدعو إلى تعمة الانتنجيسا الأوروبية ككتيبة تضال ضد الشيوعية، كما دعا هذا الاتحاد في بحث بيرنهام الذي ميز بين قبيلة ذرية طيبة (أمريكية طبعا) وقبيلة ذرية شريرة (روسية)، وفي الهجوم على سائرت ومورلي وموتني لرفضها حضور الاجتماع.

وكان بعض أعضاء الوفد البريطاني (وبخاصة هيو تروفر روبر) مترعجين من اللهجة الاستعززية التي دأها كوستلر وآخرون في المؤتمر، وقال هيو فيما بعد إنه لم يكن هناك في المؤتمر إلا اللبيل الذي يمكن مناشسته وأنه تكسر خطب جورج ضد الشيوعية، وهو يسمع عدا من المشووين.

ولم يغت هو إلى يكثر أن جهة حكومية أمريكية تأيد أن يقرر وراء هذا المؤتمر، ويعد تلك بسموات قبال توم برادي من رجال المخابرات الأمريكية متعرقا، إن التفكير السليم كان كافيا لإدراك من وراء هذا المؤتمر، إذ علينا أن نتذكر أنه عندما عقد هذا المؤتمر كانت أوروبا في حالة اللان.

والد أوضح موقف الوفد البريطاني أمام جوسلسون ورؤسائه في المخابرات أنه لا بد من بدل محمود جديد لنسب المثقلين البريطانيين لهذا المشروع

كانت الخارجية الأمريكية - وروبر على وجه الخصوص - راضية عما تم تحليله في المؤتمر، لقد أصبح لدى المخابرات مشخّن من المثقلين الأوروبيين يمكن الاعتماد عليهم في أي موقف تود التضاد، لكن ظهور مثقلين لاسكي بشكل ماز في المؤتمر، وهو المسؤول الإعلامي المعروف في سلطة الائتلاف الأمريكي وزير، وكان من رايته أنه مالم يستبعد لاسكي من مؤتمر حرية الصحافة فإنه يستحيل أن تستمر المخابرات الأمريكية في دعم المؤتمر، وأرسل مكدركر إلى ألمانيا بذلك، واضطر جوسلسون إلى قبول هذا الوضع على أن يظل لاسكي مستشاره الأول - بشكل غير رسمي - في كل قضية المؤتمر.

وكان وزير هو في الحقيقة انظر الخفي لكل أعمال المؤتمر، فهو الذي عرض على جوسلسون وطيلة إدارة أعمال المؤتمر، وهو الذي أصدر قرار نقل مكان المؤتمر من برلين إلى باريس، كما عين في اللجنة الإدارية المؤقتة حرية الصحافة جيمس بيرنهام (مروستك سابقا) الذي كان يمثل حرية في فهم الولايات المتحدة، والجميع أن يتكلم في هذا القاتل أن بيرنهام دعا العرب من كيريمت وزفالت عن رئيسها في عهد لاهة التي أراحت صدق عن كرسى السلطة في طهران وأتاه الشاه! اجتمعت اللجنة الإدارية وبعد مناقشات طويلة تم تبني الهيكل الذي انشرحه لاسكي وجوسلسون لمدة ثلاثة من عام، خمسة وخمسة رؤساء شرف للجنة الإدارية، مدير تنفيذي من خمسة، مدير تنفيذي عام، مدير تحرير، مدير مكتب باريس، مدير مكتب برلين، أمين عام المؤتمر، مسال لاسكين العام في تنفيذات الشيوعية.

وكانت المشكلة الأولى التي تواجه المؤتمر هي كيفية كسب المثقلين المتردين والناحيين إن تحدى الأساس الفكري للحياد كان أحد الأهداف الأساسية

الأمريكي في برلين في الاجتماع لوضع خطة جديدة في مقاومة الشيوعية.. خطة تقوم على إقامة بناء ثابت للمقاومة الثقافية للفكر الشيوعي، وقد تم الاجتماع في لندن في ١٩٤٦، حضره ميلان لاسكي، روث فيشر، فرانز كاتز، كما حضره مايكل جوسلسون، وفي هذا الاجتماع تونشت فترة إقامة مؤتمر حرية الثقافة Congress for culture freedom.

وعبر هذا الموضوع باسم الاقتراح جوسلسون، ولا تكن هناك مشكلة في تمويل هذا العمل، فأقول مشروع مارشال كانت بمثابة الصندوق العظم المستخدم من المخابرات الأمريكية في كل مكان في أوروبا. واعتمدت ميزانية مواضعة مبدئية لهذا العمل، فدرها خمسون ألف دولار فقط، وأرسل المشروع إلى وزير في واشنطن الذي وافق عليه فوراً.

لقد كان من عمل للترويج لهذا المشروع، وعقدت عدة اجتماع في برلين حضره مثقلون أمريكيون كثر، منهم علماء وصحفيون وأدباء، وقد تشكلت سكرتارية للاعداد للمشروع من مايكل جوسلسون ولاسكي وكوستلر وديزلون وسيلوني واتخذ قراراً مؤقتاً لها منزل لاسكي في برلين.

لقد ادعى البعض أن سيلوني لم يكن يعرف أن المخابرات الأمريكية وراء هذا العمل، لكن أرملته قالت فيما بعد إنه كان متردداً في قبول فكرة المؤتمر، لأنه كان يشك في أنها عملية وراثة وزارة الخارجية الأمريكية، مدى أن ذلك الاجتماع لهذا المؤتمر في ٢٥ يونيو عام ١٩٤٦ بالخطة الأمريكية من برلين، وجاء من فرنسا ريمون آرون وتغريه فيليب،

الأمريكية هو ترتيب يدي يوم المقاومة في مواجهة مؤتمر باريس، يشترك فيه قادة الأحزاب الاشتراكية الديمقراطي. تشترك فيه أسماء عالمية كبيرة مثل إيليا إيهبرج، والكسندر فاييل، والمخفي الأمريكي الأشهر بول ويسون والكاتب الأمريكي هورلد فاست ورئيس الطاقة الذرية الفرنسية فريدريك كوري والكاتب الفرنسي مارتين أندرسون والإنشراكي الإيطالي بيتررو ديني إضافة إلى رسائل تأيد من الفنان الكبير بيكاسو والممثل العظيم شارلي شابلن، وقد أطلق بيكاسو حملته المشهورة بهذه المناسبة.

تمثل على هذا المؤتمر باريس لسلام في تنظييم "تعليم القوى العاملة للتكتاتورية والحزبية في ٢٠ أبريل عام ١٩٤٦، وجاءت رسائل التأييد لهذا الاجتماع من أيتون سجنك، جون دوس باسوس، وجوسيلون، هسلي، وريشارد كرسومان. ومن العنصر التي وصلت لحضور هذا اليوم هي نقاشات المخابرات إنجنازيو سيلوني وكارل هفي وسيدني هول وجيمس فارو وفاني برموكاتي

وعلى الرغم من التزام العديد لهذا اليوم إلا أنه كان عملاً فكرياً قليل القيايس، ففي لاساء استولى الفوضويون على التكتاتيون وادناوا الاجتماع وأصبحوا سياساً لوليات المتحدة، وبالطبع هاجموا ويلز مسؤل الخارجية الأمريكية بخيبة الأمل، وأعد هول دراسه من أجل المثقلين الأوروبيين بحقيقة الأوضاع في أمريكا في محاولة لتفكيكه ويزن.

وفي ضوء هذا اتخذ مجموعة من المثقلين الألمان والأوروبيين المتعاضين مع قوة الاحتلال

للعقبة لوب جيداً.. هو محاربة الشيوعية عن طريق اليسار غير الشيوعي، وأصبحت هذه العقبة هي الأساس النظري لعمل الوكالة خلال

ناقش كوستلر الفكرة مع ريتشارد كروسمان الكاتب العمالي البريطاني الذي عمل رئيساً لإدارة الحرب النفسية خلال الحرب، واتفقا على نشر كتاب يضم مقالات الشيوعيين السابقين الذين تحولوا ضد الشيوعية بعنوان "أوهام ضالعة"، وكان من الطبيعي أن يتصل هذا العمل بميلان لاسكي المسؤول الإعلامي الأمريكي في ألمانيا، وقد أسهم في تحرير هذا الكتاب كل من إنجنازيو يوسيلوني، أندريه جيد، ريتشارد ريت، آرثر كوستلر، ستيفي أسيذر، لويس فيشر، أندريه مالرو. إلخ.

وكل هؤلاء عيبروا عن خيبة أملهم في التجربة الشيوعية، ولقد نشر الكتاب بعنوان "الالة الذي فشل"، وبالطبع قامت المخابرات الأمريكية بتحويل إصدار هذا الكتاب مع وزير الخارجية الأمريكية، وروج الكتاب على نطاق واسع في بريطانيا وأمريكا ودول أوروبا الغربية.

وبعنا كان الكتاب يتوزع على نطاق واسع قام آرثر كوستلر بمقابلة ميلان لاسكي وناقض معه مشروعا أكثر صمخاً وأعظم بولاً. لقد كان التكتاتيون يستعد لتوسيع لسلام في باريس عام ١٩٤٩، وكان السؤال هو: كيف يمكن مواجهة هذا المؤتمر وأتاه الدعائات؟ وكانت المخابرات الأمريكية ووزارة الخارجية مشغولتين بنص هذه القضية، وكان الاقتراح الذي تبناه ويربر Whist مسئول العمل المخابراتي في الخارجية



ومن هنا نشأت فكرة تأسيس مجلة أنجلو  
بيكية تعبر عن تيار يسار الوسط، بشرط أن  
تتبع رسمياً بعيدة عن مؤثر حرية النقالة، إذ  
أمريكا كانت قد التزمت بالأقنوم بأى نشاط  
فى داخل بريطانيا.

[illegible]

لقد اختير اسبندر لأنه شاعر واديب  
 روف من خريجي اكسفورد، كان عضواً  
 حزب الشيوعي البريطاني فترة قصيرة من  
 بانه، ثم انشق عن الحزب وعرف بمقالاته  
 الحرب في اتجاه الحرب الباردة.

نشرت المجلة العديد من المقالات لكاتبين في أوروبا والولايات المتحدة، وكان بعض رئيسي في التاريخ الثقافي بعد الحرب العالمية الثانية. قبل نشر فيها ناسي، قدوة معقانا الشهير، المناظرة السياسية، كاتبة، كما نشر فيها أيزابا برلين على مقالات عن الأدب الروسي، ونشرت فيها مقالات عن بوشكين، عن عدد من المثاقفة، بلان أودن، ولوتويني وهربرت ريت. وهم اعظم عقول أمريكا وبريطانيا. لكن المجلة تاملت الكامل فيما يتعلق بأفريقيا

على أن المحلة واجهت مشكلة الخلافات في بين أسبنتور وكريستول من ناحية، وبين سلسون وكريستول من ناحية أخرى. فقد جوسلسون من باريس بعد صدور العدد إلى كريستول يقول إن «العدد ليس به شيء بالقدر الكافي» ويرد كريستول من لندن: «إننا في لندن اقدر منكم في الحكم على ثوبيات المحلة».

على أن أول أزمة حقيقية واجهت وليد المحلة بسبب مقال أعد لل نشر فيها حول مجلس جوجولوس وإينيلز ونورج. إن مقال فيه فيلدر Filder للمجلة يلوم فيه سويغرين على ما حدث لتزوجين، وهو حدث عن الزوجة بعد إعدامها حديث التقاضي كان يحرق بتأنيق الشهور المعادي بكاني في أروبا بعد تأنيق الحكم الإعدام.

وقد انزعج سيديني هول (وهو أحد أعضاء المجلس التحريير) عندما رأى بوقوف المقال، فخرج أن يضاق إلى المقال في النهاية شبه فزار بأن اللقال لا يفيق أن يفسر بأنه هجوم سوني. فإلا لا يمد تهللأ الشخصيات أسية وإنما مسطورة سيسيية.

سنة، وأعلى تعيين جاكسون لأفتر حرة  
مفتحة زخفاً فوقه، إذ أضاف جاكسون  
مقتطفاتها حولها كتاب جاكسون، يذكر،  
تاريخ الإمارة إلى أموال خاصة سرعان ما  
تحت جاكسون بيرجل من رجال الأعمال من  
فقدته لعموم التحويل وكذا، وفيها الإطراء  
تحت رحمة امركة تفتق المخابرات  
وركية وأعماله على Parisian Review  
لأن تحريروها سيدني هو وسيلة  
عسا لتي سر تحريروها أيتيتاس  
سجاسرو هو عمل عن ترويسكي  
الذين في السنوات الأولى الثورة  
التي ذكر أن تمويل المخابرات اجلوت  
بهر في امركوا هو امخالف سد ميثافها  
يصل إلى عدم مساعدة إلى منظمات  
أمة.



على أن أهم مشروع ثقافي أسسته  
نابرات الأمريكية (بالاتفاق مع المخابرات  
بريطانية) هو مشروع مجلة «مواجهة» En-  
counter التي صدرت من لندن عام ١٩٥٣،

لقد كانت المخابرات الأمريكية حريصة على تأسيس مجلة تتحدث المجلة نيو ستيتسمان New Statesman البريطانية السياسية، وكانت المجلة قادرة على الصمود في السوق لأنها كانت توزع مجلة ألف نسخة أسبوعياً، فقامت مخابرات بتأسيس مجلة «القرن العشرين» في الدول في محاورات ومسابقات مع نيو ستيتسمان، ولم تنجح فكرة هذه المجلة.

الحقيقة ان هذه المؤسسة لاترصد على مستوى حسابات بل في اللقائات. اما الممثل الحقيقي فهو الفخريات الامريكيات ولابد ان يكون هذا الممثل امريكيا على اقله هؤلاء الذين هم في قاعد الفخريات. عمليات الامريكيات مؤسسية اذ في قاعد ان لها مكان محدد، وفيه يتم تنفيذ الفخريات بل هو ليس في قاعد وفيه يتم اداء ارساء هذه المؤسسة بعد توليها حتى تنساب الامارات في غير اسم الفخريات، بل المثير للصدع ان هؤلاء الامريكيات ادعى فيما بعد انه لم يعرف ان هؤلاء هم من خلال المؤسسة عارضا. لابد ان يكون هذا من خلال المؤسسة عارضا لابد ان يكون الفخريات الامريكيات عارضا. الذين هم في الامارات هؤلاء هم حركة الفخريات، الذين انهم كانت بداية وزارة ثقافة امريكا، ولم يصح طرح الاموال عن طريق مؤسسات معينة بل مؤسسية اذ الفخريات لم تستخدم الفخريات مؤسسات فخرية بل مؤسسية اذ الفخريات هؤلاء هم مؤسسية اذ الفخريات كفاءة بعد ان من عمليات الامريكيات، وكانت هذه الامريكيات من الاساس مطلق تمام الفخريات امريكيا لانه يؤيد للمستفيدين من هذا الفخريات من مصادرهم في التمويل ويزيد على ان هؤلاء هم في الامارات.

ورغم الجهد الذي بذل في تنظيم مهرجان نون كانت هناك حيرة حول اتجاه العمل في حرب اللقائبة ضد الشيوعيين، لكن رجلاً حكيماً كان له الجهد الأكبر في وضع أجندة حرب الباردة الإقنينة، هو جاكسون C D Jacks، ولدعم مع إيزنهاور خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد انتخاب إيزنهاور رئيساً للجمهورية في يناير عام ١٩٥٣ عين جاكسون مستشار الخاص للرئيس في شؤون الحرب

للسياسة الحرب الباردة الأمريكية. وكان من رأى جوسلوسون أن المنظمة في حاجة إلى نفعة معتدلة لكسب المترددين والمحايدين. وأغضب هذا كوستلر الذي تميز بالعنف في جميع مقولاته. وقد أدى قبول رأى جوسلوسون في المخابرات إلى إزاحة كوستلر الذي أخذ يرقب مؤثر حرية الصحافة بمرارة وهو يعتمد على الكراهة.

وبدأت سياسة إنشاء فروع المؤتمر في  
العواصم الأوروبية المختلفة، فتم إنشاء  
«الاتحاد الإيطالي لحرية الثقافة» في أواخر  
عام ١٩٥١. تحت قيادة سيلوني، لكنه سرعان  
ما انهار وأرسل نابوكوف بحرفه السبب فتيين  
أنه رئيسة سيلوني لهذا الاتحاد.

وسافر نايكوف إلى لندن لتأسيس فرع  
للمصنوع في بريطانيا، وإقليم من أجل ذلك  
التي، وإيريا بريطانيا، وروساء المجلس  
البرلماني والتاسعين من البرنامج الثالث في  
H B و. وإرشاد ترومان إذا كان ذلك  
الزملاء العام لحزب العمال، وإبلغ نايكوف  
الزوجة في باريس أنه وجد تلميذا وتلميذة  
وسافرا في بريطانيا، لكنه أخذ مسؤلوا  
الخبراء أن الكثير من البرطانيين يعتقدون  
أنه أقل مفعلة أمريكا بقومها من الدول،  
وبالتالي فإن أهم عمل في نايكوف هو أن  
يقاوم للتفكير الأوروبيين أن مؤتمر حرية  
التجارة من عملية سرية أمريكية.

ولقد تشكل الفرع البريطاني في نهاية الأمر وعلى رأسه ستيفن أسبندر ومالكون مارجريديش. ومع ذلك فقد ظل الملتحقون البريطانيون يرتابون في مصادر تمويل هذا الفرع، حتى أن بعض الأعضاء كانوا يقولون: عندما كنت ادعو أحدا للعشاء ويعرض أن يدفع الحساب نقول له... لا تلاق... يدافع الضرائب الأمريكي هو الذي يدفع الحساب.

في أوائل عام ١٩٥١ اقترح نابوكوف عمل مهرجان للفنون تقدم فيه أعمال الفن الأمريكي والأوروبي لإثبات أن ما يدعيه البعض عن سيطرة الفن الأمريكي غير صحيح.

ومع أن الاقتراح قبول بتدريج من جانب براون وجونسون ولاسكي إلا أن «وحدة المنظمات الدولية» في المحادثات بقيادة توم براون، كانت متحمسة لهذا الاقتراح. في ١٥ مايو عام ١٩٥١ أصدرت اللجنة التنفيذية مؤتمر عارضة الخفاقة أصراً لمبايكونوف بالإعداد لهذا المؤتمر.

وفي أول أبريل عام ١٩٩٢، افتتح المهرجان في باريس، في البداية لأوركسترا يوسطن السمفونية، ولدة شهر كامل مبهط على باريس مئات السيمفونيات والأوبرات لحوالي سبعين من مؤلفي القرن العشرين.

كما تفتت معارض لأعمال النحت والرسم.

ولقد حقق المهرجان بعض النجاح إلا أنه هوجم من الصحافة الشيوعية في فرنسا باعتبار أنه جزءاً من الخطة المكرة للاحتلال الأيديولوجي للأمم.

لكن فرنسا

على أن من أهم التطورات التي أضيفت بهذا المهرجان في جانب التمويل هو ظهور مؤسسة تدعى مؤسسة «فار فيلد» تولت عملية التمويل

## كانت المخابرات الأمريكية

مشقولة آنذاك بفكرة أن أفضل وسيلة لمحاربة الشيوعية هي استخدام الشيوعيين السابقين الذين تخلوا عن فكرهم. وبالنقاش مع كوستلر أخذت هذه الفكرة ثوباً جديداً... هو محاربة الشيوعية عن طريق اليسار غير الشيوعي

عين في اللجنة الإدارية مؤتمر حرية الثقافة  
جيمس بيرنهام (تروتسكي سابقاً) الذي كان يعمل  
خبرة في فهم الأحزاب الشيوعية، والغريب أن يتكشف من  
هذا الكتاب أن بيرنهام هذا لعب مع كيرميت روزفلت دوراً  
رئيسياً في عملية هزيمة التي أراحته مصدق عن كرسي  
السلطة في طهران وأعاد الشاه!



جديد يؤكد ما قاله أوبرين من أن مجلة «مواجهة» هي من تمول المخاضات الأمريكية، وقد رد أستاذي (باسم مستحجب) على أوبرين مشككاً في سلوكه عندما كان مثلاً لنادم المحدث في الكونغرس. وقام أوبرين برفع قضية ضد مجلة مواجهة، وكسبها. ولقد كانت مجلة مواجهة هي كاليفرنسيا تدعي رامبارش Ramparts بدأت تهتم بدراسة حقيقة وضع المنظمات التي تعمل كواجهة للمخاضات، وقامت بنشر سلسلة من المقالات عن هذا الموضوع وعن العمليات السرية للمخاضات، وأكدت المجلة في هذه المقالات أن المخاضات الأمريكية تمول مجموعة من الجلات الصناعية في مقدمتها مجلة «مواجهة»، وهكذا ثبت أن كل ما قاله أوبرين عن المجلة صحيح.

كان اسبنر في الولايات المتحدة عندما ظهر كل هذا وكان المحرر الفعلي للمجلة في لندن هو أستاذي رغم وجود كيرمو-كمشور أمريكي مشار، وقد أخرج اسبنر أن يصدر المحررون بياناً يقولون فيه إنهم لم يكونوا على علم بمصادر التمويل، وهذا ما لم يباله. ثم اتجمع مجلس التحرير في لندن وأعلن اسبنر وكيرمو-كمشور انشقاقهما عن عملهما في المجلة، وفي مايو عام ١٩٧٧ خربت نيويورك تايمز ما نشرته في صحتها الأولى نصح «ستيفن اسبنر بتركه مجلة مواجهة» بيان من اسبنر.

ولقد استمرت مجلة «مواجهة»، بعد ذلك، حتى ألفت عام ١٩٩٠، وكان سبب تمويل المخاضات لها قد عرضها لإزمات مالية متتالية، خصوصاً بعد انهيار الثقة فيها. وهكذا كانت نهايتها وكادت قد سبقها نهاية مجلات أخرى مماثلة مثل مجلة «حوار» التي كانت تصدر بالبريد في «بيروت» والتي كانت تمول من المخاضات الأمريكية أيضاً. ■

## كانت المخاضات الأمريكية فضيحة يصور هذه الجلات وتمويلها. ولغت الأموال التي أنفقتها عام ١٩٦١ أكثر من ٥٦٠ ألف دولار. ارتفعت إلى ٨٨٠ ألفاً عام ١٩٦٢

يشبه كتابات جون أوزبورن وقال إن مقال ماكندوالد أوسع مقالاً للمجلة الأمريكية مما كان يظن في أول الأمر. لكنه في النهاية وافق على النشر تجنّباً للحلاف مع اسبنر. على أن فرع باريس للمؤتمر ضغط لمنع نشر المقال. وقد تم هذا بالفعل، فلجأ ماكندوالد إلى نشر المقال في صحيفة أخرى وكتب إلى اسبنر شاخياً من الرقابة في المجلة. وبدأت بعض الجلات تتساءل علناً: هل يجوز للمخاضات أن تمول مجلات رأي، وهل من المناسب أن تدفع مبالغ كبيرة لشعراء روس يمكن اعتبارها كرشاوي؟

ثم بدأت تظهر مقالات تقول علناً إن مؤتمر حرية الثقافة ومجلة «مواجهة» Encounter ليست إلا أدوات في يد المخاضات الأمريكية. على أن الموقف قد تغير عندما ألقى كوتر كروز أو براين محاضرة في جامعة نيويورك اتهم فيها المنظمة في الغرب بلتهم عدم لهيكل السلطة، سواء هذا في زمن الحرب الفيتنامية، وكان هذا بداية لعدم الملقين على سياسة الدولة الأمريكية فيما يتعلق بالحرب الفيتنامية. إبداء مواقف سناثور فولبرايت ضد هذه الحرب، وجاءت كتابات نورمان ميلر في نفس الاتجاه. ظهر مقال وفي ٢٦ أبريل عام ١٩٦٦ ظهر مقال

في يوليو عام ١٩٥٣ بتحويل من مؤسسة وكفلر. ثم أصدر مجلة Soviet Survey عام ١٩٥٥. راس تحريرها والتر لاكير الذي كان في نفس الوقت الممثل الرسمي للمؤتمر في إسرائيل. وفي أبريل عام ١٩٥٦ ظهر في روما أول عدد من مجلة Tempo Present يحبرها سيلوتي كمجلة مفتوحة لمن تركوا الحزب الشيوعي الإيطالي، كما بدأت في الظهور في استراليا مجلة Quadrant بتحويل من المؤتمر وفي الهند مجلة Quest. ثم ظهرت مجلة «حوار» في بيروت بعد ذلك.

لقد كانت المخاضات الأمريكية فضيحة يصور هذه الجلات وتمويلها. وكذلك على الأموال التي أنفقتها المخاضات في عام ١٩٦١ بلغ مجموع ما دفعته جهات المخاضات للمجلات أكثر من ٥٦٠ ألف دولار، ارتفعت إلى ٨٨٠ ألف دولار عام ١٩٦٢، وقد بلغ ما دفعته مؤسسة فار فيلد للمؤتمر عام ١٩٦٢ نحو مليون دولار.

على أن الأزمة التي عصفت بمجلة En-counter بدأت بوادها عندما أرسل دوايت ماكندوالد مقالاً إلى المجلة بعنوان «أمريكا أمريكا» ضمنه انتقادات للمجلة الأمريكية. وقد قبله اسبنر دون أن يفهم جيداً. لكن كريستول أنزعج من المقال وقال إنه

على أن هذا المقال فجر خلافاً حاداً بين الملقين حول هذا الموضوع وكتب الأسبيري البريطاني فورست خطاباً إلى اسبنر محتجاً على ذلك المقال عن التوجيهين روبرج دليس ما ورد به من وافتقار فقد تكون صحفية وإنما للنسوة والزئراء الذين عالج بهما المقال الأيام الأخيرة لإميل ريو نيرج» حتى الشاعر إليوت كتب رداً على قبله اسبنر له بالمساهمة بمقالات وقصائد يقول: «إن لدى شوكتا حول فعالية هذه المجلة Encounter فمن الواضح في أنها منشورة تحت إشراف أمريكي». وقال انتوني هارتي في مجلة Spectator، «إن من الأسف أن تصبح مجلة Encounter مجرد سلاح في الحرب الباردة». وكتب الأستاذ الجامعي والمفكر جراهام هيو مشيراً إلى المجلة بقوله «هذا الرضيع الأنجلو أمريكي».

وكما أدى هذا المقال إلى انتقاص الرأي حول هذه المجلة، فإن الخلاف حول سياسة التحرير بين اسبنر وكريستول قد ازداد وكتب اسبنر إلى جوسلسون شاخياً من تجاهل كريستول لمقترحاته.

وفي هذا الجو الخسوف ظهرت مشكلة الساتور كماري التي أدى حله قضية عباءة ضد الملقين الأمريكيين تحت ستار البحث عن النشاط المهادي لأمريكا قاذين المضار من العلماء والفنانين وتحويل عدد من الفنانين إلى مخبرين عن زلزالهم أمام لجنة مكافئ، وقفل الفرع الأمريكي المؤتمر الثقافي في الدفاع عن حرية الفكر أو التمسدي لإعمال مكافئ ولجنته.

وعلى عكس ذلك فإن مؤتمر الدفاع عن حرية الصحافة في باريس تحت قيادة جوسلسون اكتسب عضوية هامة مثل جوليان هسلي وشارلي ماري وهربرت ريد وأنشأ مجلة Forum في فيينا تحت قيادة لوريغ، كما أسس مجلة «العلم والحرية»

## ذليلك إلى الصحة

ذليل معتمد لكل جوانب صحة نبي المرأة في كل مراحل حياتها - من البلوغ حتى سن اليأس (الانقطاع) وما بعدها.

- معلومات مفصلة حديثة عن المسح المألوف ومجالات العلاج الكاملة لكل حالات الثدي.
- وضعت الصامة العلمية خبرة الرعاية الصحية للشهيرة الدكتور هيرمان ستوهارد.

في هذه السلسلة

- ١- صحة المرأة
- ٢- رعاية الحامل
- ٣- العمل الصحي
- ٤- مولودك الجديد
- ٥- الولادة
- ٦- المرأة في سن
- ٧- صحة الطفل

يطلب من

شركة أبو الهول للنشر

شارع شراوية بالقاهرة ت ٨٠-٢٨٢٤٦١١١ ٢٧٢٢٢١١١

٢٧ طريق العمدة (إزك سافا) الشلالات الإسكندرية

ت ٢٥٢١-٢٥٢٢ ١٠٣٩-١٠٣٩

مكتبة لبنان ناشرون

١٩٨٣-١٩٨٣ ٠٠٢٢٢

ص ب ١١٠٤٣٣ ١١٠٤٣٣

وكلاء وموزعين في جميع أنحاء العالم

الشركة المصرية للتأليف والترجمة والنشر

## كتب الفراشة

## صحة الثدي



الشركة المصرية العالمية للنشر - لوتيجان

■ تاريخ الطب قديم جدا ، إذ إن الطب وإيق الارتباط بحماية الأساس التي تعود إلى أزمان موغلة في القدم ، والأمراض قديمة العهد قدم أحذية أقدامها ، ولا تخاف في ذلك ، فما الأمراض إلا أجراء من الحياة نفسها تحت عوامل وطرق متغيرة متباعدة تظهر نتيجة لرد فعل الجسم ضد الطوارئ والملازمات الحاصلة به

والأم الإنسان قديمة أيضا ، وقد حشيناها الناس في كل زمان ومكان ، وسعسعو إلى التخلص منها بمتختلف الوسائل وتشتت الأساليب ، والواقع أن الخطوات الأولى في طبارة الأسنان بدأت مرافقة مع ميلاتها في باقي الفنون والعلوم ، وما لاشت فيه أن الإنسان القديم كان يسعى إلى العلاج بكل ما يملك من إمكانيات تؤطرها له حدود معرفته ، وعندما يعجز عن إشفاء يعزو ذلك إلى قوى خارقة ، ولذا لم يجد يد من التماس المعونة عن الكهنة عن طريق الكهان والسحرة الذين نسبوا : «أمراض إلى غضب الآلهة ، فلعنها مرضي غمهم ونهتهم بهم وتسد عنهم شمس الضواطين . كما التمسوا وساطة الكهان سعيا وراء الحصول على رضى الآلهة ، وهكذا فإن الشخص المصاب هو هاجم الفلدة أو ساحره ، وتشترى المكشطات الأثرية يأهمه كانوا في كثير من الحالات يصفون الأدوية بالإضافات إلى لطلوس المصرية أو القديمة التي يمارسونها على مرضاهم . وكان أكثر تلك الأدوية من الأعشاب ، ولا شك أن بعضها كان مفيدا وفيه وفضات من المعالجة السليمة .

وبالمسبة لأواسط آسيا منطقة البحر الأبيض المتوسط ، فقد قدمت لنا المكتشفات الأثرية معلومات عن حضارات قديمة تعد إلى خمسة آلاف عام قبل الميلاد ، وأبرز هذه الحضارات حضارة وادي الرافدين ، وتضم «سومر» ، و«أكاد» ، و«بابل» ، و«آشور» وحضارة وادي النيل ، أي حضارة قدماء المصريين .

وبالمسبة لوادي الرافدين ، فإن اللوحات المسامرية المكتشفة والمتضمنة نصوصا طبية ، فهي بمثابة الكتب الطبية والراجع للمستشفيات في المعالجة والذين يتعلمون من الطبيب والمعالج

#### أهم أمراض الأسنان

في الحضارة الآشورية - مسملا - كان المعالجون يمزجون المعتقدات الخرافية بالمعالجة المادية بشكل وثيق ، وبالمسبة لآدم الأسنان والتهاب اللوزي ، لقد جاء في إحدى اللوحات المسامرية (إذا أصبحت أسنان الإنسان مخططة وأصابها الخشخشة فزني ملابري مستساوية من الحسية السوداء والخلة والجرحير وجرح الربيع (كزمنتد الزرع) وسحقو الشد وأصبر واصدنها ، ثم أرك خدور أسنانها (ويقصد اللثة) بقطعة من الخبز الجاف حتى يسيل دمه ، ثم ضع المسحوق على الأسنان (وسوف يشفي)

من الواضح أن الحالة المرضية تتحدث عن التهاب لثوي حاد جمع عنه حركة في لسان يسمى انترسبات الكسبة اللحية (CALCULUS) ، والتشخيص صحيح وكذلك مسا المعالجة وهو إزالة هذه القشور الكسبة المتجمعة على سطوح ألواح وذلك بواسطة (قطعة الخبز الجاف) ، وتقوم مكان (المحرد SCALPER) وهي الأداة المعدنية المستخدمة بجره الإنسان وتنظيفها ثم استخدام المسحوق مكون من جلة أعشاب طبية ومواد معدنية المتشاحص عنها المعالج من خلال التجربة والملاحظة

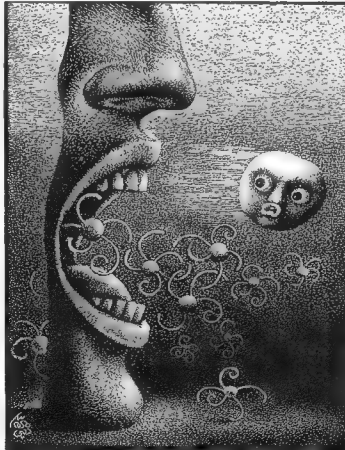
يجسد هذه المعالجة المادية كانوا

## في طب الأسنان

### القديم

# الأشباح والأرواح تسكن الفم!

## محمد فؤاد الزاكري



يتسبون الأمراض ومن جعلتها أمراض الإنسان إلى الأشياء والأرواح التي أرسلت إليهم المرض عن طريق السحر ، ومنها هذه المعجزة لكم السن مقدمة إلى أحد الآلهة المدعو (شماش) حيث تقول : (دعاء : أيا شماش عرفت من سني الذي يؤذي أن بعض الأشياء التي لم تدفن غشيبانة لأنني لم أقدم لها الخبز والمال ، أصلي إليك أن تحيطني بحسبي وتغليتها ملقا تغلق الحية على ما بداخلها ، لكي يذهب مالي سني وأكون كالفراسة التي لا تؤذيها أسنانها)

#### نحور الأسنان

داه يصيب الإنسان بتأثير ما يتعرض له البنية الفموية من العوامل الكيميائية والجبروتية ، فتشكل حفرة على سطح الأسنان ، لا تليق أن تمتد نحو الداخل ، إذا لم تتعالج العلاج الكافي ، إلى أن تبلغ حجرة اللب (Pulp cavity) والموجودة في مركز السن ، حيث يصاب اللب الخلف من مجموعة اليااف عصبية وأوعية دموية بالتهاب والموت ، وإذا استمر الضرر ازداد عمق الحفرة واستعاضها فتداعى السن وتفتت وتثرت ، فلاباقي منها غير الجذر ، أما الظاهر السريري للتحور السنية فيبدأ بظهور بقعة واحدة أو أكثر على سطح السن ، يتراوح لونها ما بين الطشوري والأسمر ، ثم يملأ هذا التسحور في اللون خشونة السطح بسبب تخرب التسنج السنية بفعل النخر الذي يستمر متغلغلا نحو الناحل ، وتتكون حفرة النخر السوداء اللون ، ومن خلال النخر إلى الإنسان يمكن بسهولة ملاحظة السن المؤول السود من بين مجموعة الأسنان الأخرى البيضاء اللون ، وهكذا نضا الاعتقاد بأن نخر الأسنان (السود) مرده إلى دودة ساكنة تحت الأسنان ألت يأت من آلهة ولا تخرج إلا بإذنهم ، وهي التي تقوم بضمخ وتخريب طبقات السن وأحداث حفرة فيه مسببة الآلام الشديدة ، وكان لابد من تقديم سببها إلى المبرر لهذا الأمر بحسب التصورات الدينية السائدة ، وهو ما نشرحه لنا إحدى اللوحات المسامرية والتي تعود بتاريخها إلى عام (٦٠٠ ق.م) ، حيث تقول :

(بعد أن صعد أنو إلى السماء صنعت السماء الأرض ، وصنعت الأرض الأنهار ، وصنعت الأنهار القنوات ، والقنوات الأموار ، والأموار الديدان ، ثم جاءت الديدان بأكية إلى «شماش» وإلى «أياه» وكانت معها عزيزة ، ولسات : ساداً ستعطيني لطعامي ساداً ستعطيني لدره ٤ إلى سعادتي التي لن يلفق والشمش في الواقع لن يفيديني اللتين للجفف ولا الشمس ، أرسلني وسط الأسنان دعني أعيش في اللثة التي أتلف دمن الأسنان واللثة وأضغق قشاشاتهم ، ولكي أمتد بيدي مزلاج الداب)

ومن أجل إخراج هذه الدودة وطردها من السن يجب على من يتكلم هذا الدعاء أن يشتمه بلقاة :

(لئنها الدودة تليقتك «أياه» يقبضه الجبارة)

هذا «الاعتقاد» تجده في أغلب الحضارات الطبية القديمة وأربطه بأسطورة الخلق والتكوين الإنساني ، ولما نص هذى قديم يعود تاريخه إلى قلمي عام تقريبا يقول : ( عندما يصبح السن متأكلا ويمتلي بالالطسة والأساخ ، فسرعاني ما تنتشط الديدان الدقيقة من خلال التآكل مسببة الإما مختلفة ) .

وأمتد هذا الاعتقاد إلى الرومان القدماء فحول إلى سنة (٤٨ ق.م) الفرح «لرجوس



للتعجب عن جميع العلوم والمؤلفات العلمية.

ومن الصعب تحديد زمن دقيق ومحدد لتأليف كتاب (في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها) ويمكن اعتباره من مؤلفات (حمين بن إسحق) للفاخرة التي دونها في زمن الخليفة المنصور. أي بعد أن بلغ نضوجه العلمي والطبي وتوفر لديه حصيلة متنوعة من التحارب الطبية واستدل على ذلك من خلال بعض الإشارات القليلة الواردة في الكتاب عند ذكر لدواء يستخدم في معالجة اللثة حيث وصفه بقوله: (وإذا جريدها فحندناه).

ولكن اهتمام (حمين) بطب الأسنان - حسب المصادر - يرجع إلى زمن الخليفة الواثق بالله، توفي (٢٣٢هـ) الذي كان مهيبا للإشراف على علوم الناس وإرثهم من تقدم (المسعودي) الذي ذكر تفاصيل أحد مجالس العلم التي حضرها مجموعة من الأطباء المروفيين في زمن الخليفة الواثق، وقد أجاب (حمين) عن مسائل عامة تناولت موضوعات علمية مختلفة في الرياض والبلدان والجغرافيا والكواكب والأزواء والوقت للنظر أن (الواثق) خص (حمين) وحده بسؤال يتعلق بالأسنان وهناك إجابته واضحة تدل على تفهمه العميق لتدريج الأسنان وبنيتها ووظائفها ودورها وتضمن مقدمة تهيئته أساسية لطالب العلوم الطبية، مما يدل على أنه كان معروفا بخبرته ومزاوالتة العلمية لطبابة الأسنان واشتهاره بذلك في عصره. وتبين أهمية من خلال تقديمه مادة علمية لأطبائه القدامى كانت قاعدة وتوطئة استفادوا منها للانطلاق في بحوثهم وابتكاراتهم، كما ذكر الملحق أن اهتمام (حمين) وتلقاه العميق لتشخيص أمراض الأسنان واللثة والتهانة التجريبية التي امتزاج جعلته قادرا على إضافة شيء يمكن في هذا



## في طب الأسنان القديم

الإصالة الطبية لدى (حمين) الناجمة عن خبرته العملية المتقسية، فكرة عقائير سنون (جانيوس) أضف إلى احتمال فقدان بعضها وعدم توفره في كل الأوقات جعلته يلجأ لاختصارها وإيجاد بديل كافية عنها على ألا يعس بالنفع الناتج عنها فقدم (سنون) قليل الاختلاف، خفيف المؤونة، فوجدته يبلغ مبلغا (حسنا) حسب تعبيره، وبذلك يبرهن على قدرته كطبيب أسنان ماهر الجدير بالذکر أن العشاب والنباتات الطبية كان يعتمد عليها في اللدواء والمعالجة، فقد ورد في الكتاب أسماء ما ينوف على المئة نبات وعقار طبي كانت تستخدم في العلاجات السنية بالإضافة لادوية متنوعة ذات مصدر حيواني أو معدني.

وقد قدم المؤلف خلاصته المفيدة عن طبابة الأسنان في زمنه (القرن الثالث الهجري) مع صورة واضحة لادوية الخشنة ومعالجاته وأمرضه الشائعة وطرق تشخيصها، ومن الواضح اعتماده المنطق العلمي واستناده على الملاحظة الحسية والتجربة العملية واتباعه عن الممارسات الزائفة الانماطية كما أن النصائح الوقلية المذكورة لإزالة صالحة حتى عصرنا الحالي. ■

## المصادر والمراجع:

- ١- عقايطير البيروني: من الطب الأصوري، مطبوعات الجمع الطبي العراقي، بغداد، ١٩٧١م.
- ٢- ابن الجوزي (٣٣٠ / ٩٤٠هـ) الطب الفراء والساجي، تحقيق: سلمان طباطبا، باريس، (غير منشور) (الشهر) ١٩٨٤م.
- ٣- حمين بن إسحق (٢٦١هـ / ٨٧٧م)، في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها، تحقيق ودراسة: محمد فزاد فائز، دار الفكر العربي، حلب، ١٩٩٦م.
- ٤- Malina Ring, The Legend of the tooth worm - I C.C.E.D. - Vol. XIII, No.4

المصادر فهي عقايطير نباتية ومعدينية أو حيوانية المصدر.

وتحريف السنون هو: ما يستعمل به من دواء لتقوية الأسنان وتنظيفها.

ويقسم السنون بحسب قوامه الصيدلاني إلى سنون جاني Powder ويتكون من مساحيق العقايطير الدوائية وآخر سنون Passo يدخل في تركيبه الصمغ أو الخل أو الطهران.

وقد ذكر (حمين) أنواعا مختلفة من السنونات بحسب غرض استخدامها فهي لعلاج اللثة والأسنان وتنظيف الأسنان، أو سنونات تطيب تكة الدم وتزيل رائحة (البحر) الكريهة وطريقة العرض تقوم على تحنن استخدامها، وعلى سبيل المثال فقد ورد ذكر المطلوب مع ذكر الغاية والهدف المطلوب منه بالإضافة للصفة المرفسية التي توافقت استخدامها، وعلى سبيل المثال فقد ورد ذكر سنون منسوبة إلى الطبيب اليوناني (جانيوس) ويتكون من (١٩) عقارا دوائيا كما يحتاج تحضيره إلى عدة عمليات صيدلانية معقدة مثل تجفيف وتحميص بعض النباتات الطبية وسحقها ومرجها بالصل، وهنا تتجلى

المجال ويور مصمون لكتاب حول محورين: الأول: يبحث سبل وقاية الأسنان وحمايتها أو ما يعرف بطب الأسنان الوقائي.

الثاني: علاجي دولتي ماستعراش ووصف امراض الأسنان واللثة مع ذكر العلاج الدولي المناسب.

ويذكره (حمين) بتفصيل قواعد وفلاية وتعليمات صحية أن أراد حفظ أسنانه أهمها:

• تجنب التخمخ لأن فساد الطعام في الفم يسبب لها الضرر مما ينعكس سلبا على سلامة الأسنان ويسبب فساده.

• الحذر من كسر الأشياء الصلبة بالأسنان.

• عدم تناول الماء البارد والثلج سيما بعد تناول الطعام الحار.

• تقريش الأسنان بالسواك باعتثال دواء السنون Dentifrice.

كان الأطباء القدامى يعتقدون أن لكل دواء فعلا وقوة تؤثر في الجسم ومن الممكن معرفة قوة كل دواء أو مادة على حدة ثم مزجها معا بنسب معينة للحصول على لقوة ذات فعل جديد وقوة جديدة، والسنون دواء مركب مؤلف من عدة أنواع من الادوية المفردة مختلفة

EL GOUNA  
MÖVENPICK  
RESORT

STEIGENBERGER  
GOLF & COUNTRY CLUB

EL GOUNA GOLF & COUNTRY CLUB

EL GOUNA GOLF & COUNTRY CLUB

www.elgouna.com



فيتراك  
Vitrac®

فيتراك

تطهى الأمة الإسلامية

بطلول شهر رمضان المبارك



# شهر رمضان



موكب جميل يشق القاهرة، وكان ركوب أول شهر رمضان عند الفاطميين مدافعاً لوكب ربيع هلال رمضان عند السنة ويقول ابن العزير (نزهة المقلتين في أخبار التوطين، تحقيق الدكتور أمين فؤاد سيد، جمعية المستشرقين الألمانية ١٩٩٢، ص ١٧١-ص ١٧٥).

«فلذا انقضى شعبان أتم بركوب أول شهر رمضان، وهو اليوم مقام الرقية عند للتشيعين، فجبرى أمره في التماس الألات والأسلحة والعرض والركوب والترتيب والطق المسوكة، كما وصفناه في أول العام لا يكتل بوجه (في أول العام الهجري كان الخليفة الفاطمي يشق القاهرة بموكب حافل ومهيب وحوله الجنود والولا والنواب والأعمال بمساريف مختلفة... فلذا مسطرة) يذكر فيها ركوب الخيلة استرجاع انقضى ركوب أول شهر رمضان استرجاع الخليفة في أول جمعة، فلذا كانت الجمعة الشامية ربك الخليفة إلى الجامع الأول المنير في هيئة الموسم وما تقدم ذكره من الألات والباسية فيه أباس الحروب البعش، وتوجراً للصلوات من الذهب، والفنيل واللبان والقور الشرى، فيدخل من باب الخطاية والوزير معه أن يتقدمه في أول النهار صاحب بيت المال وبين يديه الأرض المنخضة بالخيول إذا صار إلى في هذا اليوم، وهو محمول بأبدن الفرسان المميزين، وملوف في العراصي البيضا فيفرض في الحراب ثلاث طراحات: إما سمان وإما صبا أبيض أحسن ما يكون من تسهما كل منقوش بالحرارة فتقبل الحراحت متعاطلة، ويعلق ستران بيضاء ومبرسة وفي الستر الأبيض كشامة مرقومة بالحبر الأصفر وأضفة مقلوبة لأهلها، والبسملة» والفاطحة وسورة الجمعة وفي الذكر الأسير مثل ذلك... ثم يصعد فارس الضافة الذي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها إليه صاحب بيت المال فيبخر الذروة التي عليها الغشاء كالنقبة لجلس الخليفة للخطابة ويكر ذلك ثلاث مرات. فيأتي الخليفة في هيئة لصب من اللبل والبيق وقيل ركباه خارج أصابع الركاب القراء، وهم قراء المفسرين يطويون بالركبة نوبة بعد نوبة يستحضرون ذلك من ركوبه من الكسي على ما تقدم على طول طريقه إلى قاعة الخطابة من الجامع (أي أنهم يبدلون أكراد للقرآن طوال الطريق من القصر حتى قاعة الخطابة في الجامع).

«فلذا أتت الجامعة دخل إليه قاضي اللضاة فقال: السلام على أمير المؤمنين الشريف الفاضل ورحة الله وبركاته، وأمين الله بركته الله، فيخرج الخليفة ماشياً وحواشي الأستاذين الحنكون والوزراء وأمه ومن يديهم من الخواص ويأيدهم الأسلحة من صبيحان الحاشي، وهم أسراء وعليهم ذات التمام فيصعد الحصان إلى أن يصل إلى قهوة تحت القبة المنيرة، فإذا استوى جالساً وأقرب على باب المنبر وجهه إليه فيقبل إليه بالصلوة فيصعد إلى أن يصل إليه فيقبل يديه وجهه ويحدث مراد الناس ثم يبرز عليه تلك القبة لتأني كالهوج فيخبط الخليفة حطية تصير من مسكون يحضر إليه من ديوان الانتشاء. فيطلع إليه من رزق علمه وطق التزوير ويذكر الظهري فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في الحراب

## قاسم عبده قاسم

هَذَا، كان للروح على الجوامع والمساجد لتلقيها وتقليدها وتجديدها استعداداً لشهر رمضان مبداً قبل الشهر بثلاثة أيام، وكان الاعتماد بهذه الأمور من عوائد الدولة الفاطمية. ويبلغ المنظر هنا اهتمامهم بالقرافة. فقد كانت من أهم مَنَظَرَاتِ أهل القاهرة وقد قال عنها الرحالة «ابن جبيرة» (ق ١٢٠ هـ/ ١١٢٦) إنها إحدى عجائب الدنيا لما تحشوا عليه من مشاهد الأبنية، وأهل البيت والصحابة والقائمين والعلماء والزهاد والأولياء... ذوى الكرامات الشهيرة والأبناء الخيرية...، وقد استرعت القرافة - وهي منظره القادر العامة للعاصمة المصرية آنذاك - انتباه كل الرحالة الذين رأوا القاهرة. وقد حرصت السلطات الفاطمية على أن يقوم بمهمة التفتيش قبضة مصر لضمضان بقية العمل. ومن الطريف أن عدداً كبيراً من الفاطميين كانوا ينتهزون الفرصة للوقوف مع القاضي في لقاء عمله فيما يشبه الموكب، فكان يكون لهم نصيب في الوليدة التي يحضرها القضاة بعد انتهاء مهمتهم



ثانية هذه الصور التاريخية تلقيا للغزيرة عن ابن المصنوع تحت عنوان واضح «إبطال أسكرات». قال ابن المصنوع: وكانت العادة جارية من الأيام الفاطمية إلى «وزارة الأضطرار بن بدر الدين الجمالي» في آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تعلق جميع قاعات الحماصين بالقاهرة ومصر. وتُختم، ويحظر من مع الخمر» فرأى الوزير المأمون ما ولى الوزارة بداد الأضطرار ابن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة (أي في جميع أنحاء الدولة الفاطمية في مصر والشام) فكتب به في جميع ولا الأعمال. وأى يشارى بأنه من تضرش ليسع شيء من أسكرات، أو شرايلة، سرّاً أو جهراً، فقد عرس نفسه لثلاثها، ويرث الزمة من هلاكها.



الصورة الثالثة ربما تعطينا مؤشراً عن تحول الناحية الدينية إلى مناسية دينية - اجتماعية: لتسبيحاً إلى وضعها في اعتبارنا أن الناس يقفون حكامهم وعلمائهم. يقول للغزيرة: «مرة رمضان: وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم، لكل طبق، ولكل واحد من أولاده وتسلمة طبق فيه حواء، ويوصله صرة من ذهب: فيبعد ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان».



الصورة الرابعة عن اهتمام الخلفاء الفاطميين بالاحتفال بقدوم شهر رمضان في

أخذ شهر رمضان في التاريخ الاجتماعي المصري سنة خاصة خلعت شكل أياها الشهر وإياليه تختلف. مصر عنها في أي بد آخر من بلاد المسلمين. وقد تحول شهر الصوم من مناسية دينية حالمة إلى مناسبة دينية - اجتماعية مصرية تشكلت ملامحها عبر عصور تاريخ مصر الإسلامية. ولما تعرف على وجه التباين متى، وكيف، تحولت مناسبة شهر رمضان إلى مناسبة دينية - اجتماعية. لكن الذي نعرفه بمرجة معقولة من الفيلين هو أن نهار رمضان كان مخصصاً للصوم والعبادة، وأن أسبائته ولياليه - بعد الإفطار وحتى انتهاء السحور - كانت للعبادة والرح والسور والولاء التي شربها البذخ على الدوام، ولأنه المناسبات التاريخية الشاحبة بصورة كاملة عن تطور اجتماعي شهر رمضان على امتداد التاريخ الاجتماعي المصري، ولما نعد أمثالاً لثقافتنا وصورة تاريخية متفرقة تحاول جمع شتاتها.

## في العصر الفاطمي

أولى الصور التاريخية عن شهر رمضان تظهر في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٤ هـ/ ٩٦٩-١١٧١ م) لتقليد الموكب تلي الدين الغزيرة عن مصادر تاريخية فاطمية مفردة. وقد نقل الغزيرة في محطه (ج ٣، ص ٢٠٠، ٩١ ص ٤٩٢) ما كان العلماء الفاطميين يخلعوه في هذا الشهر. وربما يكون مناسياً أن نقلها كتبه هذا الموكب نرسمة الصورة التاريخية الأولى تم تحول شربها وتفسيرها: «موسم شهر رمضان، كان لهم (الفاطميين) في شهر رمضان عدة أنواع من البهائم منها شفت المساجد، لكل الشريف الجوالي في كتاب الخطابة: كان القضاة بمصر إلى شهر رمضان ثلاثة أيام، طافوا يوماً على المساجد وأسابيد بالقاهرة ومصر (هذا تعبير شائع في المصادر التاريخية عن العاصمة التي كانت تضم المساجد والوعاءم الكبيرة للخطابة والقطاع والعسكر) فيبدأون بجامع القدس، ثم بجامع القاهرة، ثم بالمشاهد، ثم بالقرافة. ثم بجامع مصر (جامع عمرو بن العاص) ثم بمشيد الرأس (الحسين) في شتر. حصر ذلك وقائليه وعمارته وإزالة نخله. وكان أكثر أساس من يلوذ بيباس الحكم والشهود والفتيليين يتحشرون لذلك اليوم والوقوف على المنظر المسعود.

١ - عادات وتقاليد المصريين لخدمت تكليف إدوارد وليام بي. «رحمة سهير رسوم لقاهرة مكتبة مديولي. ١٩٩١

٢ - الواعظ والاعتبر يذكر الخطب والأثر طبعه تاد الدين أحمد بن علي الغزيرة طبعه تاد الدين أحمد بن علي الغزيرة بلاق، دون تاريخ

٣ - مدافع الزهور في ولعقه النور محمد بن أحمد بن إمام المصري تحقيق الدكتور محمد مصطفي القاهرة جمعية المستشرقين الألمانية (٥ مجلدات)



# صورة تاريخية مصرية



مسألة) التي كان بها عند الفطور وبين يديه ثلاثة معجبات من جميع الحبوب وغيره، والقعبة الكبيرة الخاصة مملوءة أوساطه بالهبة المعروفة، وحضر الجلساء واستمع كل منهم ما ألقى عليه، وأوما الخليفة أن يستعمل من القعبة: فيبقى الفرائش عليهم أجمعين. وكل من تناول شيئاً قام وقبّل الأرض وأخذ منه على سبيل البركة لأزواجه وأهله؛ لأن ذلك كان مستقاضاً عندهم غير معيب على قاعله. ثم قُدمت الصحون المصنوعة مملوءة هلالاً فاخذاً منها الجماعة الكطبة، وقام الخليفة وجلس بالمقصورة وبين يديه السحوات المطويات من لبتين (الجان) رطب وشخص، وعدة أنواع عصارات وسويق تامر وجريش وجميع ذلك بقوابيت محشية وموز (أي أن العصائر والحلويات المصنوعة من اللبقيق الناعم والخشن محشوة بالمكسرات واللوز) ثم تكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سقفاً، وحضر الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض والسؤال بما يقدم عليه، فتناولوه المستخدمون والإستائرون وفراؤه فاخذوا القوم في انعامهم، ثم سلم الجميع وانصرفوا.

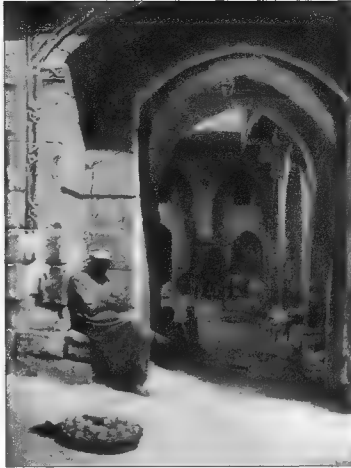


الصورة السابعة من العصر الفاطمي هي الصورة الأخيرة التي أخذنا بها المصانير التاريخية عن الاحتفال بشهر رمضان وهي عن ختم القرن الكريم. يقول القرني:

«الخدم في آخر رمضان، وكان يعمل في التاسع والعشرين منه. قال ابن المأمون: ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر باضفاف ما هو مستعمل للمصريين والمؤندين في كل ليلة يرسم السحور. يحكم أثناء ليلة ختم الشهر، وحضر السحور الوزير المأمون في آخر انتهاز إلى العصر للتلو مع الخليفة والحضور في الأسمعة الجلساء، وحضر إخوته وعمومته وأصطيح الجلساء، وحضر المسرئون والمؤندين وسألو على عاتقهم وجلسوا تحت البرش، وحمل من عند مطعم الجهات والسيدات والمعيزات من أهل القصر (هذه كلها ألقاب لشمار الفاضلي) ثلاثي وموكيات مملوءة ماء مطفولة في عراض يديهي (أي الكوابي الفاضلي البيهقي الفاطمي) وجعلها أمام المؤندين لتشعلها بركة ختم القرآن الكريم، واستدعى المكونين في الحرم إلى خاتمة القرآن الكريم وتغزيرت.

ثم وقف بعد ذلك من خاتم طابع، ودعا فاسيلج، ورفع الفاضلون ما بعدهم برسم الجهات، ثم بكر المؤندين وظلوا، وأخذوا في الصوفيات إلى أن كثر عليهم من البرش مناديب وبراهم وباعيات، وقدمت حضان الطلطف على الرسم (حسبما جرت العادة) والبسند والحواء، فجعلوا على منامهم معاً وأكعامهم، ثم خرج أسنان من بلاد الهندية وأخذوا خلعهم على الخطيب وغيره، وبراهم تفرك على الملائكين من القرن والمؤندين. هذه الصور السبع من العصر الفاطمي احتفلات رمضان ثلاثين من هذا الخليفة وأما تلك صوراً فمصر من هذا العصر، عن احتفالات رمضان بين الناس في مصر عامة، وإذا ما تذكرنا أن القاهرة ظلت حتى تلك الحين عاصمة سياسية وأدارية وسكنها خاتمة الخليفة وحاشيته وحاجته، أمكننا أن نلهم سر اهتمام المؤرخين برصد أحوال الحكام والانصراف عن استعصام تطورات الحداثة الاجتماعية بعيداً عن العاصمة.

العدد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٠م



فرانك بيلون، جوزيف فاركارسون، فيلوة باغ الرقاع في سوق فيلوة لقرن في بيت الفصح الساعات

العشاء وهي فترة طويلة كانت تتبع تهادل الأحداث والآراء والمعلومات.



الصورة السابعة أيضاً من داخل قصر الخليفة الفاطمي، يتحدث عن سحور المؤندين وكيفية قضاء الوقت ما بين الإفطار والسحور.

يقول القرني: «سحور الخليفة: قال ابن المأمون وقد ذكرني أسبغة رمضان وجلس الخليفة بعد ذلك في الرض إلى وقت السحور (الفرش مقصورة) ثم راقعة تحجب الخليفة عن الوجوهين) يشاهدوه الخليفة، ثم حضر بعد ذلك المؤندين وأخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور وختموا بالهدية، وقدمت الخاء (الوسيلة) للوغاة فتروا فضائل الشهر، وروح الخليفة، والصوفيات (المنائح الصوفية) وقام كل من الجماعة للرخص (بقصد الرخص من إيلاعات الفاضل كما فعل المصنوعة)، ولم يبقوا إلى أن تقتضي من الليل أكثر من نصفه، فحضر بين الفاضل واستمر ما أعم به عليهم، وجرار الفرائش، وأحضرت حضان الطلطف، وجرار الجبال (شراب بالعدل) يرسمه فائقوا ومأوا أكمامهم، وقض عنهم ما تحفظه الفرائش، ثم جلس الخليفة في السلا (مكان أسلعت عليه

ويكون اتصافهم العشاء الأخيرة فيجمعهم ذلك ويصل منه شيء إلى أهل القمامة من بعض الناس ليصنع، ويؤخذ الرجل ما يكفي جماعته. فإذا حضر الوزير كخرج إليه ما هو يحضره للخبز، وربما حمل من مسوره من خاص ما يحضره، وكانت فيه دية تشريف له وتطييباً للناس إلى امتدحه بعد العشاء الأخيرة بضاعه أو ساعتين قال ومبلغ ما يتبقى في شهر رمضان لساعة مدة سبعة وعشرين يوماً ثلاثة آلاف دينار.

هل كانت هذه الولائم الرضائية بداية لولائم الرحمن؟ وما كانت في البداية وأسماء مصر وانتقلت من قمة الحكم إلى الأمراء وكبار رجال الدولة والتجار والأميين والأثرياء. في هذه الصورة التي نطها المخرزي من مؤرخ معاصر للفاطمين هو ابن الطوير، نجد امرين يلفتان النظر بشدة: أولهما الاندماج بين تحتوي للامة (السلطان) على كل أصناف الطعام، وثانيهما أن الذين كانوا يحضرون «مسامع رمضان» كانوا يأخذون معهم عبات كثيرة من الطعام الذي كان يصحب بعضه إلى أهل القمامة من بعض الناس ليصنع. كذلك كانت مكانة الوزير عظمى بحيث كان له امتياز خاص وهو أن يأكل من طعام كل من الخليفة نفسه، لقد كانت وليمة الإفطار تمتد من المغرب حتى بعد

وحده إماماً. فلما فرغ خرج الناس وركبوا أوّل قبال، وعاد طاباً القصر والوزير وراءه وصبرت الموقات والظول في الغروب.

«فإذا أتت الجمعة التالية وبكى الخليفة إلى الجامع الأزهر من الفاضلين (مكانة اليوم شارع الصنافية بالآزهر) على المثال الذي ذكرناه والقلب الذي وصفناه».

«فإذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه إلى مصر للخطابة في جامعيها (القصود القسطنطينية وجامع عمرو بن العاص، وكانت القسطنطينية حتى تلك الحين بضواحيها هي العاصمة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فيزي من أهل القاهرة من باب القصر إلى جامع ابن طولون، ويؤين له أهل مصر من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر، يربط ذلك وإلى مصر كل أهل معيشة في مكان فيظهر المختار من الألات والستور والشمعات، ويهتجون بذلك ثلاثة أيام بلياليها، والوالي ماز وعنده بينهم قد وثب من يحفظ الناس ومشاهير فيربك يوم الجمعة المذكور شاكلاً كله على الشارع الأعملى إلى مسجد عبدالله، إلى رلى الأماط إلى الجامع بمصر فيدخل إليه من الدعوة (أي على الشريطة) ومنها باب متصل بقاعة الخليفة بالزى الذي تقدم ذكره في خطبة الجامعين وعلى ترتيبهما، فإذا قضى الصلاة عاد إلى القاهرة من طريق بعينها شاكلاً بالريّة إلى أن يصل إلى القصر ويخطي أبواب المسجد التي يمر عليها كل واحد بمئات».

هذه الصورة تعكس جانباً رسمياً من الاحتفال بال شهر وتعكس جانباً اجتماعياً من الاحتفال الذي ترتبه الوالي على حساب أصحاب الحرف والصناعات لتزوين الطريق الذي يمر به موكب الخليفة، لتضييقاً في السلطان التي كانت لخدمة البلاد آنذاك.



الصورة الخامسة من داخل قصر الخلافة الفاطمية تتحدث عن مدى البذخ الذي ميز الولائم الرضائية التي كان الخلفاء الفاطميون يقيمونها يومياً لإفطار الأمراء وكبار رجال الدولة. يقول القرني:

«مسامع رمضان، قال ابن الطوير: فإذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان ركب أهل الساعات كل ليلة بالراجع إلى القصر إلى الأساس والعشرين منه، ويستعدون فاضلي الفاضلة إلى الجمع توكبيراً له (يعني لا يجمعون استعداداً يومياً سيدي في حرمته من الإفطار مع أهل) فاما الأمراء، فهي كل ليلة منهم قوم بالاندية (تؤبىة الختمه بالسلاسل) وما يحضرونهم بالاندية يومياً، ويكون صاحبهم يمسولون ويرح إلى جامع الباب وأسفلها (أي أن كان هناك موماعيد الختمه كل منهم لدى المسول عن القصر وساعده) فيعرف صاحب كل ليلة، لا يتأخر ويحضر هذه الصورة بصرى (أي بالبنادر الملقبة) فإن ذكر كان ولده أو أخوه، وإن لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب. ويهتم فيه اهتماماً عظيماً تأنياً بحيث لا يسهو شيء من أصناف المسكوكات الثلاثة والأصناف الراتنة، وهو مسكوكات (أي المسامع أو اللقطة مقددة في كل الواقعة، ماء من البرواق إلى ثلثي القلعة، والفرائش وقبلة لخدمة الحاضرين، وحواشي الاستائرون (أي المشرقيين على القصص) يحضرون الله الأيسر في كيزان الخضر يرسم للحاضرين



## في عصر المسالك

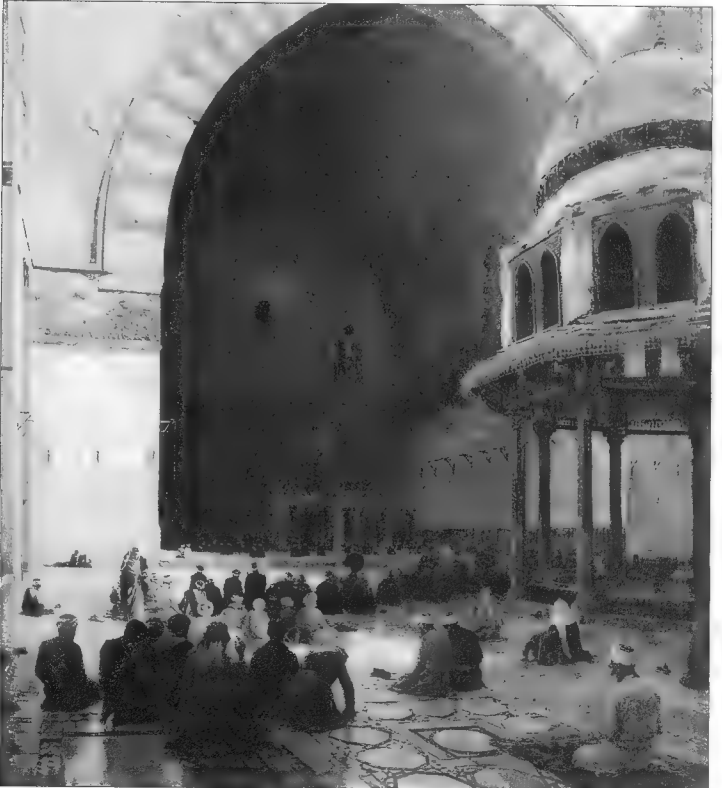
الصور التاريخية الأولى عن الاحتفال بشهر رمضان بدمها الرحالة الأشهر «ابن بطوطة» الذي زار مصر في عهد السلطان الناصر محمد من قسلاون (سلطنته الثالثة من سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م) شهد ابن بطوطة الاحتفال باستطلاع هلال

شهر رمضان في مدينة إيبس. بالقرب من الحلة الكبرى وقد لنا هذه الصورة:

«وعادتهم أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي. ويقف على الباب ثقب للتحمين (كل العلماء والقضاة والفقهاء يعرفون بأهل العامة، أو المتحمين). وهو ذو شارة وهيئة حمنة. فإذا أتى أحد

الفقهاء، أو أحد الوجوه تلقاه ذلك الثقب ومشى بين يديه قائلا: باسم الله سيدنا فلان الدين، فيسمع القاضي ومن معه فيقولون له، ويجلسه في مجلس يليق به فإذا تكلموا هناك، ركبوا جميعاً وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان، ويتجهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال عندهم. وقد قرئ ذلك الموضوع باليسبسط

والفرش، فينزل القاضي ومن معه، فيرقبون الهلال ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحواشي بحوائثهم الشمع، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون. هكذا فعلهم في كل سنة. (رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق د. علي المنصور الكفائي،



بيروت ١٩٨١م - الطبعة الثالثة - ج١، ص ٤١.

تشك في أن هذه الصورة التي رسمها كلمات دابن بطوطة لاحتفالات رؤية هلال رمضان كانت قريبة الشبه بما حدث في جميع أنحاء البلاد المصرية، وفي العاصمة كان موكب رؤية هلال رمضان يقتضب أهمية أكبر بقلعة الحال. وقد حدث سنة ٨٨٢ هجرية اضطراب

بسبب الرؤية، ويقول ابن إياس (بدائع الزهور، ج٢، ص ١٣٦)

«في رمضان سنة ٨٨٢ - وقع بالفاخرة بعض الاضطراب، وسبب ذلك أن مفسد النلاون من شعبان ولم يزل الهلال فاكل غالب الناس في أول يوم من أيام رمضان؛ فنادى القاضي الشافعي بالإسكاف، فثار عليه الدوام واضطروا للإقراخ في (أي لراوا إيلاده وإلتهك)

فثبت رؤية الهلال قريب الظهر، ولكن فطر غالب الناس في تلك الليلة.



تشترك عدة مصادر تاريخية في رسم تفاصيل الصورة الثانية. فحين يتم التأكد من رؤية هلال شهر رمضان يصعد القضاة



فردريك لويس، كتاب في هلال القاهرة

والتر تيزال، ملك الملكة في مولانا

جوزيف فاركارسون، رمل مسجد السلطان حسن

ومشايق العلم والفقهاء إلى الملقة لشهنة السلطان بالمشير، ويبدأ تكون السلطان قريباً فيصبح هؤلاء مالا وهاديا بمناسبة الشهر معلما فعل الأشراف قايمايا.

في رمضان سنة ٨٧٦ هـ رسم السلطان للقاضي عبدالمعني بن الجيطان بيان ينفذ على العلماء والفقهاء بسبب في رمضان لعالمهم واستمر ذلك عملاً في كل شهر رمضان مدة أيام الأشراف قايمايا إلى أن مات، ثم تلاصر من بعدهم (ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٦٩).

كان كل يتم خم قراءة البخاري بالقلعة ويهدىها بنعم السلطان على قضاة القضاء ومشايق العلم والفقهاء بالعلم وصبر الحال، وحدث مرة واحدة أنه في شهر رمضان، ختم قراءة البخاري بالجامع الأزهر، وحضر القضاة الأربعة، وأقرت هناك الخلع والصبر على الفقهاء والعلماء... وكان قراءة البخاري من أول شهر رمضان بالجامع الأزهر. وعند الدعاء يدعو للسلطان بالسلامة. (ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٣٧) - كان ذلك سنة ٨٨٢ هـ وتكن قراءة البخاري عادت بعدها إلى القلعة حسبما جرت العادة.

كان هذا شكل احتفال أهل الحكم، ولكن احتفال أهل اليد كان له شكل آخر. فقد كانت القاهرة والمدن المصرية تسبح في الأضواء طوال ليالي شهر رمضان بسبب كثرة المشاعل والفوانيس والشموع في الحوانيت والأسواق وعلى الحبال الممتدة بين البيوت عبر الشوارع ويلاقي الناس، وهو الأمر الذي لفت انتباه الرحالة الأجانب الذين زاروا القاهرة أيام المماليك كذلك فإن ابن الحاج المغربي (الذي أقام بالفاخرة فترة وهو في طريقه إلى الحجاز لداء فريضة الحج) لاحظ أنه كان من عادة المصريين في شهر رمضان أن يعلقوا الفوانيس على الحبال الممدودة بين مآذن المساجد والجموع... التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب وغيرها ما دامت معلقة موقودة...»

وفي ليالي شهر رمضان كانت أسواق القاهرة والمدن المصرية الأخرى ترددها وكثرت فيها الحياة احتفالاً بالشهر الكريم، وقد لاحظ الرحالة الأجانب أن الطعام والأطبخ في العاصمة كانت تظل مفتوحة من الفطوب حتى الفجر طوال شهر رمضان لكي تستقبل زبائنهم. والحقيقة أن معظم سكان القاهرة في تلك العصور لم يكونوا يتناولون طعامهم في بيوتهم، وإنما كانوا من رواد المطاعم التي قدراها البعض بالثني عشر ألف مطعم في القاهرة. من ثم كان طبيعياً أن يعتمد القاهرةيون من أبناء الشرائح الوسطى والفقراء على المطاعم والأطبخ في جنتي الأضطر والسفور. كذلك ارتبطت بعض الأسواق بشهر رمضان ارتباطاً خاصاً، ومنها «سوق الحلاويين» و«سوق الشعاعين» ففي شهر رمضان كانت سوق الحلاويين تملأ بجميع أشكال التماثيل السكرية التي كانت تصنع على هيئة تماثيل الحيوانات من قطط وسباع وغيرها. وكانت هذه التماثيل السكرية تعرف باسم «الحلاويين» (ومقرها غزالة) لأنها كانت تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت وهو لطيفاً، ويتراوح وزن الواحدة ما بين ربع رطل وعشرة أرطال. أما سوق الشعاعين (أي تجار الشموع) فقد ارتبطت أيضاً بشهر رمضان، ففي ليالي هذا الشهر كانت حوانيت السوق تفتح أبوابها إلى ما بعد منتصف الليل، وقد تلازت السوق بأضواء مختلف أنواع الشموع الموكية والفانوسية والطوافات. يقول المفريزي (الخط، ج٢، ص ٩٢، ص ١٠).

ودارت سوق الشعاعين من الحائسين معوم الحوانيت بالشموع الموكية والفانوسية والطوافات لإتزال

والمكسرات» ويذخون، ويعد ذلك يتناولون «المكسرات» النسم من اللحم وغيره من أطباق الطعام، ثم يؤدون صلاة العشاء ويعدوا صلاة التراويح...»

«يتناول المسلمون مطويعهم في منازلهم بشكل عام، ويعد ذلك بساعة أو ساعتين يصحون إلى منزل أحد الأصدقاء، ويتراهم بعضهم المقامى حيث تتم اللقاءات الاجتماعية، أو يستمعون إلى رواية السير والحدكايات الشعبية، أو عزف الموسيقى من الموسيقيين الذين يسلمونهم في كل ليلة من ليالي رمضان. وتنتهي الشوارع بالناس طوال شهر كبر من الليل وتظل محلات بيع المشروبات والمأكولات مفتوحة. ويلعب بعض علماء القاهرة حلقات الأكرس في منازلهم كل ليلة طوال شهر رمضان...»

يدور المسلمون كل ليلة في شهر رمضان أمام منزل كل مسلم ليتناولوا في موعدهم (حري) أي ساعة متأخرة، ولكل مطبخ (حري) أي القاهرة يسرحها الغاضق فيجعل في يده «بازاء» صليبا أو ما يعرف «بطيخة المسحراتي» وفي يده البيضا عصا صغيرة أو قطعة من الجلد يرق بها على طبلته، ويرافقه في جولته صبي يحمل قنطريونين من عود من جريد الخش. ويحضر أمام كل منزل ويضرب طبلته ثلاث مرات وقد يشد مناديا بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ويخيرات التوحيد ويغزل ويلاين كل واحد من الحش...

... ويتجول المسحر قبل الإمساك بساعة ونصف تقريبا ليوطف الناس أو يكتمهم بتناول الطعام في تلك المرات التي تلتع في إثره اختصاصه فيلحق الأواب ويبدأ حتى يصبح للمنزل نادم...



**هذه الصور التاريخية التي أهداها لشهر رمضان في مصر خلال عصورها التاريخية**  
 رمضان في مصر خلال عصورها التاريخية  
 أصبحت مناسبة اجتماعية / دينية تلتقي فيها الخصائص الثقافية المصرية التي جمعت بينه لخصائص كثيرة تبدو متناقضة من ناحية، كما تكشف عن الانحلال في عصرها رمضان كان مناسبة دينية، ويسهل بها الحكم التواصل مع ربها، كما سبيلة اجتماعية. وتتلخص في طقس صلاة المغرب الاجتماعي والفقلي. كان شهر رمضان، والآن في مصر مناسبة اجتماعية / دينية تلتقي بين هدي حيوية الدين الإسلامي المصري، التي بدأ شهر هذا الجانب الديني متمثلة في صلاة الفرائز وحلقات التكن والازيعة ومجلسه، وبعد الجانب الاجتماعي في الزيارات واللقاءات في المنازل والقاهي وأسكن المجتمعات المتعددة، وتتلخص الجانب الديني في سماع الموسيقى والاستماع إلى السبر والحدكايات الشعبية ومسابقات الصبيبان بغواتيسهم والفتنهم والخصومة، والجانب «المسحراتي» بطلته كل الأوقات لخصوص والازيعة ومجلسه الشعبية، وتتلخص الجانب السياسي في حرص المسلمين على الصلاة في مناسبات مثل صلاة الجمعة أو صلاة الفرائز... صلاة عيد الفطر، وتتلخص الجانب الشعبي في صلاة طلع الفجر للفتنة والتي حوالت شهر الصوم إلى مناسبة لكل.

أو ليس رمضان في مصر مختلفا عن شهر رمضان في أي مكان آخر؟



فريرة لوييس.

في خدمة سيدة الحريم

وانتر هورسلي.

صلاة الصغار على حجر سقاية تحمل

أعدية ورسوا

واندمج في المجتمع المصري على مدى ثلاث سنوات ثم عاد إلى بلاده سنة ١٨٧٨، وزار مصر ثلثة أدة عامين (١٨٣٣-١٨٣٥) ألف أنهاها كتحية «عادات المصريين المحلدين وعاداتهم». كانت مصر في تلك الفترة تحت حكم محمد علي.

يؤلف هذا المشرق الخيري:

«عرف الليلة التي يتوغل فيها بدء شهر رمضان بيلة التروية... وينتهي في فترة بعد ظهر اليوم السابق، أو قبلا، المعين من الأشخاص إلى المسراة حيث جئت للصلاي لبرية الهلال القمر» ويبدأ الصوم في اليوم التالي بعد غروب الهلال... وإذا استجاب ليلة الهلال نتيجة لتدبير صلحة السماء يبدأ الصوم عند انقضاء ثلاثين يوما من بداية الشهر السابق. وتكفي شهادة مسلم واحد في رؤية الهلال لإعلان الصوم. ويتعلق المحاسب وشيوخ بعض الحرف (المحاسبون والمخاضون والحارون والزياتون والمعلمون والخضرات) ولغيف من أتباعهم، ورفق الموسيقي، والموصية بقيادة بعض المعسكر في هذه الليلة في موكب من القصة إلى دار القضاة وهناك يتنظرون إلى الشخص الذي ذهب للإسقاط الهلال، وشهادة أي مسلم آخر أي الهلال. ويختشد الناس في الشوارع التي يمر بها الهلال. وجرت العادة أن تكون في الموكب طلبة من الجياد المغطاة مسجورة بالشمعة من كشكة: بيد أن العرس المسحوري على محل الأبهة الدينية المدنية التي كانت تشهدا ليلة الهلال، والتمس موكب ليلة التروية على الجود الخشاش ويتقدم حاملو الخشاش كل مجموعة من الجنود، كما يسيرون خلفهم تارة لتطرق لكل عند عودتهم. العدة من العامة وما يهتفون: بركة، بركة، بركة الله يا رسول الله، عليك الصلاة والسلام. وتتر الفرق في يضع تالاق ثم بجي الحشيب ومعاونوه في نهاية الموكب.

ويعد أن يصل الخبر اليقين بأنه تمت ترة الفرق إلى بيت القضاة يتقدم الجنود من أحشادهم معهم في الموكب إلى عدة فرق. يعود فريق منهم إلى القصة بينما يتوقف الفرق الأخرى لتضاد الأبهة وأصحابها المخلقة ويمامون بها لتباج فضل خلق الله. الصيام الصيام ما إذا لم تلتزم ليلة الهلال في تلك الليلة يصرح المنادي بكرة شعبان فالحش

حواشي مفتحة إلى منتصف الليل... وكان به في شهر رمضان موسم عظيم لفترة ما يشتري ويكتري من الشموع الموكبة التي تزين الواحدة منها عشرة أظلال لها دونهما، ومن المزهرات العجيبة التي الملحة الصنعة. ومن الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها الطنن وما فوقه. كل ذلك يرس رغب الصبيبان للتراويح: حشير في شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية... وصلة...

كان موكب صلاة التراويح في كل حارة (حي) من حارات القاهرة في علامات شهر رمضان البهجة: لقد كان هذا الموكب يتجمع حول إحدى الشموع الضخمة التي يجرها الأولاد على عجلات ولقد اسمد كل منهم بغانوسه وهم يهزجون بأغنيات جميلة مثل برصمان ويغطف الموكب الجديد الدروب والأزفة من بعد الغروب حتى موعد صلاة التراويح.

كان المسحراتي من رفق ومع رمضان وقد حدثنا لصان التاريخة عن هذا الرجل الذي كان يطوف شوارع القاهرة ورويهما وإزفاته في الشطر الأخير من الليل بطيخة الشهيرة وفي ليالي الصيف كان يصحبه عدد من الأطفال وهو يردد اهلازيه وأغانيه الدينية ويدي على صلاة مناديا أصحاب البيوت الذين يهرعهم بالسلام. وقد تراءى الحاج أن المسحراتي في الاستكبرية كان يدي على بيوت الناس ويطلب منهم القيام لتناول السحور.



الصورة الثالثة قبل سقوط دولة سلاطين المماليك عامين ترسمها كلمات المؤرخ ابن إياس (يبدأه شرحه ح. ١٢٧٧، ص ٢٩٧) «في يوم الخميس كان صبيان مسكرين شهر رمضان سنة ٩٢٠ م طلع الخليفة والقضاة لأربعة الفجلس الباشاء والشيوخ المسلمين بالمجان والأوير يوسف البصري والزيتي يركبان من موسى الحشيب وعرضا اللحم والديق والخمر والنفنم والبقر على السلطان كما جرت به العادة وهو مرفوف على رؤوس الصبيان. فالتخ السلطان عليها وألحق على القاضي شرف الدين الصغير فاطر الدولة، القاضي السني» وما في ليلة الهلال حضر القضاة الأربعة بالمرسة المصرية (شبهة إلى العدة الأربعة بالمرسة المصرية) وحشير الزيتي يركبان من موسى الحشيب، لما تبت رؤيته الهلال وانطلق المجلس بعد الزيتي رؤيته موسى من مكان غفلة الزيتي اللواتي الأكره والتأجيل والمسالع والشموع فاطر الدولة، يخص ذلك لغرفته. وودوا له الشموع على الكافكين وعلقوا له الشراطين والأضال الموقوفة الماقليل من الشراطين إلى سوق مرحوش إلى الشراطين إلى سوق الفجر عند دونه. فارتجت من أثاره في ذلك الليل، وكانت من الظلال المشعرة، وأظفوا له مجامر البحور بطول الطريق. وكان ذلك يوم إحدى الموكب السلطانية.

## رؤية شديدة

إن صورة تقدمها لاحتفال بشهر رمضان تأخذنا من كتاب «إبواب» ليريم، وليد بدأ زيارته لصر سنة ١٢٦٥ وتعلم العربية



# ”أزمة السياسة“

## محمد حسنين هيكل

المعنى الحقيقي لما جرى  
في الانتخابات الأمريكية، هو أن الناخب  
وجد نفسه مطالباً بها لا لاختيار  
بين السمين والسمين

تقرض مطالبها، وأولها «الكره شحنة من  
قوة الإحياء»، وليس «الكره قدر من قوة  
الإحياض».

وهذا فإن «الخطاب السياسي» لم يُعد  
بحسبنا إلى صفة تتفق عناصرها على  
المواقع والمصدود - ولم يُعد «الخطاب  
السياسي» يحتاج إلى حناجر لها القدرة على  
التحكم في طبقات مسوئها، سواء كان  
الخطيب هو «فلايميجر إيتش لينين» في  
موسكو، أو «سعد زغلول» في القاهرة؟ -  
وأخيراً فإن «الخطاب السياسي» لم يُعد  
بحسبنا ميكروفونات «هتلر» الساخنة، أو  
ميكروفونات «روزلث» الهامسة!

ومع أزمة جديدة أصبح «الخطاب  
السياسي» عملية مسرحية تحتاج إلى كتاب  
القصص والمخرجين والمصورين، وإلى  
الأضواء والعدسات، وإلى خيكة المؤثرات  
وقوة الإبهار!

٧

وإذا اتبعت لن أن أشهد هذه الثورة في  
أسلوب «الخطاب السياسي» أيام طولاتها،  
وفي عهد برانتها، وعندما كانت تصرفاتها  
تجذب نوعاً من «مشاهدة باقوكر للغير تدعو  
لالتباس» - ولا تشد إلاصباح كما يحدث الآن  
بعد أن كبر الطفل التليفزيوني البيرى -  
وأصبحت حركاته شذات مكثفة وضالطة -  
خصوصاً في مجال «الخطاب السياسي»!

وجبات الفرصة في أن تسبعت لي مع  
انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٥٢ (وقد  
عطيها صديقاً)، وكان الرشحان المتنافسان  
فيها هما: «جورج دوايت إيزنهاور» عن  
الحزب الجمهوري، و«دالي ستيفنسون» عن  
الحزب الديمقراطي.

كانت تلك آخر حملة انتخابية للرئاسة  
الأمريكية تستعمل فيها خطوط المسكك  
الحديدية طريقاً إلى ميادين المعارك الانتخابية،  
وكان ذلك أسلوباً ابتكره «جيمس روزلث»  
في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن  
العشرين، وقد أطلقوا عليه «موقف Stop  
Shop» الذي يُستعمل في المحطة.

العدد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٠م

الشيء اللطيف في «سان بيترسبورج» (وهو  
الولاية الكبرى للثورة البلشفية)،  
الشاهد أنه في تلك الفترة، وعلى امتداد  
قريبة قرن وربع القرن من «اللياستين» في  
باريس إلى العصر الشيوعي في «سان  
بيترسبورج»، كان «الخطاب السياسي» -  
خطبة تستلهم الفعل وتُخَرِّص عليه!

٥

وعندما اكتشف الاستاذ الكلاسيكي ونظير  
الميكروفون فإن «الإذاعة» أصبحت تطوراً هائلاً  
في الخطاب السياسي بما زُوِّدَتْ له من اتساع  
وانتشار. وفي عصر «الإذاعة» ظهرت سطوة  
رجل مثل «أولف هاتر» في ألمانيا النازية -  
وفي نفس العصر اتسع نفوذ رجل مثل  
«فرانكلين روزلث» في الولايات المتحدة  
الأمريكية. وفي حين أن خطاب «هتلر»  
لديمقروكروك الإذاعة، كان من سار ولهب،  
فإن «روزلث» لفت أن يكون خطيبه: أخيراً،  
وعادة، أو تفكيراً بصوت عالٍ كما كان يفعل  
يقول. ونتيجة لذلك فإن الساحة الإذاعية  
لخطاب «هتلر» الحار للخطبة كانت في  
عرض الجيوش ووسط خلق الرايات  
وهدير المشو، في حين أن «روزلث» اختار  
لخطابه عنوان «حديث للقاء»، وكان يأخذ  
«ميكروفون الإذاعة» في يده ويحس بجوار  
مخافته بيضاء منه يوم الجمعة الأول من كل  
شهر ويحدث للناس، وأحياناً يهوس.

وتلك كان وعاء «الخطاب» يتداخل مع  
مضمون «الخطاب».

٦

وفي عصر التليفزيون وقد لحق نشيهاً  
بعض الإذاعة - فإن «الخطاب» أصبح  
لأن «الخطاب» لم يُعد «طاعة» وإنما نُحْوَ  
قادرة على الإقناع حتى بالاعاء! - ويوماً بعد  
يوم لم تصبح المحلة بين رعاء «الخطاب»  
ومضمون «الخطاب» متشابهة فقط، وإنما  
غلب النوع على المضمون لأن الصورة راحت

مُطالباً بأن يملك من قوة التأثير ما يُحْوَ  
رسالته إلى مؤسسات لها قواعد ومترتبات.  
ويكون في «الخطاب» من مسطرة الإقناع ما  
يُحْوَ الإيمان به إلى حيوية تهم وتندفع  
المجتمعات مع الأخذ في الاعتبار أن «الخطاب»  
لا يكون مؤلفاً إلا بغير ما هو مشو، ولا يكون  
مُشَوِّراً إلا بغير ما هو قار على فتح الطريق  
الطويل والصعب من «مصاديق الدعوة» إلى  
«شرعية كتابة القانون».

٣

وإذا وقع الإقناع على أن العمل السياسي  
بالدرجة الأولى «خطاب»، فقد يكون مناسباً  
الاتفاق في نفس الوقت على أن «خطاب»  
هو جفاف الأشياء وعاء يأخذ حمولته  
(القصصية والاجتماعية وثقافية وسياسية) كي  
يعرضها على للثورة الأوسع من جماعير  
الاجيد، والعلم وراها يتغلغل في توجيهاً حتى  
يتأكد من أن ساكن البيت الأبيض «الدم» وما  
هي درجة إقناعه لسيولته بعد كل ما جرى؟  
وما الذي يمكن توقعه تحت رئاسة؟

ومن المعلوم طبيعياً أن أي وعاء يُؤثر  
بشيء على شكل حمولته، فكل محاولة مضطرة  
إلى أن تأخذ صورة وعملها، وهذا فإن  
الوسائل تؤثر في الغايات.

٤

وباختصار، وبسرعة، فإنه عندما كان  
«الخطاب» السياسي - كلمة تالاج لجمع  
صغير من الناس، فقد كانت تلك صورة توافيق  
الصورة وتوافيقها بانفاق عناصرها على  
مناطق وحود.

ثم إن عندما استُشغلت لارة «الخطاب  
السياسي» وأصبح أذاه استثنائاً أمام  
خشد كبير من الناس، فإن وسيلة «الخطاب»  
أصبحت بلاغة الخطابة، وتأثيرها في  
السامعين، ولديتها على توجيه الفعل  
واللحريض عليه، وكان ذلك ما حدث - مثلاً  
- في الهجوم على «اللياستين» الممن الإشر  
في باريس (وهو الموقف الكبير للثورة  
الفرنسية)، وما خُذَّ فيها بعد أمام قصر

١

لقد خطر ببالي - وحتى لا ألتصق  
حديثاً ذهبت معه بعيداً إلى سباحة في  
الوثائق الإسرائيلية - أن استعير هذه  
الصفحات من مجلة تحرير هذه المجلة لرة  
واحدة لعلها لا تنكر. وتذكر، أنني لرت  
إيهاء رأي يدنو من ظاهره أنه شأن جبار لا  
يدخل في الاهتمام الميائس والآسي لهذه  
الجللة - نعتي وجدته من وجهة نظري  
شائناً طبعاً وليس شائناً جارياً - أعني أنه  
ليس مجرد حدث، وإنما هو قضية.

والقضية التي أريد إيهاء رأي فيها تتصل  
بذلك المأزق الذي أعرض الانتخابات الرئاسة  
الأمريكية وتعلل ظهور نتائجها مدة تحسب  
بالأسابيع ضاعت في الفز وإعادة للفز، ثم  
إعادة الإعادة مرات ومرات - بينما أمريكا  
تنتظر على نثار كي تعرف اسم رئيسها  
الاجيد، والعلم وراها يتغلغل في توجيهاً حتى  
يتأكد من أن ساكن البيت الأبيض «الدم» وما  
هي درجة إقناعه لسيولته بعد كل ما جرى؟  
وما الذي يمكن توقعه تحت رئاسة؟

٢

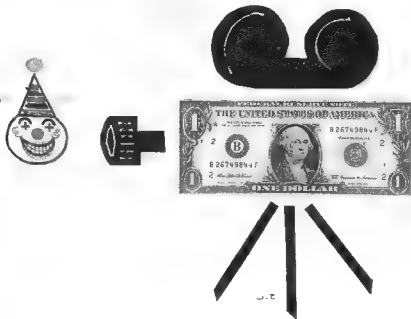
وما أريد أن أقوله أن ذلك المأزق الذي  
أحاط بأهم مواقع السلطة في التاريخ وفي  
العالم لا يخص أزمة انتخابات في الولايات  
المتحدة الأمريكية بالذات لكنه يعكس «أزمة  
في السياسة» على مستوى أوسع بكثير من  
أمريكا، ويعد بكثير من اللطلة الراهنة في  
استجابات الرئاسة الأمريكية وتفاعيلاتها  
ومصداقاتها.

وحتى يسهل تأميل المسائل من البداية  
لقد يمكن الاتفاق - وبصفة إجمالية - على أن  
العمل السياسي هو فكرة أو مشكلة عامة،  
تسد أنشؤين بها أو الرابطين فيها،  
وتدعوهم للعمل من أجل التماسك لهما،  
وتشدهما، وترسيخ قبولهما به يضمن لهما  
شرعية إلهامه لكافة القلائد.  
وإذا كان ذلك صحيحاً فإن العمل  
السياسي يصبح في الأمر الواقع «خطابة»

وجهات نظر ٤٨



# في انتخابات الرئاسة



بعد انتهاء التور ففصاح (مع شرفن الزهايمر) في إعصاف النسيان

٩٥

إن الوسائل طغت على الغالبات حتى استهلكتها تقريباً، وهنا ظهرت الأزمة التي تجلت بعض عوارضها في المواقف التي وصلت إليه المنافسة الانتخابية على الرئاسة الأمريكية بين «جور» (مرشح الديمقراطيون) و«بوش» (مرشح الجمهوريين).

كانت الأزمة التي طغت فيها الوسائل على الغالبات حتى استهلكتها - أنه عندما أصبح «القطب السياسي» (أسير) للوسائل، وأصبحت العملية الانتخابية أسيرة للوسائل وتكنولوجيا المراجعة - إن الألفاظ والمصاحف وهي صميم السياسة كان عليها أن تهب

لنفسها عن موالع أخرى تمارس فيها «قوة» من نوع آخر تمكثها من «كتابة القانوين» وفي لحظة حاسمة من التواريخ الحديث (بين السنتين والسمينيات من هذا القرن العشرين) وقع انقراض - لا يردى إلى طلاق - بين الوسائل السياسية وبين الألفاظ والمصاحف، التي هي صميم السياسة.

منذ تلك اللحظة تُرِكَت الوسائل السياسية لتفقد وتكنولوجيا المراجعة، وللمفجرين والمصورين والنجوم الكبار والصغار، وخبراء الماكياج والمدرسين على نطاق الكلام والإنشابة بالأيدي والتعجبين بالعيون وأما «الانقراض» منها في موالع أخرى، والسبب أن هؤلاء الذين «معدوا» الألفاظ والمصاحف، لم يكنوا على استعداد لدفع التكاليف الباهظة (والمبذلة) إلى درجة الإمانه (أحياناً) للوسائل السياسية الجديدة، فكانوا فإن أفضل الحلول واتفا الخطط قصدت إلى إلهاس التشريعية في الكونجرس - وإلى التفرغ في المعاملة في الداخل من العبارة الغبار - وإلى الجامعات ومراكز البحوث - وإلى الخدمة المدنية والمكسرية لإجهزة الدولة الأمريكية.

التدليل «لايزنهاور» - ماذا فعلت معك السياسة؟

ورب «لايزنهاور» - ونحن جميعاً شهدنا تكاد صدق ما نرى ونسمع - ما صدقنا إنني الآن أخوض حرباً مختلفة بغير السلاح والنار، وإنما بالأبيض والأحمر، (ولعله كان يعني مصابيح البورد وأصابع أحمر اللثام) - قالها الجنرال المنتصر في أكبر حروب التاريخ، - ثم مضى إلى العربية الأخيرة من قطر حملته الانتخابية يواجه جمهوراً جاء إلقاءه، وجمهوراً لم يجسه، - وهو الجمهور الأسع الذي ينتظر بعيداً في بلادته ومُذنه وفراء - لتُسمع المرشح صوتاً، ويراه على شاشات التلفزيون صورة؛

٩٦

منذ تلك الأيام من سنة ١٩٥٢ وانتخابات الرئاسة الأمريكية فيها بين «دوايت أيزنهاور» و«داي ستيفنسون»، وحتى هذه الأيام من سنة ٢٠٠٠ وانتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت فيها بين «أل جور» و«جورج بوش» - تأخلفت لورات تلك إلى وسائل الاتصال ركبنا عالى الانجوم السابحة في الفضاء، وحولت كرة الأرض إلى شاشة كبيرة يظهر عليها كل شيء، في أي مكان، في نفس اللحظة.

وباختصار - لأن الواقع الراهن الآن يعرض نفسه على الناس جميعاً بما يعني من إمالة الشرع - فإن الخطاب السياسي المعاصر تحول إلى صورة يصنعها خُسر يكمل كل وسائل وتكنولوجيا - للصحة صوتاً وفرداً، وحركة ولوناً، ومؤلفات وخدعاً نعتت بعيداً حتى فقد الشكل علاقته بالأمس، - ثم وصل الحال في الولايات المتحدة - حرك - إلى الإتيان بمثل سيمثاني محترف هو «روندان ريجان» الذي يردى في الحياة - وليس على خشبة المسرح - من الولايات المتحدة الأمريكية، وللحق فإن الرجل الذي دوره يمانتلز، ويتل فيه أكثر مما يتل في أي دور لسنه إليه، - ثم لتنهك الجهد

الأشهر الحاضر للمنافسة كان اللورد «بيفر» برون، صاحب أكبر مجموعة من الصحف البريطانية (وكان فوق نفوذه كمصطفى ومالك مجموعة كبيرة من الصحف - أقرب الصغافين إلى «وستون لشرشل» الذي انتقاره غُصواً معه في وزارة الحرب البريطانية - طوال رئاسته لها بين ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥).

وعندما دخل «لايزنهاور» عربة الصحفيين الأجاب عابراً منها إلى الشرفة الأخيرة للقطار كانت هبة الجميع شديدة، - ذلك أن الجنرال الذي قاد جيوش القطار المنتصر في أوروبا ظهر وجهه مغشى بغطاء كشيشة من الأصباغ والألوان المطاوعة لتجميل الصورة وتلوينها (حتى لا تكشف مئة سنوات صغر) - ولتخفيته تجاعيد (حتى لا تُجشعها) عسات التصوير القريبة) - لإعادة رسم الحواجب لظلال بالخطوط المستقيمة على شَرّ نحل شعرها بإسهمالات المستقيمة على شَرّ (السنين) - ثم إلى الشفتين كشمسهما بسمة واضحة من منحنى قلم أحمر (احول أن يسكب عليها لسة من تلمعة تغطي جفناً خَل عليها كل الكواكب).

وبدا أن لفتنا هبة كان اللورد «بيفر» برون، والذي ظهر لانه يعرف «لايزنهاور» من قبل معرفة وإقية (وفي الغالب كان «لايزنهاور» قديماً في بريطانيا بين سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ يُخسّر استيرسز أوروبا وكسور قبضة ثنائياً التازية للطبقة العليا)، وتلكت دهشتنا جميعاً رؤيتها عندما راينا أحد خبراء التحصيل يتنفع فجة ودم «لايزنهاور» ويتأمله ليتحول لحظة حتى يُرش سائلًا من نوع صمين (spray) فوق منقطة رأسه قبل أن يصل إلى شرفته للقطار، فغرضه أن يلفت لسان منقطة شرفح الرئاسة حتى لا تعكس الأضواء - وتؤثر على نقاء الصورة).

وكان زميل ليثاني لي هو الاستاذ سمير سوكي - ترتب ما يجري في دول شرقى ربما قلق دول أوروبية - ثم كان اللورد «بيفر» برون، هو الذي بدأ رسال الجنرال الذي قبل بصاحبه: «دايك (اسم

ومخلص إجراءاته إن المرشح للرئاسة يستل (لعل) خاصاً يطوف به أرجاء الولايات المتحدة، وفي بعض المحطات المهمة فإن القطار يطلق صفاراته مُعلنًا وصوله بركابه المختلتر، - ثم يتوقف في لحظة ويخرج المرشح ليبلغ في شرفة العربية الأخيرة من القطار ويراه الناس ويسمعونه وألفاً هناك - وحوله وحول كل حصان من ميكروفونات الإنذاعة ومُسات التلفزيون أشبه ما تكون بأسلة ناربية مُعزوبة.

في ذلك الوقت كان لي حظ أن أكون ضمن مجموعة المصاحف الأجنبية التي بُعِثت إلى متابعة الحملة الانتخابية للرئاسة أسبوعاً على قطار مرشح الجمهوريين الجنرال «لايزنهاور»، وأسبوعاً على قطار مرشح الديمقراطيين «داي ستيفنسون».

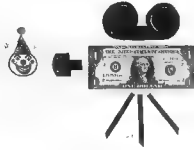
٩٧

وعلى قطار «لايزنهاور»، وفي محطة مدينة أمريكية في ولاية «إيدو» (اسمها «اتاو» - اسم المدينة الكثيرة الشجرة) قامت طولة عصر التلفزيون كما أسلفت، وبهدوت بداية دور كوعام حامل للخطاب السياسي في أزمة متفجرة؛

بومها كانت العربية قبل الأخيرة - كما هو التقليدية - مخصصة لمجموعة المصاحف الأجنبية للرافعة للمرشح الجمهوري الجنرال «دوايت أيزنهاور» - وكذلك كان المرشح بمر منها قبل أن يصل إلى شرفة العربية الأخيرة ليصل على الجسمايسر والميكروموسلات والبُغسات الخشدة في محطة «اتاو» - إلىشوى، تنقله صموتا وصورة إلى الجمهوريين من حول شرفة القطار، ولما إلى البعدين غدا في كل أرجاء الولايات المتحدة ومنها إلى بقية العالم.

وفي لحظة جعنا من الصحفيين في انتظار أن يَرر بنا «لايزنهاور» في طريقه إلى شرفة العربية الأخيرة من القطار، وربما أن يعضنا كان يتوقع أن يتوقفه لسؤال أو سؤالين - كما كان واقع مختلف بعض الشيء، مما كان متوقفاً، على تصادف يومنا من الصحفي

# « أزمة السياسة في انتخابات الرئاسة »



ومع ظروف وملاييم عويصة مُتعددة فإن الفرق بين «السياسيين الخطباء» و«جوهر الخطاب» اتسعت مساحته .

١١

وكان بين الخطباء تناسخ الفراق ان الأساليب أصبحت تحتاج إلى كلمة صالية كثيرة لا تستطيع «الانكسار والمصالح» - وربما لا تريد - أن تتحمل عباءة وحدها ، وهكذا فإن جمع المال للحملات الانتخابية أصبح أهم ضرورات العمل السياسي (بعد الفراق - بغير طلاق - بين «الوسيلة» من ناحية وبين «الغاية» والمصلحة» من ناحية أخرى ) .

وكان أن دخول المال عنصرًا رئيسيًا في وسائل العمل السياسي زاد من أزمة السياسة إلى درجة تدعو للعق على صحة وسلامة العمل العام في حياة المجتمعات وتدنيتها .

ذلك أن طلب المال - لسد حاجيات الوسائل السياسية لكل فئوس وتكنولوجيا السياسية التي استولت عليها - فتح الباب أمام رياح مسمومة من كل ناحية ، فلا حسب كاتريون - حتى خارج الولايات المتحدة - أن نلصقهم إلى اللزائر الأمريكي ميسوس - طريق المال يقدمونه للتكاليف الباهظة للشاهد الانتخابية الباهرة

بل إن طلبة على طلب المال زادت حتى انفتح فيها خزوات تكدت منها عصابات للفتاح في السياسة باذلة - مشاركة ومرتجوة - في مزارات الانتخابات !

.....

واتكرر في صيف سنة ١٩٧٢ ان الرئيس «نور السادات» اتصل بدعوى إلى لقاؤه فوراً لمرام - وأصعد إليه في استراحة المصمورة وإذا هو يسائي ، ما إذا كان الوقت لم يحن لكي نغسل ما يشفه اليهود وننخل مسامحة الرئيس لركاسة الولايات المتحدة ونضمن من بينهم صديقاً لهم في بيع مساعنتا ؟» ثم زار الرئيس «السادات» سراً لتوضيح حين استورد يخبرني أن هنالك الآن اقتراباً بأن ينشأ العرب إلى دعم الرئيس «ريششارد نيكسون» لمدة رئاسة ثالثة يتنجح فيها - «بمساعدة» ويكون له بعدها حكم قبايين اصل إلى مدة رئاسة ثالثة ، ومن ثم يكون في مقوره وتحتى مشورة اليهود في واشنطن ويسندون ، فيضيف الرئيس «السادات» : «لقد عرفوا (لم يقل لي مباشرة من ثم الذين عرفوا) أن حلفه يحتاج ١٢ مليون دولار عاجلة لثلاثة محاريف ، والوسائل ؟» مثلاً لا تقدمه له بل تمكن أن يمسكها إلى يدها ؟»

واحد الرئيس «السادات» أن ما قاله لم يزل حاصتي بقر ما أثار دهشتي ، فاستركت

بقول : «لا تخش من العبد المالي فتحن ان تدفع كل شيء . سوف يجري التسييم للمبلغ المطلوب بينما : شمة على السعودية ، وخمسة على الكويت ، وإثنان قسط علياً ، ويكون لنا صديق شاكر ومعلن في القليل الأبيض» .

وبرغم شكوك وخيفات أديبتها كان مبعوثاً عربياً (المسيد «عبدن خاشفي» وهو رجل أعمال عربي اشتهر في مجال تجارة حبوب - أو حافلات - رصمت فيها أوراق نقد بقيمة ١٢ مليون دولار يرسم التسييم في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض في واشنطن .

والطبع فسأنا هذا لطيف - وفي لحسن الأحوال - ضمن لدر ريشارد نيكسون ، شراء ساعات إضافية من عتات الألبان والمؤثرات ، تدعو لاتخاذها على شاشات التلفزيون ، لكن هذا اللطيف لم يشفّر للعرب نقوداً سياسياً ، خذت العكس بل أن ريشارد نيكسون رئيساً للولايات المتحدة - ومعه «هنري كيسنجر» وزير الخارجية - كان أكثر من حوّل طويق وحصر أهم نصر حلفائه الصالح العربي ضد إسرائيل في أكتوبر سنة ١٩٧٢ - وذلك بعد أقل من سنة واحدة على نجاح «نيكسون» في انتخابات نوفمبر سنة ١٩٧٢ !

.....

ومثل ذلك الأيام وحسبي الآن تكرر للظن بوجود أموال عربية وصلت بوسيلة أو أخرى إلى عتات انتخابات الرئاسة الأمريكية ، ويقدر واحد من رجال الأعمال العرب البارزين بمخالف الأمور حجم المساهمات العربية في المعركة الانتخابية الرافعة بين بوش ، ومجرو ، وما يتراوح بين ١٠ إلى ١٨ مليون دولار ، وكان التصديق الأوفر منها موجهاً إلى حلف بوش ، إعترافاً بفضله وأدائه في حرب الخليج ، وإماتنا لعدد من كبار مناصريه بينهم «ديك تشيني» و«جيمس بيكر» و«كولين باول» و«كلهم كانوا من نجوم تلك العرب» ، ومن أساطين الحملة الانتخابية للجزء الجمهوري سنة ٢٠٠٠ .

.....

هكذا كانت أزمة السياسة» تضخ لآن امتسحت الفرق بين الوسائل والغايات واسعة ، وزاد اتساعها .

١٢

والزعم أن أزمة السياسة امتدت إلى «مجالاة أخرى قريبة منها على نحو أو آخر ، ومنهنا : مجال القانون» ، وحتى مجال الأخلاق .

«ومثل في مجال القانون فإن الوسائل الجديدة دخلت على السياسة وامتدت إلى

غيرها - تمكنت من تحويل محاكمة رياضي مشهور (دو. جي. سميسون)» - قتل زوجته وعشيقتها إلى مرقن في شبه «مصلح» تليفزيوني ، تمكن شعورا من شد اهتمام الناس في أمريكا على العالم - ثم انتهى السلسل دون خاتمة (وقد تكونت لوجيا المسرحية الجديدة) ثاركا للناس أن يختار كل منهم خاتمة ثالثم مزاجه - بصرف النظر عن حقوق القانون .

وفي مجال الأخلاق حدث شيء مماثل حين تحولت فضيحة معيبة لرويس أمريكي جرت ولانها داخل مكتبه في البيت الأبيض «الفضيحة» بعد «الجريمة» مسرحية تشدد اعتماد الناس في أمريكا على العالم ، ثم انتهت (على الأخرى) من خاتمة تاركة للناس أن يختار كل منهم خاتمة ثالثم مزاجه - بصرف النظر عن حقوق القانون .

وهكذا انقلبت السياسة في أحوال لطف فيها القانون والأخلاق هيمولا . لأن القلبة أصبحت لها أهمية خيرة الزمن الجديد : ومضة «الفل» - وقضية الصوت sound bite - كيف تلمع الأولى في العيون ، وكيف ترن الثانية في الأذان !

١٣

كان استخدام السياسة لفنون وتكنولوجيا المسرحية في الولايات المتحدة الأمريكية لا تدفع إلى الساحة برجين : «ال» جيو» (نائب الرئيس) - والجورج بوش» (حاكم كاليفارنيا) .

كلهما أثيرت له بعض المواصفات المطلوبة لوسائل العمل السياسي في الظروف الطارئة .

وكانت المواصفات التي جدها أصحاب التخصص في فنون وتكنولوجيا الوسائل الجديدة طلب أول أن يكون المرشح : شاباً (لا نشأه بطل رئيسي) قادراً على العمل على نهج - وأن يكون - ثانياً - شاباً وسيماً (لا صلاح نجم سينمائي) بحيث يمسو في العيون صوباً جاذباً ، وليس مُثَقَّرًا ، مباض توكلي ، وأن تكون له - ثالثاً - إبتسامة عريضة (تدعو للتفاهل ، ولا تستحق المشاكك) .

وكانت كل مُصَنَّفَة خيرة استخلصتها صناعات الاختصاصات من تجربة دويل كيتون» - الذي تمكن بيشبان أن يغتنر بين المشاكل والفتيات بون نخس ، ويشعر بوسامته أن يكتمل كل منافسيه على الرئاسة ، وأن يحصل على الفطرات لكل الذنوب ، تمكن حتى في مواجهة محاولة لعزله أن يجعل الإبتسامة أسرة حاضرة دواما على فشتيه !

أوروبا أن عصر «كيتون» شهد اكتمال الفراق - دون طلاق - بين وسائل السياسة وغاياتها . كما أنه أظهر المواقف التي ذهبت إليها «الانكسار والمصالح» متعبدة عن فنون وتكنولوجيا المسرحية التي استولت على العمل السياسي .

بمعنى أنه يستحق التأمل أنه وإن كان عصر «كيتون» أكثر العصور رخاء في التاريخ الأمريكي المعين فإن التأثير السياسي - «لـ الانكسار والمصالح» - وفي جوهر العمل السياسي - ما ينشأ في البيت الأبيض ، وإنما نشأ فكرة «لان جريسيان» رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي ، وقد تمكن من توصيلها إلى الرئيس عن طريق صديق مشيرتي ركي دعوة على فراب بين الاثنين خارج مجال العمل ويعيدنا عن إطار المؤسسة !

على أي حال فإنه لا يستفاد من تجربة «كيتون» لأمر على المساحة «ال» جيو» و«جورج بوش» .

كلهما شاب (يستطيع أن يحتل) وكلهما وسيم (أو هكذا يظن بعضهم) وكلهما يستطيع أن يضع على وجهه ابتسامة (يرجى أن تكون موجهة بحد وأبست مَثَقَرَة بامس) .

ثم أضف إلى ذلك أن كليهما كانت له خلفية سياسية تساعد فنون وتكنولوجيا المسرحية من حيث تخصص الوقت (لا تبحث من جهة وتسدعه من جهة فاصلي كما حدثت في حياة «كيتون» ، وقد جاءه غريباً إلى واشنطن قادماً إليها على رجل من ولاية «أركنسا» : .

لكنه عند التجربة الحقلية ، وعندما استخدمت الحركة الانتخابية - اكتشفت «أزمة السياسة» اتفصلاً كاملاً لم يتد معنا الانتخاب عليه .

ذلك أن الرُكبان الوافين على الساحة تقلا (إلى السامعين والشاهدين في كل مكان شعرا) بخصية الأنا فشت في تعطيتك كاشة «الوسائل» السياسية الجديدة من فنون وتكنولوجيا .

ظهر أن أحد الرُكبان تنقصه الجاذبية . والثاني يتفكك الذكاء . ومع انقضاء حزام الشرج - والخرج استحك المارقي - على سبيل المثال فإنه جيو يوم الأربعاء السابع من نوفمبر تروا «ال» جيو» والتصل بجيوش ، يفتنه بالفرنز مشيراً بالبريزم في حضور معظم مشاهديه ، لكننا لفاقنا ثم



## في العداقة والسياسة على... أن تتبسط القرار السياسي... جديد أصبح على القرار السياسي أن يتبسط... ع... الصداقة...



هَبَّ وَأَثَرًا - أن السياسة في العالم الثالث بصوم بدأت ممارسة فعلها في الزمن الحديث مع ثُلُثه بستان هذا العالم الثالث في بداية القرن العشرين إلى حقلها في تقرير مصيرها.

وكانت «السياسة السياسية» (أفكار ومعتقدات) في المرحلة السياسية الأولى مؤجلة إلى طلب الاستقلال الوطني، والتقدم إلى درجة أو درجات من النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يُشكّل ويتخفّف. لكن مشكلة هذه البلدان أو معظمها أن تركيبتها العنصرية كانت قاصرة أو مُتخفّفة، ثم إن سوابقها الثقافية القويّة تعارضت مع واقع حالي مع أماليها في التقدم، والتخفيف أن الانطلاقات الأولى التي قادتها حركات ثورية وعلمية ذات توجّهات اجتماعية استأثرت طاقتها مع تحالف الظروف - ثم لم تستطع على السهولة السياسية لعظم دول العالم الثالث بتدليل على سلطة الدولة تقوم عليها، بل وفقرها على غلبة أو قباحتها - منية أو عسكرة.

وهنا فإن الخطاب السياسي (خشي مع اللغة في حسن نية) انحصر ليصبح نوعاً من الإصرار يصغر عن طرف واحد يساهمه على الإصرار أنه يستطيع على كل الوسائل، ثم إنه يحكم الظروف يتحكم أيضاً في الغايات - وهذا الإصرار في بعض الأحيان على استخدامه لأن يتركه غيره يتكلم، لكنه في النهاية يغلب ما يريد.

ثم حدث أن وسائل السياسة الدولية التي طغت على «الخطاب السياسي» في العصر الحالي الجديد، وضعت بالمدى إلى هذا العالم الثالث فاصفاته فنون وتكنولوجيا الوسائل الجديدة بوصفها القوة، وقضت الصوت يُصنّغها رداء أو طاعة لكافة المشاكل، وترتب على ذلك أن «أزمة السياسة» في العالم الثالث أصبحت فلسفي وأدبي ضراً من كل ما يُشعّر في الولايات المتحدة وما أظهره من التناقضات بين «حزب» و«بوش»، والسبب في زيادة القوة والآخرين أن «الصالح والآثار» في حالة العالم الثالث لم تكن لديها الفرصة لتعصّب عن الافتراق - وليس التعلق - بينها وبين «أموسواتل» السياسية - وكذلك انحطت الحساب بالتأنيب كما يقال!

لكن الأصل يبقى في أنه إذا كانت وسائل السياسة الجديدة قد وضعت إلى العالم الثالث بالمدى - فإن محاولة إعادة الاحترام إلى الاعتبار إلى السياسة، وهي ضرورية الآن وحتمية بعد ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية، قد يكون لها تأثير من العالم الأول يصل إلى العالم الثالث.

لكن الخوف يسبق الأمل نسوة الصلح لأن ثبات أن الرض بعد، ولم يثبت بعد أن الصلح فعدي: ■

التصويت غير هذه الترجمة، فلك كلمة ناخب يشعر بهت إلى «مسألة» السياسة - ثم إنه لم يجد في مرشحي المرشحين الكثيرين خيراً مُقنعاً يرضيه - وقد أبدى رفضه لدرجتين حين اضطر لصف أصواته بالعدل تقريبا ضد احدهما، وبالعدل تقريباً ضد الثاني.

15

ولأن مسلسل الانتخابات (خلافاً لمسلسل «و.ج. سميثسون» - ومسلسل «ديل ومونيتا») أجده لم نهاية لأن هناك موقعاً ليدل أن يجد من يشغله في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض - فإن الحاكم - وليس الرئيس - هي التي انتهى إليها عبء اختيار ولم يكن ذلك من الأصل اختصاص محكم، ولم يكن الحاكم نفسها تريد مرء لشهية الخطب بين السلطات - لكن شاعراً بجدية تركها للسياسة في خصوص جريدة إياتي استعمال حيلة الديمقراطية بالرفض التام تاركاً للشارع (بحساب نتائج من الأصوات وليس أفعالها أو سياساتها) أن يُبَيّنَ باحد لآخرين إلى البيت الأبيض - قليل الجاذبية - أو قليل الذكاء.

ولسوف يدخل هذا المرشح الذي يُبَيّنَ به الفاضل إلى البيت الأبيض ومعه شرعية مبرورة يصعب أن تكون لها قوة كتابة القانون.

لكن الأهم من هذا كله أن القوي الأخرى التي اتبعت بدعواتها السياسية من وسائلها في العصور الحديثة سوف تجد أنها أمام ضرورة قصوى لقرض عليها، والتأنيب السياسي - وكذلك - «الوسائل» حامية لالغيات، ذلك أن «الوسائل» أصبح لها كيان لا بد شرعية عملية الانتخابات وهي عام الديمقراطية، أن تقلل هي كتابة القانون وكافة الشريعة.

وهكذا فإن سائر «الجزء» و«جورج بوش» - «معه» لها ما بعدها، ولأنه إن كان المرشح في «مسألة» السياسة في العصور الحديثة بدعواتها السياسية في كل العصور أو قد تقصّر (الولايات المتحدة الأمريكية) لكي تصبح (الولايات غير المتحدة الأمريكية)، على حد تعبير المؤرخ الأمريكي «أرنست نيدر»، وما يترتب على ذلك من عواقب وعلاوات.

16

ولم اتطرق إلى الحديث عن السياسة في العالم الثالث، والافتراق في خطتها (السوية) ولا أفكارها ومعتقداتها (غايتها)، فلك كلمة مُعَدَّة، وهي كذلك مُعَدَّة: فلتصغرها - لكن لا تبدو نهاية الحديث

خبره العلاقات العامة والتصوير والتجميل، والحمايين ومؤلفي الكتب عن قضايا قرّز الأصوات، وكلهم لا يحصل مسئولية، أو يخضع لحساب.

ثم إن مطلب الفنون في مسابقة الرئاسة أراح غير من الانتخابات أن العملية الانتخابية كُتبت نوعاً من الاستمرار وصلت فيه تكلفة الوسائل المالية إلى حدود قُدْرَة (من 3 إلى 5 مليارات دولار)، والتي جانب ذلك فهناك طموحات لعنوان كل مرشح في مناصب ووظائف في إدارته إن فاز في السباق وأصبح رئيساً، ويضع هذه الطموحات مشروع وبعضها في مشروع، وكان الخلق من أوله إلى آخره معشوقاً:

في العامة يكون على «الصورة» أن تنبج القرار السياسي - لكنه في زمن جديد أصبح على القرار السياسي أن يتبع «الصورة» والنتيجة أن العملية الانتخابية للرئاسة الأمريكية أصبحت مسلسلة لكل إرادة من عرض - أو «ج. سميثسون»، وأقل تشويقاً من «ديل ومونيتا» - رغم وجود زخام داخل دول أمريكا من مشرّين ومُصوّنين وغيرهم كالمناج - وإضافة إلى ذلك ومعه - وكما كان الحال في مسلمات سابقة - فقد كان هناك حشد من قضاة ومحامين، ومفكرين، وبرامج وخبراء علاقات، خبراء استعلامات لتراي العام، ومتحدثين رسميين وغير رسميين، يُدْعَمون الفنون كل ثانية دون سباق ودون انشغال!

17

ولندش رغم ذلك كله، والتي يستحق الانتباه - وربما التعمير - أن النتائج التي توصل إليها الانتخاب الأمريكي ذات صبغة وزكية للديمقراطية، يعبر الفكر عن أزمة السياسة في أزمة جديدة.

وشاهد أن العنصر العنصر ما جرى في الانتخابات الرئاسة الأمريكية هو أن الناخب الأمريكي وجد نفسه متفكلاً بالتخيار بين السببي والسببي، و«جورج بوش» وغيره تصمم مُسَبِّح يُبَيّنَ رأياً يستحق الدراسة.

والراجح أن العملية السببية للتنازع التي أسطرت بها العملية الانتخابية تحسن إلى القساري في عدد الأصوات تقريباً وبالطريقة التي تقرر عليها، ويعترف بأوضاع عارة.

في الأصوات التي حصل عليها آل جور - ثم كن ثمة لصالحه، ولأن كانت اعتراضاً بالرفض على «جورج بوش».

ويطعن الفكار في الأصوات التي حصل عليها «جورج بوش»، ثم كن ثمة لصالحه، ولأن كانت اعتراضاً بالرفض على «آل جور».

ولم يصعب أن تكون هناك ترجمة لتنازع

«جورج» يُصَلِّح «بوش»، يستحب اعتراضه ويطلع إلى مخالفات وتجاوزات وعمليات غش قد يلحقها إلى الحاكم - وقد حدث! - وكان بين أمر تخريجه على سحب أخته مدير حملة الانتخابية «ديل بيلي»، وهو نجل عمدة شيكاغو أربع قرن مناجل عندما كانت شيكاغو عاصمة أمريكية لدرجة الدولية المخلفة. ولكن من ذلك ذُكر أن حملة «جورج» بأسرع ما يمكن خبيراً لخصص في «قضايا قرّز الأصوات الانتخابية» وهو «كريس سور»، وقد بان «سور»، بطرح مجموعة من الخطوات المُتَّسدة على عَجَل لتسريع الدفع والاعتراضات، ورى بعض الشهود أنه راح يقول لجموعه لاطعين للمخيطين بسجوره:

«لا وقت لدينا لطبع مذكرات مسبقة، والطفل أن تقوم بمتشين ما تريد بسرعة في قرن «شامس»».

على سبيل المثال أيضاً إن زكان حملة «بوش» حاولوا في لحظة من اللحظات تأكيد لوزة بإعلان من كاترين هاريس، وزيرة الدولة لولاية فلوريدا، من أن التصار السياسي الجمهوري، والبريد أن وزير الخارجية الأسبق (عمو والد المرشح) وهو «جيمس بيكر» تُعجّل بالمبادرة فوراً إلى إعلان الواقع - الجميع يقوّة الحاجة ويُقرض الأمر الواقع - لكن نصيحة جارت في اللحظة الأخيرة (قبل أن يصابها هو الجراح «كوين بالو») - حُذرت «بوش» من أن الفطر على هذا النحو واستنداً إلى نتيجة أولها منتهه يضع نتائج من الأصوات تأويلها الشكوك - سوف يعنى الانتصاع بأن إصراره عن لوزة بالرياسة نوع من التنازل بالقوة (!) - ثم يتأكد ذلك الظاهر حين يكلمه «هو» في نفس «هو» مُعجّل بالرياسة ثم تفتّل - في نفس اللحظة - «سور» أخرى أصعبت لزم أن تكتمل بعد أن إصادة قرّزها بدأت بالفعل.

وهكذا كانت الولايات المتحدة - باستثناء الكثير من الصبر - أن تنتظر - وهكذا - أيضاً - كان على العالم - يستهال الكثير من حسن النية - أن يُتَأَمَّلَ:

ولكن عواقب هذا التخطي والهبول - في لحظة يُقرّض أن يبدأ تاريخ سياسي جديد أمريكا - كافيّة لوقف لدى الناخبين في هذه العمليات التي الجاذبين لحدراً ولو محدداً من الشعور بالمشكلة والحرص على ضمان مستحق الإصرار بها من باب احترام «الجمهور» (الذي «أموطوا» بالتحريخ) - والتحققة أن ذلك لم يكن له أن يغير استمرارية أي مراسب متتابع - يضع في اعتباره مجال الأحوال.

فالشكاشرون والمخاضون الأرب من حول المرشحين في تلك اللحظة كانوا خلعاً من

# أدب المقاومة

## من المنفى إلى الانتفاضة

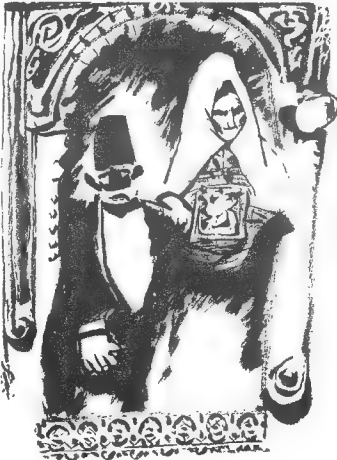
فاروق عبد القادر

(عادل زعبي) ومن تحدى الحركة الصهيونية بوجه خاص تطورت كتابات الفلسطينيين، وخلال فترة الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٧) تبلورت ملامح ثقافة قومية فلسطينية، هي بالنهاية تيار من التيارات الثقافية السائدة في المشرق العربي بوجه عام.

ويجب أن نشير - بإشارة سريعة - إلى عاملين قد لعبا دوريهما في تهيئة الوعي بين الفلسطينيين، نظام التعليم الذي نشأ في فترة الانتداب، ثم الجمعيات والنوادي التي كان يتجمع فيها المتعلمون الفلسطينيون، وقد أسهم هذان العاملان في إيقاظ الوعي بين متعلمي فلسطين، وتجلي هذا في مساهمات الطلاب في الهجأت والانتفاضات التي حدثت في ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦-١٩٣٨، وفي التنظيمات المتعددة التي قامت في الأربعينيات لمقاومة الصناعات اليهودية، ثم محاولات الاستعداد لصراع ضده ضد الصهيونية في السنوات التالية على الحرب العالمية.

وبطبيعة الحال كانت الكتابات السياسية والفكرية أسبق إلى الظهور من الإبداع الأدبي - أي ما كان حدة الأعمال التي تنتمي لهذا اللون الأخير من الإبداع الفنية. كان التركيز على الحكايات الشعبية والفصل الجمعي والأزواج. ولماذا لا نستطيع أن نشدد على أعمال أقرب للنصص والرواية كفن سواد الكتابات، كانت معظم النصوص تعرض - إلى جانب أحداث من خلفيات مؤلّغها - أثر الاحتلال الأجنبي وهجرة اليهود، وإلى بيع الأراضي على العائلات الفلسطينية، وأعمال عرش بعضها - فإحدى من أشهر المجموعات (أحداث مؤلفها، فوادة من شهر المجموعات التي غرقت في فلسطين خلال الأربعينيات هي «الأخوات الحزينة» لتجاني مدلي القدس ١٩٤٨). وهي تحث في لغزها على مشرة قصة، خمس منها تدور حول أحداث الهجرة اليهودية، ولطيفة تصور آثار الاحتلال الغربي على الأقطار العربية المختلفة. كان مدلي - وهو مفكر ومؤرخ يهتم، على نحو خاص، بالحوادث الاجتماعية - والسياسية، التي أثرت بها الحياة الفلسطينية المتوترة وبالقوة في تلك الفترة.

وكان طبيعياً أن تعكس الرواية أهداف مؤلفها السياسية المباشرة، وسوف تقتصر على بلي، وبغية التحديد، على الإبداع الروائي، وشعر إلى روايتين حديثين، شملت اهتمامهما وكتاباتهما مدى الشغل من هذا الشكل الفني؛ ولذلك «المعاصر» كحمزة تروية (نابلس ١٩٣٤) ومذكرات نجدة (ألسنق موسى الحسيني (القاهرة ١٩١٣)). الأولى - كما نحدد - تصور قصة عربي من فلسطين وقع في براثن منظمة صهيونية استدرجته إلى بيع أراضيه، كان أمياً في الأربعين، قضى حياته فلاحاً لم يعرف أعزاء له، ولدت تأثير سمسار يهودي قام بأول زيارة لكل أبوي، وقدمه لترحل إلى دابة أفرته بإتفاق القليل الذي يملكه، ولم تكن غلة أرضه تكفيه للاستمرار في هذه الحياة الجديدة، فقدم له السمسار قرصاً - إلى آخر الحكاية المعروفة التي اشتهت به إلى التمسول والحنون، ورغم أن الموضوع مكتوب في كل الأرب تقريباً، إلا أن المؤلف - وهو واحد من الرعيل الأول للكتاب القوميين الفلسطينيين - حرص على أن يضفي على روايته طابعاً سياسياً، كما حرص على أن يوضح هدفه الرئيسي حين وصف - في لغة وتفصيل - الطريق الذي قررت القرى الأخرى اتباعه لتحويل المدن الصورية من أجل إنقاذ الأرض التي يتهددها ذات الصير.



■ قد يصعب أن نتناول الحياة الفكرية للشعب الفلسطيني بوزن أن يضع في الاعتبار خصوصية تحريره، وأول ما نشير إليه بهذا الصدد هو التشتت الذي أصابه بعد عام ١٩٤٨، جانباً بقي في الأرض للصلبة لم يبرحها، وتميزت حياتته وخصاله - وبالمقابل فكره وإبداعه - بسماط المواجهة الوعومة للعدو الصهيوني ومحاولات القمع والتدوير للملاحقة، وجانب آخر اختلفت به للجيئات وأوراق الصلح في غزة والأردن وسوريا ولبنان، يعدي أفرادهم المرار، ويعيشون بسوى غير إنساني من حيث شروط الحياة جسمها، سملون خصماً، ويحسون بالرموع الحياتية، ويتشكل وعيهم حسب وطأة التلم الذي يعيشون في ظله في كل الأحيان. ثم جانب ثالث ألجأ في الانطلاق إلى العالم الخارجي، وشكل في المجتمعات التي عاش وعمل فيها أقلية لها سلوك الحية. من بين هؤلاء طيف فلسطينيين وكتاب وسياسيون وثقافيون وسواهم.

هذا بالإضافة إلى تجربة النضال الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨، وتكر هذا الشعب خصوصية مواجهة غزو استيطاني مسلح ومنظم ومدعوم من قوى خارجية، ومتواطئ مع عناصر داخلية، قد أسهم في خلقه أسس المجتمع التقفيري حديث ثم تحدث أحداث عام ١٩٤٨ وأوجدت مصففاً مختلف كل العوامل على حلقة دورهم وفوضى أيدته ومؤسسته، ومن وقت ذلك الدول العربية المقاتلة الهذبة - ليسا بين فبراير ويونس عام ١٩٤٩ - كانت إسرائيل قد أقامت دولتها على نكس من ثلاثة أرباع أرض فلسطين وأصبح الفلسطينيون يشكلون جسماعات متناثرة، غير متجانسة من حيث التكوين الاجتماعي والانسوي الثقافي والانتفاضات السياسية.

وقد أظهر لجلد تطور الفكر سبله وحود مرتحلين متصارين: الأولى - من أحداث عام ١٩٤٨ - ما فعلها مباشرة وما بعدها، واستمر ملاحظها العامة حتى منتصف الستينيات على وجه التقريب، ولذا يبدى من ذلك التاريخ عمارة أخرى. إن منتصف الستينيات، الذي شهد بداية انطلاق العمل الفلسطيني المسلح يجد غايته في تطور نصيب الفكر الفلسطيني، كما يشير على يداه الأولى، عبر أن سلاماً هذا انطور مستمد أكثر بعد عامين من هذا التاريخ، أعني بعد حرية يونيو ١٩٦٧.



لنقتصر على شهادتها أفكار المشرق العربي - منذ القرن التاسع عشر - بل نكن معيدة عن فلسطين بطبيعة الحال. كانت الأفكار وبريرت مركزى هذه السيفته التي برزت آثارها على نخبة المجتمع في القرن المشرق، وكس بين هؤلاء عدد من الفلسطينيين الذين عرفوا بحركات لغوية وبتيارات الثقافة العربية لدرسه حارج فلسطين، ثم رجحوا إليها مفاهيم وترويين وفيسر. كان من بينهم مؤرخون اهتموا بدراسة تاريخ بلادهم (عارف العارف ورفيق الشامي) ومترجمون عكوا على ترجمة نماذج من الفكر العربي إلى العربية



من الناحية الأخرى، فإن «مذكرات دجاجة» تتكون من مذكرات السليم الواقع في حال صنيحة مجاهدة من أجل أسرة ريفية، فهي تستطيع أن تتحرك في كل مكان، الحياة رخيصة والطعام وافر، وتصف الحياة حياة متكافئة، واستقلالهم بأزواجهم، واندماجهم مع المجتمع، واندماجهم في المجتمع، وتلقوا زواجا، فكلها أسئلة تفتد إجاباتها، ولعلنا نرى في بيئتهم، وتلقاها أخرى ثم أخرى، ونساع في بدورها. نتاجر في المدينة، بصعنا في لقص من أخريات، ماته الأخريات تتخذن لفة لا تقهمن، لكنها بعد فترة تترك أن تمة حطة وضعتها والمور بالطمع كله. ويسمى رواية المسيحي ودجاجته في تفكير عميق لعدد عمل البروق لوضع خطة مسددة. لمعتقد البليغي في المستقبل، ولا تخرج ما يخبئه لها الله.

ولعل الروائي الذي تقدم خلوه موجو تصوير الواقع من خلال العلاقات الاجتماعية والعاطفية هو عبد الحليم عباس في روايته «مسافة من فلسطين» (١٩٩٠)، وهي تتناول العلاقات العربية، والمصرية، والتشابكات التي دارت بين الجنين إلى نهاية الانتداب. ودارش الكاتب في أحداث ١٩١٨ ويصعد زعمها من أول عام ١٩١٧، حتى توقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، وقد بنى عقدها على ثلاثة بنى شاب وفقار في قرية فلسطين في خط الحدود بين الأرض المحتلة، والأرض التي احتلها أثناء اشتباكات الثورة، التي كانت حرب الشيوخ العربية وإسرائيل، وبداية تدفق اللاجئين في السجون الأولى بعد وقد إطلاقي التنازل، ويشارع البطل في السجدة السورية التي تنال، وتربي السلاح استعداداً لعودة مقله من الصراع، وتكون ببساطة هي أرض قرية. هكذا تقدم رواية عبد الحليم عباس قبل وبعد ما حدث في عام ١٩١٨، وهو يعتبر أكثر تلقاً من سابقه الذين أشرنا إليهم، سواء من حيث فنية روايته أو اختصاراً من أحداثها، وهي كذلك تكشف عن الاتجاهات المائدة بين الفلسطينيين وحماسهم لاستعادة أرضهم لور ضياعها، ويوجد الكاتب هذه بوضوح في حديث للفعل إلى شباب قرية في ضرورة استقلالهم والعربية وحشية الوحدة بينهم، وإيمان أن نواقل الحكومة العربية على تكوين قيادة عسكرية مستقلة للحرب القادمة، ويرى أن تكون بينه في الظلمة أو ما يسبحي شخصية بده من الضياع، وهو الخطوة العملية الأولى قبل الوحدة الكاملة.

فهل كان استعداد البطل على أرض قرية هو تلقى السلاح أيضاً في طريق جديد، أم إشارة إلى ضرورة اعتماد الفلسطينيين على أنفسهم في عزمهم؟ هذا ما يتركه الروائي لقارئه كي يصنع منه.



غير أن واحدة من أهم روايات هذه الفترة هي رواية جبرا إبراهيم جبرا «صراخ في ليل طويل» - سرده الكثير من جزر إيمانها إلى «مذكرات الكاتب» التي كتبها في عام ١٩٤٧، في «مذكرات الكاتب» تصعد إلى عام ١٩٥٥، والحقبة أن هذه الرواية - موصوفاً وفنيتها المتقدمة على المسواه - تلمس بعض الشكوك حول دورها كخاتمة، وقد دللتها هذه الشكوك نالاً متحفلاً على الدكتور كزعي، عباس، فالحقها روايات الملت التاتك والمورن، ديسمبر ٢٠٠٠

الخمسينيات، على علم، ويسمى الآن أحمد ذلك غربياً، فكثير من الأعمال المتقدمة يصغر إلى الإلتزام حتى ينضجها الجوا العظم لتلقاها، وصراخ في ليل طويل، وأحد من هذه الأعمال... (الرواية العربية المعاصرة وأزمة الضمير العربي، مجلة، عالم الفكر، الكويت، أكتوبر ١٩٧٣).

«أمين» بطل الرواية واحد من جماعة من المثقفين المسخطين، وكثير من صفحات الرواية - في إلتزامه المثلثة - تتشعبها الروايات التي تتكشف بين أولئك المثقفين المحبين، يقول لهم واحد منهم فيخمن وصفهم: «أنتم تتفاضلون على كل ما يحجب به الإنسان، ولاتتجهون إلا إلى الصعيب والأصوابع». ثم تزدون الطين لولا مسطاطكم المعاصر ويرفضكم القيم الصحيحة. لا ريب في أن ألتاكتكم مسرصر للمصاصير... «أمين» كان فقيراً، لكنه استطاع - عن طريق الصداقة - أن يجد لطفة لصرى، وتزوج - من حبة لاجر لصرى، وكانت تجربتهما معاً عشاقاً طامعاً للجسد والحواس، لكنه عاد يوماً فوجدها قد جهرت من ثفة واحدة، وفي المدينة - عن طريق خبثه - عرف «عنايت هدام» وأختها «مركزان»، وهما البليغتان في قيد الحياة من



«غير أن الطريق لم يظل خالية طويلاً، ما هي إلا فترة قصيرة حتى كانت شوارع المدينة تمتد وتتسبب أماني، فتلها موجو الناس، ولم يكن من العجيب على - حين حذت في عيونهم- أن البركان التفتور من منهم كانوا عاشقين لهم، وحبوهم، كما كانت هناك فلسطين عبيدتين، يتحلقون في نهار ليل طويل، وبناديه لحناً جديداً».

هذه صراخ في ليل طويل، ولعل السؤال الذي ينبغي هو: أي ماضي كسلي البطل يود التخلص منه؟ لقد صعدته طويلاً في أفكاره وتكراراته وشاعره وحكايات طوفانه، ورايتنا بقى ساعات الليل وجداً يرحي حكي من عبياد ثم ريتنا وسط هذه الضلعة في «المسحس» الصاعين، وعرفنا علفه لجسد امراته، لكننا لم نعرف شيئاً عن أساليب فرارها، ولو أن ما يكتبه «أعرف عنه شيئاً، لم رسد به وجهاً آخر هو أوصح الوجود - وقد أمد إلى في المدينة عن الحس والتش والآنسة أمي لتؤلف الأسرار، والقمامة، وهو يقول بوضوح عن نفسه في كبدية:

«كنت أعرف المدينة من الداخل والخارج، لا إني قبل أن أخلص من شبكة الفكر الذي

**مذكرات دجاجة، تتجو منحنى رمزياً لتقديم الواقع من خلال عيني دجاجة تملك أسرة ريفية، فهي تستطيع أن تتحرك في كل مكان، الحياة رخيصة والطعام وافر، وتصف الحياة حياة متكافئة، واستقلالهم بأزواجهم، واندماجهم مع المجتمع، وتلقوا زواجا، فكلها أسئلة تفتد إجاباتها، ولعلنا نرى في بيئتهم، وتلقاها أخرى ثم أخرى، ونساع في بدورها. نتاجر في المدينة، يضعها في تقصص مع أخريات**



عائنه عائلياً من دور، كنت قد اشتركت في عدد كبير من معارك المدينة، وتشتت جزءاً سخياً من تلتها ...

لنما إنداء يردد البطل أن يسرع ماضيه، كل ماضيه، وأن يتجه فراراً، إلى أين يتجلى عن أحوال المدينة، وبمذا جديدة في ضوء التنازل.

رواية جبرا - سواء كتبها بالفعل في ١٩٤٧/٤٦ أو في فترة - تروج بانغ للرواية لإبداع تلك الفئة من الفلسطينيين التي انطلقت إلى الحسم الواسع، وحوالات التنازل مجتمعات أخرى، وتقدم نخبة تلك السواك متحيزاً، يبدو إبداعها - على هذه العصور - حثيثاً، فأشأ لماضي التشتت - عندهم - لتجرب رجعة، وتبرير لهور يومهم واتعاسهم سبل الخلاص الفردي، الذي استغاضه عن الخروج الاقتصادي، وربما رايها في أعماله الدالية مسدداً لهذا الحكم.



ولعل خير دليل متابعة الرواية الفلسطينية وتطورها، استطلاع ما تحولات الواقع الفلسطيني

والعربي هو أن نألي تفلوات - سريعة وموجزة - في إبداع الكاتب، «الذات الكبار»، فيها «عسان كفاي» (١٩٧٣)، «واصل صومع الناس» (١٩٧٣)، «واصل إبراهيم جبرا» (١٩٩٢).

وقبل أن نطرق في سيرة حياة جبرا، لن نعلم ملته خاصة بالاندماج بينهم، أنهم يمشون ثلاثة نواقل مختلفة: حرج عسان صغرى، حرج سقطت نامة، التي تستحق ثم الكويث حتى استقرت في بيروت، وقد عسان عسان في لعل السياسي والحرجي من لعل، فومسوس الحرج، إلى تشييد «الحصبة لشعبه» نصي حجارة المقصود، وعن هذا «ساقط نامة» هو حله هذا لمحاولات الانتماء إلى حسم إسرائيل، والتي انتهت بنفسه وتآثره أشاله في ٨ يوايو ١٩٧٢ إميل جبريني كذا غاص في العمل السياسي والحرجي، ولكن من سواك مختلف، فقد أمد إلى البقاء في في الواقع، ومن ثم داخل في الحزب الشيوعي الفلسطيني، حتى انطلق من قاعدته في ١٩٨٩، فاستقال إلى لجنة المركزية، وقد نشر وقائع هذا السداد وتلقاه في كسبب بصلته معهم، وفي القاصيه في ١٩٨٢، أما تاتشيه كذا اختلاف حياته عن تلك الاختلاف، فقد استقر في بغداد وحصل على الجنسية العراقية لم يعرف له جد نشاطاً سياسياً أو حرجياً، فقد تصرف إلى الكفاحية والترجمة ونشئ وجوده الثقافي، وقط - حتى رحل في ١٩٩٤ - وكثيرون من قرائه يفسونه بوجه أصيل، لكنه لم ي في أعماله الإبداعية بوجه خاص، كما سترى - يحمل القس في قلبه حتى البرق الأخير.

(٢) غسان كنفاني، من صيف اللاجئين إلى صيف الفاصل

يكا غسان أن يكون أهم أكتاب الذين عبروا في إبداعهم عن تطور التشعب الفلسطيني من الكفاحية حتى ختمية الثورة المسلحة، التي تبوء في إبداعه تلك النقاط الجوهرية التي تراقق تطور الفلسطينيين عبر تلك المرحلة الممتدة من ١٩٤٨ حتى صرع - التي يصفى في عمل إبداعه «لا أن لا يظن إلفها في» ١٩٧٢. جبران عسان نواقله الفلسطينية من هذا الجيل، وأد في عدا في سنة ١٩٧٢، إلى أيوه حاميها، وبعد سنة ١٩٨٨ هاجرت الأسرة إلى دمشق، وعمل غسان عسان في مطبعة وهو يسعى لإكمال دراسته حتى حصل على الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب، بعد تركها واستقر في دمشق في الكويت (١٩٥٠-١٩٦٠)، وهناك عرف بتعليم «القوميين العرب»، فاضم إليه، واختر أن بعد حرجا ترجمته، أمهات من أول مدوروا في بيروت، وقد نشر التاريخ ستر سميرت، وبالعمل الصحفي والكفاحية حتى نهاية حياته، كان عسان جيد نالاً، إلى إصافه إلى العمل السياسي والتفكير، فكتب قصصه القصيرة (لا توجع عاتقك، قد سرير رقم ١٩٦١)، «دارش البروقال التنازل» ١٩٦٣، وعالم ليس إلا، ١٩٦٥، بالإضافة إلى أعمال قصصية أخرى حوتها مجموعة أعماله (الكاف)، والرواية (تلقا روايات)، «رجال في الشمس» ١٩٦٦، «وما ضاكي لكم» ١٩٦٦، «عندك أنا» ١٩٦٦.



كما وجد من أوائله عمالي ورثايل لم يكتفوا: «الأمي والأطرش» و«العاشق» و«عطين أخيرين يمكن الاختلاف حول نسبتهم لأي من الشطين: ع من الرحسان واليماني» ١٩٦٨، و«م سمعد، ١٩٦٩، و«سرجيتين، الباب، ١٩٦٤، و«القصة والبي، ١٩٦٧، وثلاثة كتب: «أدب المقاومة في فلسطين المستقلة، ١٩٦٦، «أدب الأدب الصهيوني، ١٩٦٧، «أدب فلسطيني المقاومة ١٩٦٨، ١٩٦٩، و«كتاب هائل من الملاحظات السياسية والأدبية، بإسامة الصريح، أو ما لاسم الذي كان يكتب به أحياناً: فارس فارس وليست غزارة ما قدم غسان في حياته القصيرة فقط هي مبعث الإعظام، فهناك أيضاً والذي لم يكن يقل عن الفضل المتضاح في الأدب العربي، بل إنني اعتقد أن الإحكام الفني الذي توفي لعمل مثل «ما تبلى لكم» كان يتجاوز كثيراً من نماذج الرواية العربية وقت صدورهما، هذه الأسباب الثلاثة إذن وفرة إنتاج غسان، المرتبط بقرنته على التمتع من الشخصية الفلسطينية وتطورها فترا وشعوراً، والذي يلامه في أشكال فنية ناضجة هي ما تضمنه هذه القائمة السامعة في الإبداع الفلسطيني.

وبهدف التحديد فقط، سنقتصر هنا على أعماله الروائية الثلاثة: «في سوق البصرة»، «والعيني برائحة الثمن» و«السلام» التي كانت خطوط عناصر هائلة، «أبو الخيزران»، «سائق ماني، كان محارباً في ٨٠، واشتهر بأنه خير من يصلح العربات المعطلة ويلوهمها، خسر أبو الخيزران الحرب وخسر روحه، انفجرت قنبلة في الحشد القديمه رجولته، ماجر إلى الكوييت حيث يعمل سائقاً ونهرياً، ويتحدث لنفسه من حين لآخر، ما قد ضاعت فلسطين وضاعت رجولتك، صرحت حياته مغامرة، وهانت أعين من أن تنام إلى جوار امرأة، ليسر الفخار بعضه فلتت أهدم الآن، لا يبريد من التلوه، القاطع ثلاثة فلسطينيين يربدون جهود الصعراء إلى الكوييت، اتفق معهم أن يهربهم في سيارته مقابل أجر على أن يشتبهوا في صهرج عند لقاءه نقاط اختفتش، «أبو قيس» كان أبو هؤلاء، عجوز اختلطت في رأسه الشراعات البديهي بالسوء، كانت له أمنية، أن يبنى سفلياً يعيش تحته، وحين قاتل له أبو قيس يوماً، ما لا ترحم على تراجيكون، تمت أنميته فطمع في أن يملك عرق زيتون أو عربلين ويطلع «ويطاف» في المدرسة، وكان «سمعد» هو الثاني، جاء من الأردن إلى العراق عبر الصحراء، وهو يريد الآن أن يقطع صحراء أخرى، ورواه «مخائل الجبل» و«لهر النفاذ» و«المنطقة والحياة السياسية، ولعمريه يتساقط حلم الكوييت، حديث يستعظم المرء أن يجمع ثروة أو مثل غلب البصر...، الثلاث، تخفي مبرون، تترك وراءه طلياناً أسيرة مزقة، تخفي إليها عن أمه وأخته الأربعة وتزوج وامرأة شوهاء، ناطق تملك سيارته يمكن أن يؤويه، كان الأخ الأكبر يرسل لأمه ما يقدم أودعها، لكنه انقطع، و«رسل إلى صرمان يقول له: أترك هذه المدرسة السعيدة التي تملك شيكاً، وعص في الامتاع مع من غاص».

هكذا، «انطلقت الصنعة تشق الطريق ييم ويحلمهم» و«سلاهم ومطاسهم وأصاهم ويؤسهم ويأسهم وضعضهم وأوتهم وضعضهم واستقلهم، كما لو أنها تحدد في مضم كتاب حماد لفرز جديد مجهول...، لكن كوييتاً عمالاً يصمر على أن يستقي، أنا الخيزران في آخر مقالة من

بعد أن يجمع شمل العائلة المختللة، لهذا الشخص موفقه ليريم في جفلة واحدة، لم يبق لي شيء...، أنت ططخة وأنا سخدوخ...، قنيت مريم محنت تقصها لرجل آخر، ولكن زكريا! أين رمن عن حامد وثله، جاء إليه «سالم» يوماً وقال: «أسمع يا حامد...، كنت تريد أن تنظم فنجال معنا، لدينا كل شيء...»، لكنه قبل أن يقرر كان سالم قد قُتل.

يا للزكري! صف الرجال مناصبهم، صاهت لا يجيب حين كان اليهود يسألون عن سالم، وقبل أن يعرف أحد ما سيحدث كان زكريا حائلاً بالفضل: أنا انكمت على سالم... إلا أن «سالم» في تلك اللحظات من الصفاء التي تسبق الموت، لم يشأ أن يجعل من زكريا جاكاً أكثر مما هو، فقدم ثلاث خطوات وسلم نفسه، ومن وراء الجدار جاء صوت طلبة واحدة، فانحني زكريا كأنها أطلقت عليه من العيون المتوجهة نحوه في صمت... «هذا هو زكريا يامريم، صهرى الذي ليبت أن أزوجك له بهر قدره عشرة جنيتها، كله مؤجل، كل شيء مؤجل ليس في حساب البساليا إلا القات».

لكن اللحظة الحاسمة تأتي تقدر: في ثلثة الصعراء وحشيتها يلتقي حامد بيهودي في البيت ابتعد عن معسكره، يذللحمان في الحصد والظلام، ويتمكن حاصد من نزع سلاح عدوه، ويبيكي في مواجهته ينتظران معاً وهو ما المشرقة، ضوء النهار، أي لقاء رائع ومرور بين العدوين، هنا فقط يوضع حساب البساليا في ميزان جديد، ويروح حامد يتحدث لنفسه في مواجهة العدو: «لا يمكن أن يكون الوقت ضداً، نحن الاثنين، بصورة متساوية، فقد يكونو للرب إليك ما الصوي، لكنه الرب إلى ما يتصورون، المسافة ليست إلا شأ، وهي في صالحى، وهناك قضية أخرى لها أهميتها: أن نكسب أنت، على يحد خطوات من معسكر ربما هو عمل أخطر من أن ألقا أنا: مجرد عدو القدم عليك، للكم، كان وحده تماشياً بلا سلاح، الأمور هنا نسبية وهي لصالحى أيضاً، وهذا شيء غريب، فليس بسائق فقط كان كل شيء في هذا الكون ضدي تماماً، وكنت ألق هذا بالصبي: راعه معاملة بالخاص من كل جانب، ففعال ألق لك شيئاً مهماً: ليس لدى ما أخسره الآن، ولذلك سألت عاتيك ليريم أن تجعلنى ربحاً...».

وفي غرة ترتفع الأزمة بين مريم وزكريا لكمة دامية، هو يريد أن يتخلص من زوجها، وهي مستعصمة به تنسكبها بالليل الذي يلقى إلى فيلدهان في عراق عفيف، وتكافأ على مودع خفى، تمتد به حامد بالفضل إلى جسد اليهودي، وتعقد به مريم بالفضل إلى جسد زكريا، وتشرق شمس يوم جديد.



بعد فتح الصدور في أعقاب حرب ١٩٦٧ يعود «سمعد» إلى حيفا التي غارها قبل عشرين عاماً، وهو يقود سيارته في شوارعها تدفع الكوييت: ٢١ نيسان ١٩٤٨، جاء القصف من الكرم وانصبت الدقائق فوق الحي العربي وإحتاج العرب الجدد، حياول سمعد أن يرجع لبيته لكنه وجد طريقاً وديداً مفتوحاً أمام حركة الجماعير هو الطريق المفضي إلى الميلاء، وكان الناس يذبلون من الشوارع الأترقية نحو ذلك الشارع الرئيسي المتواضع الميلاء،

لعدد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٣

ليلوذ به إن أتى يوم عسير، وحين ساقطت يافا متحركة في أيدي اليهودي غادروها من بلى من أهلها في أوارب صغيرة، وانتهى المطاف بحامد وأخته الصغيرة «مريم»، إلى كواخ الصفيح في أطراف غزة، بعد أن تركها أبى ذكرى مضجرة بالدم في يافا، وضاعت الأم، لم عرفها أنها تعيش على الطرف الآخر من المسحرة: في الأردن، وأصبح حامد شاباً في عتوفه، ومريم مازالت جميلة وإن بدت خضلة تذب نحو اللؤلؤ، وطول أمه، السنوات لم يتطع حامد من التفكير في لقاء أمه، نقل هذا اللقاء هو التكيف الذي يهدد ليلوذ به حين تاتي مفاجئة.

«تت الفاجعة، حيلت مريم من زكريا، وأرغم حامد على تزويجها له وهو يعلم، فليقاً، أنه خائن يردس اليهود من العدايين، لم تتطرق نحو الصعراء، وروحها الغاضبة وصمتها كذا بالجهول والكره، حيماً لعل، أليقاً: أمه، كل ما تبقّى له، في حساب البساليا ما كان باقي لحامد؟ حين ساقطت يافا كان صغيراً لم يحمل السلاح حين حمل، وعاش أعوام شبابه لا يعرف النساء، ولا يسمع لنفسه بالتفكير في الزواج

نقاط اختفتش، يفتنق الرجال حيث هو داخل الصهرج المنهبط، حزن أبو الخيزران لحقة على رفاق الطريق، لكن الحزن لم ينسه وأجبه الأخير جودهم، فحرمهم من مساعدتهم وقودهم القليلة قبل أن يلقى جندهم على اكوام الصامدة في جنة الكوييت.

نعم، إن هؤلاء الرجال الذين يفتنقون داخل صهرج جاف تحت وطأة شمس لا ترحم وسط صحراء تكتبها بالظلم والغبار، يقدون بموتهم معادلاً له أن هذه الصهرج والساخنة و«لعمريه» ندم هذه مسألتهم، و«لعمريه» قوى القهر والتضيق والإزلال، وأصاهم تخليل أشباح الضلال، والقدحية: إن خطفى جندهم بمنزلة الكوييت.



حياة كل فلسطيني حساب للخسائر والتناحي، قيس له من العالم سوى شيء صغير: همتا سنية أو بيايا حلد أو كهف وهمي يهدد

اتساقاً مع تحولات الواقع الفلسطيني والعربي هو أن نلغي نظرات، سريعة وموجزة، إلى إبداع الثلاثة الكبار، فيها، غسان كنفاني (١٩٢٣-١٩٧٢) وإميل حبيبي (١٩٢٦-١٩٩٢) ثم جبرا إبراهيم جبرا (١٩٢٠-١٩٩٢).



«الأب الفلسطيني المظلوم تحت الاحتلال» ورت إشارة إلى عمل أبي جبريد بدا كاتب مجهول اسمه «أبو سلام» نشره في مجلة «الجديد» التي تصدر في حيفا، وعلى غسان علي هذا العمل: «دما لا تشد فيه أن وراء هذه السداسية، التي يمكن ببساطة اعتبارها نموذجاً للقصة القمامة، موميّة معتادة، وهي تشكل أبرز عناصر في العمل النثري العربي داخل الأرض المحتلة حتى الآن...». كان إميل في السابعة والاربعين حين نشر عمله الأول، بعده تناقبت الأعمال، «الواقع الغربي» اختفاء سعيد أبي النحس المقتل، ١٩٧١، «ملك من لك»، رواية مسخرية، ١٩٨٠، ثم «أخفي»، ١٩٨٥، وأخيراً «سرايا بنت الغول»، ١٩٩١.

لك الأعمال القليلة جعلت صاحبها أحد أهم القديسين العرب، ولحسن قراءة إميل حبيبي ولهمه يجب أن نضع في اعتبارنا ماذا أنه يكتب من داخل الزنزانة الإسرائيلية، وهو، من من يلفظ للقر الكريم في الحرية ليقول - مباشرة - ما يريد، وعليه أن يلجأ إلى الرمز والتخيل والاشارة والإشارة من بعيد، انظر لأجل لوحات السداسية، غدير، وهي اللوحة الثالثة، «أم الروبيكا»، ملكة وادي حيفا غير المتوجهة، رفضت الخروج الأول مع زوجها وأبيه، وفقت عشرين عاماً مع الابنانية التي تركها أصحابه ورحلوا، أحد من هؤلاء الذين أمروا لم يسألها فيها، بل يدورون حولها اختلطت لهم بقوتهم، وهي نصف أوكس الهلنديين - بعد أن فُتحت الحدود - والكُفسين ومصفين، يعبرون ألسنتها في صمت، ويظهرون حول الشرايات والنوافذ في صمت، ويعظمون بطرق الأبواب، ويسأل في أدب أن يدخل، فيطلي طرفة دم يعصي في صمت، فقد كان هذا...». ويعظمون لا بطرق الأبواب، بل بجول بعينيه بأحد من صاحب سحنة سمر عابر يستوقفه فيسأله: هل كان يقوم هذا بيت من حجارة مكدلة، فإما أن يجر عابر سبيل، صاحب السحنة السمر ويستذكر، ويذكر، وأما أن يقول، لقد ولدت بعدها في عساف...، وسرغان ما سيقون هؤلاء جديفاً، ما لمّا أيقن طل، عندك إلى حيفا - أن نكرامتهم حفات لئج ذات في لهب حيزيون، وأن الوطن ليس الخاص، لكنه المستقل.



وما اكتر ما قُتِب من هابي الحس للمقتل، حتى كان أن يصبح أشهر من صاحبه وخالفه، في تلك الرواية القصة لم يسلك إميل أبداً من السبيل الطرقة في الرواية العربية أو العالمية، بل أسس إبداعاً جديداً يقوم على معالِم واحدة من استسلام التراث الفلسطيني والعربي، وضمن استخدام اللغة، والإجراء في التعامل معها، والإستحانة بالأشكال القديمة، ثم اللجوء إلى السخرية أو الفكاهة السوداء أو صبغ التحبير، وحرورها من وهو «سعيد»، ومن قبله صاحبه وخالفه - إلى حتمية صيغة الداء والمقاومة المسلحة، هو في «الكتاب الأول»، يباحث عن «التكيف»، ملتصق للامن والامان، مستمد لتقديم في التنازلات التي تطالبها منه الدولة المعاصرة - الباطشة، ثم يلف، في نهاية

وقد كان واحداً من مؤسسي «الحزب الشيوعي الفلسطيني» في سنة ١٩٤١، وناضل ضد استقلال فلسطين، ضد الاستبداد البريطاني، ثم ضد معارسات الاحتلال الإسرائيلية بعد قيامها، واختاره الحزب كي يمثله في «الكفيت» وبقية أعضائه من الشيوعيين، وبقي عضواً به حتى عام ١٩٧٢ حين لم يستطع التفرغ للكتابة، وفي عام ١٩٦٠ إعدام ياسر عرفات و«سالم القدس»، أربع ورسم فلسطيني، وفي عام ١٩٧٢ منحه إسرائيل جائزة الإبداع، فحاربت حوله الزوايع من جديد، وارتفعت الأصوات تنالته ويرفضها، لكنه بقي على موقفه قليل الحزنة، ثم أعلن تركها لميلها المادية (حوالي ثمانية آلاف دولار) لجمعية «للمفاهيم الإسلامية» هو المسيحي - التي تتولى علاج مصابي وجرحى الانتفاضة، وفي العام الأخير من حياته انشغل بإصدار مجلة أدبية اسمها «مشارك» (صدر منها العدد الأول في أغسطس ١٩٩٥) رحل إميل في عام ١٩٩٦، وأوصى أن تكتب عن قبره هذه الكلمات: «يا بني في حيفا».

ولاشك عدي إلى ما حدث في عام ١٩٧٢ كان الدافع الأول وراء اتجاه إميل حبيبي نحو الكتابة الأدبية: ما ذا فُرت الجيوب العربية مرة أخرى، والأرض الضائعة تنسج حدودها إلى الحرب والقتال والجو، وفُتحت الحدود بين الأرض التي ضاعت أخيراً، وتلك التي ضاعت قبل عشرين سنة - ولم تعد دويبة نيتوبوم، رمز الخلفي القديم - الثالثة، فُتحت الحدود من الجهة الأخرى الخاطئة. في هذا المناخ بدأ إميل كتابة عمله الأول فلسفياً الأيام الستة، (راجعت الإشارة الأولى لأب إميل على كم غسان كنفاني، في أحد هوانش كتابه

الشرف الوحيد الباقى، لكم يتعنى أن يرجع فيجد خاتمة قد ذهب، سال سعيد نفسه: ما هو الوطن؟، وجاب: إنني أقتن عن فلسطين الحقيقية التي أكثر من ذكرها. إن مخاضه لا يعرف من فلسطين من الذكريات مثل ما تعرف، لكنها بالمشية لا تستحق أن يحمل السلاح ويموت في سبيلها...». وقد أخطأ حين اعتبرنا أن الوطن هو لناضي فقط، أما خالفه اعتباراً عنه هو المستقل، وهكذا أراد خاله أن يحمل السلاح، وعشرات الأول قبل خاله لا تستحقهم الدعوى للظلمة لرجال يمحذون في أفكارهم من حطام اللوع وتغل الزهو، الزور هم يصححون أخطأنا وأخطأ العالم كله...

تلك رحلة غسان مع الرواية، لنرجو ملاحظتنا حتى نعرض للواقعين الآخرين.

## ٢) إميل حبيبي،

طرقات على جدران الزنزانة

### الاستسلام

عاش إميل حبيبي حياة طويلة معقدة، كان - كما سبق أن وصفه - رجلاً تشعب بين يديه الرواية، ولد في حيفا في عام ١٩٢٦، وأتم دراسته الثانوية فيها وفي عكا، واشتغل عامل بناء زمناً، ثم انتقل للعمل متجماً بإذاعة القدس، واستقال منها ليعمل موظفاً في معسكرات جيش الانتداب، ثم محرراً في جريدة «الاحداث»، وأصدر مجلة اسمها «الهلال» في حيفا في سنة ١٩٤٦.

رجلاً ونسأة وأطفالاً يحملون أشياء صغيرة أو لا يحملون، يكون أو يسبحون داخل تلك الدلعون المصطح كسبح...، ولم يستطع إميل أن يبلغ عتبة، ذات تلك الوقت أسعد العرب بزوحه الصغيرة فزانت الكبت عنة، واتفق الاثنان في البقاء، تاركين وراءهما ظلالاً صغيرة من خلود، في شوره الخاص.

وغابت حيفا في غيب الحساء وغيب الدعوى، ولم يتخلل اسمها الاسم بعدها أبداً، ظل همسة مزملة على الشفاة الجافة، وألقت بعدها الرعية في البحث عنه، ما كان يتوهمان بعد أن تركا وراءهما طفلاً في شوره الخاص؟ بعد أن ترك سعيد مزملة جاء إليه مهاجر يوروني هو «الفرات» وزوجته «ميريام»، كان الرجل يرى في فلسطين مجرد مسرح مالم لأسورة قديمة، أما الفرقة فلا ظلت أباه وأخاه أيام الاضطهاد النازي، وكان أول ما رآته في فلسطين جنينين يهويان بكليان بطل عربي ميت إلى شاحنة، وأصرت المرأة على الخروج لولا أن منعت بيتاً مسكناً في حيفا، وطفلاً في شوره الخاص.

هذا أصبح خلدون هو دوقه، وحين تلقى الأم اليهودية في يوروني يتفقون على أن يتحركوا لوف أن يبار ما يشاء، فهو الآن شاب في العشرين، إميل سعيد امرأته: «أي قران يا امرأة؟ قد علموه عشرين سنة يكون، يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، مع الأكل والشراب والفراش، تدن سرفه وانتهي الآن، كان عليه ألا ترك شيئا، خلدون والمزحل وحيفا...». وراى «دوق» في يوروني العسكرية ليقول إنه لا يعرف فلسطين، أما غير ميريام، أي قار الفران، ويتساءل: كيف يستطيع والألم أن يتسركا ويهربهما ويتركها، وكيف يستطيع من هو ليس أباه ومن هي ليست أمه أن يبراه عشرين سنة. ثم يلقى في وجه سعيد بالهائلة: «كان عليكم الانتحاروا من حيفا، وإذا لم يكن ذلك ممكناً فقد كان عليكم، بأي من، الانتحاروا طافراً وضحيين في السير، وإذا كان هذا أيضاً مستحيلاً فقد كان عليكم الانتحاروا من محاقبة العبودية، لتقولون إن ذلك أيضاً كان مستحيلاً! فقد مضت عشرين سنة في سبي، عشرين سنة، ماذا فعلت خلافاً في تستندرك ليدك؟ لو قُتبت مكانك لحصلت السلاح...». هل تقول إن لمضت عشرين سنة في البقاء؟ لكن دعوى العالم كلها لا تستطيع أن تحمل زورفا مسخيراً يتسبح لايون يبحران عن ظلمها المظلوم... إذا سادح انتفاة المظلوم...

جديفاً، نعم، هذا صحيح، ولا يبدى إنكاره، لكن، هل يبر هذا شيئاً؟ أو كان ذلك كان لكن ما فعله التاريخ صواباً، يقول سعيد لوف «معي كُفون عن اعتبار ضعف الآخرين وظلمهم مجبرة لحساب ميزانكم؟ مرة تقولون إن الظلم تثير لخطاكم، ومرة تقولون إن الظلم لا يصحح بظلم كسر، تستمدون الخطأ الأول لتدبر وجودكم هذا، وتستمدون الخطأ الثاني لتجنّبوا الصواب الذي تستمدونه... وات، اتعتقد أنا، أنت ستلظ لحظ؟ وإذا كلفنا ذات يوم من الخلل... فما الذي يتبقى ليدك؟» كانت مكرامتها عن خلود قبضة تلج دايث تحت خمس حيزران وفي طريق العودة بدت الأضياء تلج بكريها سعيد إلى لعمري، إنه هو الذي فاخر دوقه، بكوتة لابنه خالده، قد حال بينه وبين الانضمام للمقاومين رغم أن هذا هو

له فرصة اختيار ما سبق له أن اختار سواء: الانشغال بالادب بدل الانشغال بالعمل السياسي اليومي، ولعل احساسه بتأخر تلك القصة هو ما يدفعه لاحتشامه الآن، ومن ثم التمسير على درب أبا جحسنا عن سرايا.

ولعله من الشئد، بعد ذلك التساؤل عن تكون «سرايا»، إنه يشبه تماماً التساؤل عن تكون «أخيطه»، وقد سبق القول أن بين العليين من التساؤل ما يكون بين توأمين، سواء في طريقة النص (فأت عليك القول عن «أخيطه» إن صاحبها ما أن يبلغ بهايتها حتى يجدها تلتحق على حبيبة جديدة) أو في المعنى العام الذي يربط أجزاء «كل من العليان (في «أخيطه» يقول عن سرايا: لكل ما لها بخاشيت، سراياها وجوها كما هامت بامت سيدنا نوح بحسنا عن الأرض، كذلك لكل أخيطه، علم من غلغامه ولحم من لحمه) أو في الوقوف أمام الإنسان واستنطاقه، أو في استخدام اللغة والظلال لتطويع أساليب الكتابة العربية، الاستطراد بوجه خاص، والتمسسية المقلدة في التناقل، إلا أن التساؤل، حتى ليصعب التعرف الواحد أخصيته وداشته إلى شيء شئس الجيتاس والطباق والسرج والانشغال والتصحيح، لكن إميل حبيبي -وهو يفتن سيرة الذاتية في هذه اللغة الحبيبة-، ويبدش في أعماق التناثرة، لا يتفصل لحظة واحدة عن الواقع المعيش، واقع ما يجري يعيشون في الزنجان الكبيرة «داخل الدولة التي لا تفك حيوها» في الانتشار، «معرضين في حياتهم اليومية» لشتى صنوف القهر والبطش والانتكاسة والتضييق في الزنجان، وسرق منهم تاريخهم وحركتهم، وأنتهروهم والملك الإنسان التي القوا بها وعاشت في ذكارتهم. إنما هذا يتقوى إميل -من جهة العمل الوثيق- كل ما يتلقى على استغناصه من صور المكان والحياة والممارسة، يود أن يجرها عينا في وجدان أهل وطنه، لا يساعدها منهم أحد.

هذه ماثا إميل حبيبي وأبدع ومات وبقي في حيفا.

(٤) جبراً إبراهيم جبراً  
لحسن الحظ  
ودائرة السلسل.

جبراً فلسطيني مقدسي، فظن أولته وصباه وأول شبيهه بين بيت لحم والقصر، وعرف أدب العرب ولغاتهم في «مارقيا» و«كميميرج»، ورجع بجمع بالقدوس في القدس حتى خرج عن آخر جبراً بعد أحداث ١٩٤٨، ألقى مرسلته على شط سجدة، يعمل بالقدوس والمارقيا، وبشارك في اللغة العربية مبدعاً ومترجماً، وأتت له ترويح بعيدة من أسرة عراقية قوية وتكرية، وإدلاء مسيحيتهم بأبزار، وحصل على جنسية إسرائيلية اختار أن يترك جنونه فيها، ولم يشاركها قطعا في حياتها المقلقة، جواً للعواصم الفلسطينية، فأجاباً الجدي القصب الشمر (له ثلاث مجموعات) والقصبة القصبة (له مجموعة أنشأ إليها عمداً من القصص في طبعيتها الذاتية) والسرير (أصدر منها جزءين: «اليلر الأولى» و«اليلر الأخيرة»)، كذلك ترجم

«من أرواق الرقص والكبول، ١٩٩٣»، «ص-ص-٥٣» «مختارة من عندنا قصة ملخص يهيس لملكتنا بين ما أخر أعماله، وأتته ذلك يلقى بعده في «مجلدة»، عمل آخر، وربما كان هذا الهجس وراء ما أجده في «الخرافية» من حضور واضح لذات الكاتب وحياته وعائلته، «سرايا» «نحو جعل ملخصاً شيئاً أقرب إلى «سيرة ذاتية» فطيلة، ليست سيرة متحني تاريخياً أو موضوعياً أو لتتزم إطاراً محدداً سلفاً، لكنها فوسى من الصور والحوكايات السفسيرة والوقوف أمام الإنسان وتبش الحكايات، ومحاولة صياغة تلك في سياق متسق، زد على هذا إحالات الكاتب وتضميناته التي تدمر بها جعية فيها: جدياً لجنت تجد استهتام أسرار التروية واختصان: جسد العسري والتدني والتوسمي والجنري، تجد إيلن أويلر وإيلن جيبير وأسامة بن مقفد، تجد أسلافهم ولينين وجورجي وبسكار وإيلد، لكن نحن ما سجدته هو وصف أرض فلسطين، عا وحيفا والكثير من الزنجان، وشفا عمرو والتاتورة. «و ليس هذا، بل ما قلته من سيرة، لعلنا نستطاع وصفاً لآخر، تقدمه من جهة واحدة، لعلنا نستطاع وصفاً، والكاتب، «أشأن إسرائيل من العسراء الذين يهيمون ويستند بهم -يفد أياك الماكس- على غراهم من إيل في طولته وسيداه، والاحتكام بتميم حياتهم ووجدها، لعلنا يبعث عن ذات تتعلم في تبيته استهتام إيلن أويلر ما يشاهده من غزو الزنجان: «أيا ليت أي من تكتني، وما لأكتني تجد قبل ما وعكنا نسباً مسيتاً...» ما على ذلك الاختيار؟ في «أخيطه» يتحدثنا إيلن له يهدت إيل حبيبة سرايا، إيل في الصفحات الأخيرة من العمل، وأنه أدل من الحقيقة التي تكشفه لحبيبه، ولكنني لم أسمع لنفسي بملحقها عن لها جات مناصرة للتهج الذي اخترته لحياتي من حيث اعتادنا في، من الخفن، ومن الخفية «حمل بيخشتين بيد واحدة»، الانشغال والسياسة والانشغال بالادب، وهلو آلن -في لقلته للتأخرة- يضيئ أن تلاح

وبعضها من الممارسات الفلسطينية القبيحة، وبعضها من الداخل (داخل الذات والتعود مكا) وبعضها من الخارج (بالعني نفسه)، والروائي يحاول أن يصل من هذه الميولتين شمسياً لا تتناحر الوعد، وأن يحكم سداً ولحمته.

ولا نزع من تلك كل حروف الشفرة التي خدمت بها «أخيطه»، لكنني استطيع القول بأن «أخيطه» هو السبب وراء ضياع «أخيطه»، ومن بعضهما «سورة»، ولكن «أخيطه» -هو الذي أضاعها وهو الذي يرفض وراءه، وحين يراها- يميل إليه أنه يراها أن تكون سوى وجه خلب، فهو إنما أضاعها يوم تركها وتخلياً إنما مظهرها قبل معالم الحياة القديمة كما لمعها لكرها ورؤيتها وشاهدنا: «تلك الأماكن كلها لا تذهب عنكم، بل تضيمن عنكم، لا يخلو منها مكم بل ياخذونكم منها، يرحلون عنها ولا يعمرون، أما هي فتلاو لأنها لا ترحل».

ثم إن «أخيطه» طسعة وثيقة ورائعة من من العصر، جوهره صليبية استطاع صفاها أن يخلي عنا عرقه وهو يصونها، وبقيت في وجهها المتعددة -مقلقة بهوم الباتين داخل الزنجان الكبيرة- من شائهم، إن إساءة التواصل، إن يدلوها على جدرانها إلى لفخاصة، موجزة وبليغة، تستعين بالرمز والصورة والموحبة، وتجعل القصة الموحدة أكثر من معنى واحد، والإحالات الكبيرة إلى المألوف ورائقة الجديانة القليلة.

«ال مسئلة هذا وأكثر من سرايا». صاحبها يبلغ في استغناصه لقلته كل ما غير مسروق فيما عرف من أدب العربية المعاصرة، حتى يبعد من شئمة معاً الإيهاد للقرية، بالغ الاستعانة به في الوقت ذاته، ولأن جراه النص اشتريق فيه الكاتب مع كل فكرة وجعلة ولقلته أكثر من مرة لا يلو على احتمال بلواه فيختلف منها -ها هو يشكو للقرية-، هذا الآتون وهو «الخرافية» القصص الممسورة، كشد أن أصل الآتون يمار جهم العسراء من شدة ما القاسية من ألام محرقة... حين صدرت «سرايا»، في ١٩٩١ كتبت عنها (راجع من هسله: «أخيطه» سرايا بنت العلول» -من عذاب الكتابة وعذوبتها،

«الكتاب الثاني» -معزاً في إزواجيتها القليلة تلك، وقد جعل حبل «الذي أسماه «سرايا» إيماناً في البحث عن السلامة -السلام ضد الدولة- وفي كيكها بعيد (هذا الإزواجية تجد حذوها في شمسيتها -الأساد-» صاحب الوثقة الثانية في «السلامية» -صاحبها الذي كت وراهم ندمهم واني فبختها خالد بن الوليد- ويعيشاني التمسعي وبكفرياتنا أبي العلاء- المعروفة لدى مزوح الوطنية، فكيف وشأنه أن يحاط عليها في إسرائيل، حيث من مسلمات ذلك أن تمر كل صفة بصديق وفريق، إذ كان من المسامحين على السلطة، أو كان خات، ابن أدك وأيد.)

«الكتاب الثالث» يلتقي سعيد في السجن بقداي جريح جراح -غير الحدود- من لبنان، رأى فيه الحال المسجي، وحين حاوله «فهد جرجاني» بالجندي عن جراحه، قل يوسع في العروة الضيقة الوحيدة حتى رانها في كرك الذي أدل أن له من إيل، وأصبحت ضيقها لتناشكها جسوراً، حلق القمر، وما بين قرانه وفراشي حقائق مقلقة، كتبت أجدته عن نفسي بما علوه في عن نفسي، وما كنت ضاها، إنما خشيته أن أشد جلا هذا المقام يخصوصه جرجاني منها السجان، حين جرجاني من ملامية الخصوصية، ويعيشي الأمر بسعيد إلى الجلس على قبة المعصور، إريض التزلزل عنه، مسيحيتهم تلك تفسره، وإيقان أن تنازلاته عليه لم تجده شيئاً، لكنه عاجز عن الفزول إلى الشاس والفرش في تضامنه، ولا يجد أمامه سوى الاستنجاد بالكانس الضعافي التي يستجيبها لقلته إلى حيث ألتفت: هو العنود أو نوت وكيكها «بيمار الذاتية» وأشير ما يقابل في واقع «أبي الحسن» -أراد أن

إن شئتاً ترجمة هذه الطرقات على جدران الزنجان الإسرائيلية إلى كلمات واضحة، قلنا أن العمل كل يؤد سقوط صيغة، للفتحة أو «مزجج أو لواء داخل إسرائيل، وصعود صيغة «الطفا»، الذي يحمل السلاح في وجه الدولة لا يسول أسود

العصر الأديان لإميل حبيبي «أخيطه» وسرايا، تواماً أن كلهما توامان «أخيطه» رواية الجنين إلى حبيبا في حبيبه، رواية إسرائيلية «أدب العرب»، حين كانت الفاكهة حوة ألد في لا حد لتلاونها، وكانت الدنيا واسعة لا حد لتساعدها، «كانت ميمانا كانت مساعمة إلى لا، لا إلى عينا، كانت الدنيا والأخرة في بلدنا...» هذا من هذه الدنيا التي ضاعت بسيدمي الروائي أصدقا وخصوصاً، وربما لنأ في غنائية عذبة، واستخدام خاص للغة، ولتطوير صحت الأساليب الكتابة العربية وجعالياتها، لكن هذا ليس كل شيء في «أخيطه»، عينا بكتب صيغة، فها قامت بهايتها: «أيا جدي تشراف على حذيلة حذيلة من ضلوبي حديد (إن حالتي فيها حذيلة الولد من كانت بل الكثرة صوفية العليونة خلطت حذيلة، كانت تحقد أطراف هذه الحذيلة تصنع حيداً واحدًا تنسج منه... هذا الحذير وصف لها، هي جود: بعضها من الفكرة وبعضها من الواقع، بعضها من الترافع العربي



# لحسن قراءة إميل حبيبي وفهمه يجب أن نضع في اعتبارنا دائما أنه يكتب من داخل التزناة الإسرائيلية، وهو، من ثم، يمتدّد القدر الكافي من الحيرية ليقتول، مباشرة، ما يريد، وعليه أن يلجأ إلى الرمز والكتابة والإيماءة والإشارة من بعيد



الحيرية والثورة والظلم والأيديولوجيا، وهم  
حيثما هؤلاء أن يطلوا على تلك الأسماء  
والظلمات أين يبدو هذا تأنيبا عن كوننا نهم  
الفكرية وخبراتهم الحياتية

ولن نبعثنا - ما الآن - سوى «وديع  
عساف» وهو يبدو أهم هذه الشخصيات  
واشهرها حوضا، وإنه يحفل من المؤلف  
بالاهتمام الأولي، فيفكك القارئ - يعرف كل  
شيء عن ماضيته وحاضره وأرائه في كل تلك  
القضايا، وفي بقية شخصيات السميحة،  
الطسطيني مسميحي، مقدسي، نكبي عن جذوره  
يوم خاسات أرضه، وكويي عن ذلك بمكتب  
استيراد وتصدير ناجح في التوكيت. أعرب في  
الثالثة والأربعين، يقرأ ويرسم ويولف عوامص  
العالم مطراة اللذة والأشياء، ويحلم بالعودة  
إلى القدس: «الأرض التي اشتريتها في مرفع  
وراء كبروم محصول الفحل من ألف امرأة...  
سأزعم أنها بيدي، سأبيعها بدها، التجارة، سأزعم  
الكروم وأشجار الزيتون (...) هذه العشرون  
ألف دينار التي جعلتها سكرلي لن آدم بي  
جذرا عميقا في أرضي من جديد (...) سأخفي  
في بيتي بين يديني وبين يدك قابل، ومن هنا  
سأعلم على تقريبي البسطة الحاصصة... ما  
تلك الساعة الكسفة لا نجد في فوضى كلمات  
وديع جونا مقفلة، لكنها تخالينا لمن ألقى  
أقلى تخاليل «وديع» ذاته، وهو يوحى إلى  
من طرف خفي وحشر... أنه مشارك في نشاط  
خاص يفعل على حد حشد الجنائين الفلسطينيين  
وتدبرهم للقيام بأعمال في أرض المحتلة.

ولكن الشككة الحسية هنا - وهي القضية  
الأساسية في «السفيحة» - أن «وديع عساف» لا  
يستطيع أن يلتصقنا بأرض في تحقيق حلم  
العودة، الأسر القرب أن يكون كيهنا من تلك  
الكوف التي برع نموذج «الطسطيني الخشبي»  
في إعادتها، بديما لأرض التي خسعت  
والإنسانية التي انكثت، ليولد بها من شخص  
في خاطره هاجس الوطن، هو هارب بفسخ  
هروبي على الآخرين: «لهربوا أشكال لا تحصى،  
ولمساننا الحفيلية أنا هروبيون... وهؤلاء  
الأخيلة متلحق بها جيشا تاختلنا... وهؤلاء  
الأخرون عنده ليسوا سوى «أوقات التفتيح»  
روحه من خطيئتها، والحقيقة أنها خطيئة  
مزوجة، لو صبح التصوير: خطيئة «اصحى»  
يصحها بين جنبيه من حيث هو مسيحي  
ما زالت عواطفه تنحرف توسيقي الكفيسية...  
«الانسان التي تتصاعد البسطة جريشة من  
جناح المروكيت، والمان الأرغن تحت السلوف  
الشاخصة، وهذه الإشارات الضاربة الفاشعة  
إلى الله رب الأرباب ومكوث السماء وحمل الله  
خطايا العالم... هذه كلها تخمري بحاسيس  
كالهستوريا، لم خطيئة أخرى طارئة من  
حيث هو فلسطيني هارب، لا تلاحق كل الوسائل  
في تحقيق أمنه الداخلي، إنه على التحليل  
الأخير - بحاول مراوغة شعور طاع بالذنب،  
فيحدا لاحتفات حساته بمطارة الحال واللذة  
وعشق النساء وصداقة الرجال والتلاصق  
بالعواطف والعرف على أوتار التلاصق... إن  
«وديع عساف» عاجز عن التماسي السبييل  
القبلي للخلاص، لأنه في قوقعة المرفقة ذاته،  
لا يرى جماعته للناس الساعية نحو الهدف  
نفسه، لكنها لا تهرب إلى الحلم أو الوهم أو  
الحنون.

في ١٩٧٠ قال جيرا لفرقة: هنا فلسطيني  
القوم وهذه همومه وهواجسه،  
وتلك ثقافة الضعف الرئيسية في

التي تنفصل عن تلك الكتلة الغوغائية في الفكر  
والسلوك هذا.



«السفيحة» رواية مركزة مكثفة، استطاع  
الكاتب في صفحاتها - التي تقارب المئتين  
والخمسين - أن يقدم لفرقة عدد كبيراً من  
الشخصيات الرئيسة والناحية، في حاضرها  
وماضيها، في جمعا ولها، في مضجها  
وسكرها، في تمردها على كونهاها النفسية  
والتي استعصاها لها، وإن بشد حيويتها مفا  
بحيث يجعل «بؤرة أحواله» فوق ظهر إحدى  
السفن الصغيرة التي تلوف بواوي المتوسط،  
جملت في إحدى رحلاتها تلك الشخصيات التي  
لا يبدو اجتماعها محتملا إلا عبر سلسلة طويلة  
من المصادفات، وبين الرواية لا يتجاوز الأيام  
القليلة التي تقضيها الشخصيات بين بيروت  
وبائولي، أيام قليلة لكنها عاصفة، تنجر  
الشهوات والأفلاك والسيوف والفتنة وتنبأ  
الذكريات القديمة وتتابع، وكلاهما في عالم  
حيرو لا يكف الأبطال من التفتان والتلفط  
جورا كل شيء من تاريخ الإنسان والحضارة  
والظن، إلى الواقع العربي وخفية فلسطين،  
وتنتشر حولهم السرى دوستوفسكي وتوما  
الكويني وكامي ووروكا ولديريسي وسكيات  
ونيزاك وفالكا وبوشيلي، وتتساقط كلمات

الاعتداء على «الرعاع» كان السبب في ضياع ما  
ضاع، وهو في ملاحق عن عدنان، يباقي له  
سرا صغير... «سرا غير مهم أبداً في الحقيقة،  
حين كان الصباينة في وقتنا بديسونا  
والخلاف، أجمعها وقرينا أن ترد عليهم، أن  
تستسلل خلال خطوطها أن تشفى منهم  
ويشاورهم كما يشاؤون وشوارعنا، ولكن  
من كان يستطيع الاستغناء عن فلس واحد  
لشراء طليقة؟ لذا قرينا للظلم إلى الخارج  
لجمع المال سراً لتقليص المسائلين وتمديد، لم  
انتبه الأمر إلى شيء... كانت مبادرة ثقافية  
فاشحت إلى شيء... فكلما نطق على نطق  
واسع، وكان لسان وكسلا في أوروبا وامرئنا،  
وحصلا على تأييد حكومة أو حكومتين، فمن  
السخط حتى أن ينطحها... هذا هو الأمر،  
مالم يحصل الطسطينيون على تأييد حكومة أو  
حكومتين في أوروبا وامرئنا (هبط) لا كان  
أصمهم أي أمل، في استغناء ما ضاع، بل  
لجهد الرقعة في العوا

أرايت ماذا كنا جيرا روايته بالإنجليزية،  
ولم يقدم إلى ترجمتها بنفسه؟ «صبيون...  
بطاقة بريدي مسيحية، بيعت بها فلسطيني  
مستغرب، يخاطب فيها رفاق كيمبريدج،  
ومن إليهم، بخافة تلف غنما يريق لعين  
السلخ المتجمل، وهي عين لا تود... ويعنيها -  
إن نعي جوهر الحاضر، ففكر راجعة إلى أبطال  
سومر وبابل واشور... لا تنكش من الواقع  
المعيش إلى ما يؤكدها قولها وتوق «انثنية»

عددا كبيرا من الأعمال الأدبية (لغة ترجمة  
شهيرة لرواية فوكر الحسية - الصخب  
والعقد... إضافة لعدد كبير من مسرحيات  
شمكيرين وسويجاته... والدراسات النقدية،  
أما مقالاته ورواياته في الأدب والمسرح  
والسياسي والتشكيل والعمارة فقد جمعها في  
عدد كبير من الكتب، صدر آخرها بعد رحيله في  
عام ١٩٩٤.

على أنني اعتقد أن ما أنجزه جيرا في عالم  
الرواية هو أهم إنجازاته، كتب ست روايات:  
«مسراخ في ليل طويل»، ١٩٥٥ - «سبون أن  
عرشنا لها» - «صبيان في شارع ضيق»  
(كتبتها بالإنجليزية وصدرت في لندن في  
١٩٦٠، ولم يترجمها هو، بل واحد من تلاميذه،  
وصدرت بالفرنسية في ١٩٧٤) و«السفيحة»،  
١٩٧٠ - «والبحث عن وليد مسعود»، ١٩٧٨، ثم  
«الطرف الأخير»، ١٩٨٦ - وأخيرا «بومييات  
سراب غلمان»، ١٩٩٢، كما اشترك مع عبد  
الرحمن مزيق في كتابة عمل روائي واحد هو  
«عالم بلا خرافات»، ١٩٨٢.



لكن أن «مسراخ» في ليل طويل هي  
استثنائية لحد خروج الطسطيني بعد أن  
أحترق مدينته غارقا ماضيته ومضي بيث  
على طريق جديد، «صبيان»، «بومييات»  
ولا بد من تساؤل حول ضرورة كتابتها  
بالإنجليزية، إن هذا يعني شيئا واضحا لا شك  
فيه، إن الكاتب يجد الجمهور الذي يريد أن  
يصل إلى عقله، وهو يعرف هذا الجمهور وكيف  
يتوجه إليه: خرج بطلها، جميل قران، وهو  
فلسطيني مقدسي - شان جيرا ومعلم أبطله -  
للتعلم بالندريس في بغداد ١٩٤٩ بعد أن  
سقط القدس، وثرك تحت انقاضها حبه الأول،  
ورواه في «بيت لحم - عائلة تفتقر الصون  
وهنا ما رأي في يدها: «مدينة قذرة متخلفة،  
تضخ شوارعها وأزقتها بالقدرة والفساد،  
مملوفا صناعون تاذبون، متخبطون... يزعمون  
أنفسهم قبل أن تزهزم القوى المعادية، الأصالة  
عنهم جمود وخشوع ورغف لكل تقدم،  
والمعاصرة عنهم انكفات جامح لا يجالي  
باحترام الجسد أو كبرياء الإنسان، قوم لا  
يرلوا سوى مجرد غابر انتهى لغير رجوعه إلى  
حاضر مضطرب يغوح بالتخمس والفتلح،  
وليس للناس الذين يصاحلون الارتباك فوق  
الفكر والتعاسة سوى الشريرة حتى الأمال،  
والسخر في القرى، ميائته انكفاتنا عابرة،  
بضائكا صغيرة ما أسرع ما تحف تحت شمس  
بغداد اللامعية (لاحظ أن هذه الانكفات  
١٩٤٩/٤٨ التي لعبت دورا مهما في تحول  
الأحداث وتصاعد العنف والعنف المفساد في  
عراق الأربعينيات) وليس لجميل أصداها بين  
أولئك «الصباينة»، فهو متحال عليهم، مترفع  
عنهم، لا يبد لنفسه إلا في حكايات «الكوكتيل»  
التي يدور الحديث فيها - بالإنجليزية - ضغا -  
حول الفن والحضارة، أو على ملادة عشاء  
مرتفة (مع كثير من البنيدي الأبيض - بالضر)  
وحديث ناعم من عدد من العائلين في السفرة  
البريطانية وغيرهم من المستعربين وراء دراسة  
الأكولوجي أو العمل بالصارف والمؤسسات  
البريطانية... سوى تلك الحكايات، ليس قصة  
سوي الضميج والتخلف والعنف، أما إن جاء  
الحديث عن فلسطين فإنها - جميل - يرى أن



«السفينة» على أي من أسس الانسداد الديني  
مكتوبة عام ١٩٧٧. وقد كانت القدس مدينة  
مستهدفة بالفعل، ولتلك الفترة مهمة في تكوين  
شخصية «عديم»، وجنين كتابات الانطلاقة  
الحملة ذاتها «وعلى» إلى الحاضر.

«وكانت السموات القاتلة عام ١٩٧٧  
حاصمة بالعمى لشعور هذه الانطلاقة: انقضت  
عصيان ظلمنا من الزهري إلى البحر. وانكشف  
فصل من الغموض وتواخا، ولم يبق سر مرفوعة  
في السنين، وسيلها وسيلها وانكشفت وحمام  
الدمار، انظر ما يتزايد حولها اتجاه الصغار في  
أيلول» عيان جرحش والأحرار في معارك  
البحر وجوية وشاملة عام ١٩٧٧. و«إسرائيل»  
بالمراسم، ذات زاهية - وهي الشخصيات  
والواقعات - صمد ضربة إلى قلب تريت،  
وتعطي صعدا من الحجاب، ودماء  
والفريقين «ماتت» ما كانت - سلمة التجار  
والأفنديين وعامة المد المسوق.

(5) الثورة المعاصرة

في الفهارس والمراجع

يَطْلُوهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَسَحَّدُونَ هَوَى الْفُلَمِ  
وَالْفُلَامِ الْوَاقِدَةِ مِنَ الْخَارِجِ... وَهَكَذَا: تَخْفَى  
سِرَابٌ دُونَ أَنْ تَخْبِرَ أَحَدًا بِمَكَانِهِ وَتَكْتَبِ لَأَحَدٍ.  
وَيَبْقَى الْمَشْكِلةَ عِنْدَ سِرَابٍ تَمَامًا جَاءَ كَمَا ت  
عِنْدَ وَلَدٍ مَسْهُودٍ، حَتَّى لَكَانَهَا «مَكَافَتُهُ  
الْأَوَّلَى»: إِنْ الْعَنَاصِرُ «النَّضَالِيَّةُ» تَتَفَقَّدُ تَعَامُلَ  
وَيَبْقَى الْعَنَاصِرُ الَّتِي تُحَدِّدُ شُرُوطَ تَحْصِيلِهَا  
مِنْهَا: التَّكْوِينُ الْعِلْمِيُّ وَالنَّفْسِيُّ وَتَارِيخُ الْحَيَاةِ  
وَدَلَالَتُ السُّلُوكِ، حَتَّى لَتَجِدُو - تِلْكَ الْعَنَاصِرُ -  
وَكَمَا هِيَ دَلَالَتُهَا، عَمَلًا، بِهَذَا التَّكْوِينِ وَلَمْ  
تَنْسَ، مَعَهُ.

ينسارع إليها كما ويرداه وقبها، والجو كله  
كفوسى خائق، تتجدد فيه مشاهد من الزبداء  
والضعف والشهوات والحسبة والخلل  
والأكثاء، وبخاصة في الأحداث، ولا إشارة  
تدل على زمان أو مكان.

حتى النهاية التي تنتهي إليها «الغرف  
الأخري»، الاسم الأخير الذي ينتهي إليه بطلها،  
لا يكونان إلا حوضين جديدين في  
الفتوحات التي لا تنتهي، فهذه اللون من الكتابة  
يعين أن يدور في دورات مكرورة لا تنتهي  
فيها، وهي شتى، وتنتهي مادام الإنسان على  
هذه النجى، محاسن، وحطائى، وسوقا على  
ذلك، لا يمكن أن نلخصه شيئا؟



ولئن كان لأبطال جبرما من الرجال  
 -يوثيميه- من صفاته "يوثيميه" كذبة،  
 وسراب فخا، صاحب "اليوتات" شاركون  
 طريقتهم الإلزامية: التوافق الجامع لن تقاى في  
 جاذبية جبرم جنون، التوافق لتحقيق هذا  
 التوق. وهي -مثلهم ومثلهم- شائكة الكفاية،  
 تتجلى بعزف على أوتارها، تشق الكفاية في  
 القفص أين أن تصرف -وهي- مثلهم  
 -شهير- لصاحبا جاذبة، فابوها طيبير  
 طيبير، وهي ليست جاذبة للعمل، بل عمل  
 -الضليعة والوقت- والخمسة هي -مثلهم  
 -مثلهم- أجابات الفخا والوثرية، وفقت  
 عارسات في إنجلترا، رجعت بهنهما تواصل  
 في المسرح في بلداه، ومن ثم يدق ناهن  
 تحدثت عن كسبيير ورايسين وواين وابن  
 -والفيلد وإهايا جابيل- سوتيكوف. -إخ.  
 والكاتب يتحدث الحرس على عدم تجميد  
 البلية التي أثبتت ثوبه على رداءه، والكاتب  
 المؤرخ أين سررا، ليست فلسطين، أين كانت  
 لها قوة من القدس، بره الحديث بهنهما  
 -مؤرخين- غير أن هذا البرر الوحيد -أقرو:  
 -صاحبا: تشعرب سراب إلى أحد  
 -اصداق- صديها مفلان- شروكيا في تجربة  
 -الجناب- من الفلانة باليدناش  
 -الضليعة- الفلانة، -الشرق- الإلزامي إلى  
 التظلم الذي يتنمى إليه -تلكا- على إعجاب

(٥) **الثورة الحاصرة**  
**في الخارج والداخل**

يمكن القول - دون تجاوز كبير - إن الرواية الفلسفية - دوماً بدايتها غير التفتتة، وبعد أن دفعها أساس قلندي، بعد أولية نوع الاعتقال - استطاعت أن توأمت مع الفلسفة، وأن تلبى في صلبها أي ارتباط آخر ومباشر بقضيتهما الوحيدة (الاستبداد بغيره) وكان من الطبيعي أن توجد لذلك الأعمال على شكل انتفاخ الحصرية في الغشال الفلسفي حتى العربي؛ ١٤٨٠ م قبلها ما بعدها؛ وتطافا والروائيون والقاصون من خلق العمل وتناقروا وتعامات وتواضعوا وتعلفوا وتعلفوا والجن والخيالات والتخيل في ألواح الخواصين في البحر والصحراء، وهم رب العادة، وأمامهم - في الأعمال - كواكب الذهب من كائنات - الرنة -

[illegible]

ومختلف الاستراتيجيات التي شهدت انطلاقة العمل الخيري الذي جعلها في طليعة الأعمال الخيرية. فمؤدى إلى غسان: إن أعماله الخيرية (مجموعاته الخيرية وروايته الخيرية) هي حياتيات ما سيأتي بعدها، هي الإطار الواسع الذي ستبقى عليه، وبالضرورة، حتمية الفداء، وهو ما لا يستطيعون، أن يصل بعيدون عن طموحاتهم رغم بعدهم عن أهل البرق الخليل. فأنشأه في فلسطين، وقد نكس في شمس، يصل نسبة الإحسان باليمن، بعد أن ألقى قوى غريبة، يستعنها أن تشمل الخلاص لهذه الضحايا، الذين لا يبقون إلا طليعة أهل البرق الخليل، وهو ما لا يستطيعون أن يصل بعيداً عن طموحاتهم، هذا التغيير الذي أصبح غسان

[illegible]

ولأن هذا النموذج لم يعد يلاءم والهجوم  
الفاشيستية بعد ٦٧-٧٠، فقد حاول الروائي أن  
يجعل لبطلة ماضياً نضالياً وحاضراً نضالياً  
مستقبلاً نضالياً مختلفاً كذلك.

تأثرت الأردن والمغتصبي في ما يتعلق بال  
ويبقى على الفلسطينيين الأخذ بعرض الموضوع  
في إيجاز -  
السوية الإسرائيلية، فالطرف الأخرى، هذا  
منه ومنزلة كاتوليكية وما سبق أن وصفنا؛  
وأما من روايات الوثائق، فنظير التي في نهاية،  
تحت تصرف من مطبخها: إلهامهم-  
فكاتبوا الوثائق، وهذا لا يزال يتكرر؛ بل:  
التي استعملوا في محاضراتهم وتعليمهم،  
ورائته، وحشدهم، الحكم على، أنه لم،  
التي، لا يعرف، فحاشا له أن يوصفها  
سبغية على أن يرق طبع في كتاب يحمل  
يذكر أن كان له في الأخير، ويكتسب  
التي عرضها في مواضيعه بحث للظهور،  
والتي كانت لا تتغير - وهذا ما كان على  
أن نفسه، من عرضة لكان يصالح،  
وحيث كان في ألسانه أو "رسول"  
يتحدث في هالبرستين - لا يستطيع أن  
تظهر له الشرارة التي تحسب له بعاملا،  
التي بطلقة تقاسمه وتساو في التعلق التي

[illegible]

ما أكثر ما كتب عن أبي التحسب المتشائل، حتى كاد أن يصبح أشهر من صاحبه وخالفه! في تلك الرواية الصّلة لم يسلك إميل حبيبي أيّا من السبل المطروقة في الرواية العربية أو العالمية، بل أسس إبداعاً جديداً يقوم على دعامتين: راسخة من استلهام التراث القسطنطيني والعربي.

[illegible]

هذه الاوراق المتخسح في «تغاريه الغالي»  
من صاحبها... من خلال الوصف والسر من  
الحية، وسعدتني اطلاله وكبريتهم من  
احية ثانية - الى بقال قارنيه الى اجواء  
مبارسات فلسطينية خالصة، ام العبد،  
ليستحلم لي اربعين يوما من استمهاد زوجة،  
والاخرى الاحتياطي الى بيليه الشيخ لعودة  
سابع من سجنه، والخرى الى القاسية التي  
يعيشها المسجونون في «أصنار» والمنافسات  
والدور بينهم، وسناتهم في المقامق والتدري،  
«الاوراق الصالوات» لي تايض وتايحون  
حيث تضيغ جواهر الانتفاضة، مظاهرات  
حباب في الديرة الخ

ويهيئ الكاتب الجزء الثاني من روايته  
لغة إشارة لجزء ثالث عن طريق «مزج أجبر»  
بين خطاب «الختيار» الذي أعلن فيه قيام  
دولة الفلسطينيين، ولثلاثة باسماء شهداء  
لانتفاضة حتى ذلك التاريخ، وما يحدث في  
مستشفى نابلس، حيث لا يتقطع تدفق  
الجرحى والمصابين، ولا يتقطع احتفال  
الفلسطينيين بقيامه. ولتتم.



ولئن كانت «الزاريما» تنهتني إلى تلك  
 المساهمة، فإن الجرائد... تنهتني إلى نهاية  
 هذه قصة تماماً: دخلت على السيد في السبائك  
 وراوى «الحكايتى» مثل سقفة القديم، ليقول  
 «هو يوليى كنهيه كنهيه ورايتيه ورايتيه ونهيتها  
 ارجعيل: لم تدم بعد، ولعشرب الراجز الراجز  
 إلى شكل ومضون نهيتها... وايس مهمما  
 يتبعني، إلى نهيتها، إلى العمل، فكل حركة  
 متحدة في عواطفها، هي لا تتركنا،  
 لا تضى في دوات مظلة، لكن عوامل جديدة  
 تدخل كل يوم لتغير مجرى الأحداث أو تعطل  
 مسارها.

وراضى بسمى عمله "تخريبية فلسطينية"،  
وضع - عن عمد - بعض التشابهات التي تحيل  
نوازتها إلى تخريبية الهلالية (هو اسم الأسرة  
الرئيسية في العمل، والبطل يتردد وصفه بانبي  
يه الهلالي). ونجح راضى في أن  
يقدم "سيرة" الشعب الفلسطيني

۵۹ وجهات نظر

سيد الرئيسين والبالغين جميعاً، معاً  
 ساسيان: زعيم فيصل حسين، رؤساء  
 صامسون، ١٩٧٢، ورواية فيل في  
 البكاء على صاحب، ١٩٧٤، في  
 صمدن من التسليم - في الحرف الأولى  
 الملامح الشخصية. ما يجعل التجربة التي  
 نعرف عنها، قد خاضها كل من الكاتبين  
 طرف الاصابع، متوجهين في مسيرة  
 لظروف اقتصادية، لفرصة محاصرة في  
 جليلان والمزايا، والإنسان الفلسطيني  
 صمدن كل شيء على الطريق، وتقديم  
 والحق، والحق، لا تعني بالخطأ، حدث  
 فضاء التي يقول، وأين خلداه  
 الصامسون، فيقول: «أولاً من الشخصيات  
 المسبق، الذين ساروا في استعداد، في  
 طريق ساروا في استعداد، في  
 أولئك أن تقوم بالتعليق، نشر الوعي،  
 في كل شيء».

وتمت العمليات موعداً جديداً: بيروت؛  
لحملة التخلّص البولي والصور، ثمّ الخروج إلى  
الداخل الجبّية. هذا هو الخارِج، أما الداخل  
قد شهدت نهايات العقد قرن الانتفاضة التي  
معارن ما أصبحت أبداً الحياة اليومية في  
الشرق للسلطين، في تشديد الحياة. ١٩٨٨

حدثنا ناجي يخفّ عن اجتياح الجنوب  
سوءاً في بيروت، من وقته في المداويرة  
معها ما رأينا: عن جديد جسات الطائرات  
من طائرة تهاويل الخسوف، ترك الرجال  
تدافعهم، كالمواقع المكشوفة، أصيب  
بمئات بجراح عميلة، حركات الطائرات الخض  
والباس ولم توقّف. أصيب المبلغ أصابات

بالبصرة، استسلم العتوبون بولس بن عيسى.. وصعد  
إلى البصرة.. ثم أفلت من على سطح البصر  
الاقبالات الحنود البرمالية.. تراجع القاتلون إلى  
داخل البلدة.. ندم.. هي معركة غير متكافئة  
كما قال قائدهم حمزة، هُزموا فيها لكنهم لم  
يستسلموا، وضع حمزة خطة لإنقاذ مقر  
تقريبه الموقت الذي لاقاه العدو في الدامور،  
أطلقوا النار على من فيه، قتلوا عدداً من القادة  
الضباط وأصابوا الباقين.. وتواصل الحياة  
شبهها.. في العزل والحصار.

ويحدثنا رشاد أبو شاور عن النهاية، عن خروج إلى المخافي من جديد، في «الرب لم

سادت أعمال ما بعد ١٩٤٨  
مباشرة خصائص ما يمكن أن نسميه  
«أدب النفي»؛ «الحنين الطاعن للوطن  
باعتباره الفردوس المفقود، والرغبة في  
الرجوع إلى الماضي، حين كان الشمل مجتمعاً،  
والحياة هائلة فلا خربة  
ولا تشتت ولا إلال



واستخدمه أكثر من مرة ليصف حياة الفلسطينيين المنفي، اللاهث أبداً وراء لقمة تسد رمقه وقروش قليلة تقيد أود الخنازير وراء الحدود. ثم هم كهول يذوقون بحمل سنوات العمر والمخلة وطعين الإغصان ويؤس الخيما، لذا تجد الفلسطيني عنده، دائماً، طريق أو على طريق أو ياحشاً عن طريق، أبطل روايته الأولى يلقون مصارعهم في تلك البداية المندمة بين العراق والكویت، وبطل النافذة يضيء وسط دابة أجد، مع غارة إلا أن...

بأنه يؤكده ذلك التفكير العبدون عن رويته  
التي لا تترك في السرايين أي دخال في  
المناسبات، فلتقتنا رويته التي هي مغلوبة، فذرات  
المناسبات السالبة التي تطهرت إلى أن كان  
وتأتي كلمات أبي الحيزران، بأنه لم يجد أن  
التي هي أكل القوت، بأنه لم تقوا حذران  
التي هي مغلوبة بالذلة، فذرات  
التي هي السطحيون في كل الحيزران، أن  
يتحولوا إلى الاستسلام إلى تلك الغلبة،  
السطحيين ضارته من جديد، أنه يعيش على  
الذلات، والفتات، وخصه منعة عديمة بأدنى  
الذين يأنس بهم، إلى أن يأسف من أن السطحيين في  
التي هي مغلوبة، بأنه لم تقوا حذران  
التي هي مغلوبة بالذلة، فذرات  
التي هي السطحيون في كل الحيزران، أن  
يتحولوا إلى الاستسلام إلى تلك الغلبة،  
السطحيين ضارته من جديد، أنه يعيش على  
الذلات، والفتات، وخصه منعة عديمة بأدنى  
الذين يأنس بهم، إلى أن يأسف من أن السطحيين في

[illegible]

وانطلقت العربية الفلسطينية المسلحة بعد ٦٧، معجلة بكل آلام المضاعف الداسي، مثقلة بكل آفات وتناقضات الواقع الذي خرجت منه واحاطها، تحمل ثواراً بلا أرض: مسلمين وساركيين، مقاتلين ومتفلسفين، وأتبعين وحاملين، صادقين ومهرجين، متزايدين أمام أعواد المناير ومتترفين في صمت ونيل وكبرياء. بكل هؤلاء، وبغيرهم، انطلقت العربية

ولم يطل الوقت حتى حيدنا الرائيين عن  
أيلول ١٩٧٠: لم تكن مهارة صبياد متريص  
لفظ، ولكن غلة سرب من النعام كذلك، قُتل من  
قُتل وذبح من ذبح، وكان خروج الباكين  
مشهوباً: لا زهو ولا أمجاد، والقلق على المصير

العدد الثالث والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٠م

تمت أ.د. أشرف ماهر

جاذب  
ويعطر رائحة

**B-Fresh**  
TOILET SOAP

في قلب الطبيعة: زيوت عذبة بنسب متساوية في قلب صابون بي فريش  
لينعش البشرة ويغذيها ويرجع نضارتها إليها

صابون تواليت

بي فريش

جاذبيتك.. في نظارة بشرتك

# المعمارة والذاكرة

## دعوة للتفكير



### ناصر الرياض

الرسالة، أي العمارة نفسها. هذا الهاشم من الغموض والعشوائية، وبالتالي من الحرية في الصياغة، هو ما يسمح لكل ملق لكل ملق على حدة بأن يصنع معناه الخاص على الرغم من أنه يشارك الآخرين بمعنى جمعي تتحدده أطر انتماء أوسع من الفرد ذاته تعتمد من العائلة إلى القرية أو المدينة للتلون والألوان والبنائية إلى الإنسانية جمعاء. وللأسوأ من القصص ما خلال نماذج محددة تمرلها كذا، تلعب في مخيلتنا وتكرنا وتتبع وإعجابنا وترمز عادة لمعان محددة وأوضاعه يفسرها كل منا وإن كنا، كإلهام، نصيف إليها دائماً إلهاماً خاصاً وشخصية، تجعلها لنا ومنا، بالإضافة كونها إطاراً للذاكرة الجماعية التي ترتبط بالأنشائية الإنسانية التي أنشأنا لن ننشئ إليها أو التي وعينا على أنسأنا متدينين إليها من دون خيار. نموذجي الأول هو البيت، أي بيت، ومن بعد ذلك البيت الخاص بنا. أما البيت هو ما يرى العاطلة ومركز حياتها وجميع نشاطاتها وبوئل ذكرى الفرحين عنه وما ومرت العصا إن شئت فيه وانفصل عنه ليجلس لنفسه وأسرته بيتاً جيداً يختزن ذكريات حياته الخاصة المنفصلة عن العائلة الأولى والمرتبطة بعائلته هو أو هي. البيوت تتشابه معمارياً، خاصة في المدينة الواحدة وفي الفترة الزمنية الواحدة، فالاحتاجات الوظيفية والشروط البيئية والاجتماعية متشابهة. ولكن البيوت تختلف أيضاً، ولست أعني هذا الاختلافات المعمارية والشكلية الظاهرية التي تعكس اختلافات طبقية وعقلانية وأنيية وتقنية، وإنما الصدى الاختلافات التي تجعل من بيت ما بيتي أنا. فهذا طبع الذاكرة، وهنا تصعب البيوت محيطاً للذاكرة وموئلاً لها في نفس الوقت. هنا تتحدم الاختلافات الفرقي بين ما هو موجود في البيت واستوعب الذاكرة المحلية هنا وما هو متخيل، أو بالأحرى متخيل، مع ما هو موجود، أو لم يكن موجوداً، وتكون ذكراً ومازلات تثير في، نفس الإنسان، نفس الارتعاشات، اللامعات، التي أنشأها الشيء نفسه عندما كان موجوداً أو عندما خيلت أن كان موجوداً. وما تبرز تلك الخاصية الشكوكية للعمارة كموئل للذاكرة الجماعية، هي القدرة لفراد الأسرة، المجتمع، والذاكرة الشخصية، الأنيية، الحميمية، والخاصة جداً كل واحد.

أنا شخصياً مثلاً يمكنني أن أنظر إلى أي عمارة استمتيت في ربيعة متوسطة من البحر (البيض) من ذلكلة أو أحييت متوسطة من شرقات

والصروح في فرنسا وما تختزنه من الذاكرة الجمعية وبين فكرة «الرباسا» نفسها كما طرحتها النظريات القومية خاصة في القرن التاسع عشر. ولكن الصلافة بين هذين المفهومين بلفت غامضة ومرتبكة منهجياً حتى بعد وفاة طرحهما ثوراً. هل هما فعلاً مفهومان متصلان، وإن كانا مترابطين، يحددان حالتي مختلفتين تقريباً ووجودياً، أم أنهما وجهان لعملة واحدة؟ لقد وجدت تفكيراً بديهيته يتغير طبيعة المعمارة من العلاقة من كونها هي نفسها حاملة الذاكرة أو من كونها قد أصبحت مكاناً من مكونات الذاكرة من دون وجود مدى حقيقي لها، أي عندما تكون المعمارة قد أصبحت جزءاً من الذاكرة، وبما أنني أجد الرأي الثاني أدق منهجياً ومنطقياً، فأني سأستخدم المفهومين «الزوايين» وأحييت مستخدمين متلازمين يميزان عن علاقة متغيرة تبعاً للتغير واحد من عناصرها فيما أدون أن أطره هنا من دعوة للتفكير في معنى العلاقة بين المكان (والعمارة) والجمعي واعتبارهما عنصرين وجوديين فعالين في تشكيل موية كل إنسان على حدة وهوية المجموعات والشعوب والإنسانية جمعاء، بنهاية الأمر.



للمعمارة، بالإضافة لوظائفها المعروفة والمباشرة من حيث كونها علاقة حميمة إنسانية خاصة والاجتماعية، هي تلك الابع من النشاط الإنساني والفكري والهادي الذي طوره الإنسان لحفظ تراثها، إحصاءه، والجمعي. بطريقة أخرى هذا الكثير لنسبيل الشخصي والخاصة الشخصية في صياغة علاقة فردية ومتميزة مع موضوع الذاكرة التي أكثر من فرر واحد أي الذاكرة الجماعية. ولعل هذا هو سر استمرار العلاقة الوثيقة بين العمارة والذاكرة بعد خمسة قرون من اختراع الطباعة. وبعد ربيع ربع من اختراع الكمبيوتر - أي الرغم من ثورة هوجة الكمبيوتر في الصناعة ستقبل الذاكرة البشرية في العمارة، فهذا الفضاء غير المحدد والوجودي في كل عمارة فعل وتخييل، والمهما لتعمل أو اكتشاف الذاكرة من قبل الفرد الفكري والخاصة للعمارة. بخلق نوعاً من الجمعية في العلاقة بين الفرد الفكري وبين الذاكرة التي نفسة أدنى هو مصدر

فيكتور هوجو (Victor Hugo) مناقشته العلاقة بين العمارة والكتابة في الفصل الثماني الذي خصصه للموضوع بعنوان «هذا سبيلك لاد» (Ceci tua cetera) في منتصف القلعة الروائية «نوتردام دو باريس» (Notre Dame de Paris). ما قصده هوجو هو أن انتشار النظم المكتوبة عن طريق الطباعة سيقول دور العمارة كحاملة للمعنى وكموئل للذاكرة الجمعية بما أنها تؤدي الوظائف نفسها بطريقة أبسط وأوضح وأسرع وبكفاءة أقل.

ومع أن هوجو كان يلا مراه سابقاً لعصره، في تحليله للعلاقة بين العمارة والذاكرة الجمعية فإن تحليله يبقى ابتدائياً وعماماً في ملاحظته وحمداً في استنتاجاته. فالبحث في مجال العلاقة بين العمارة والذاكرة قد خطا مؤخراً خطوات فعالة ودقيقة منهجياً ونظرياً أضحت الكثير من الفروض ومعظم الرؤى لهذه العلاقة بين العمارة والذاكرة الجمعية، بل إننا اليوم نشهد صعود فرع جديد في الدراسات المعمارية يدعى بشكل مباشر بمواضيع الذاكرة الجمعية في العمارة وبالعلاقة كذاكرة جمعية، ويعتمد في تطويره على التمدد الفكري الذي حققته دراسات علم التحليل النفسي (Psychoanalysis) والعلوم الإبراهيمية (Cognitive Sciences) بالإضافة للفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية واللغوية والمفاهيمية ودراسات الذاكرة الجمعية نفسها التي أسسها عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالوبوش (Maurice Halbwachs) الذي كان واحداً من أنجب تلاميذ عالم الاجتماع الفرنسي الأشهر إميل دوركايم (Emile Durkheim) ويطلق على راس البحوث لتحديد الدين الرواد ودراسات المعمارية والذاكرة بظهورها للعلاقة البحوث الفرنسي التي تسمى للمفاهيمية بين هور، (Pierre Nora) اقترح مفهومين مترابطين لتعريف عن العلاقة بين الذاكرة والمعمارة، مفهوم المكان كمسحيط للذاكرة، (Mlieu de memoire) أي كمسحيط فكري فراغي ومعاش ومستعمل، ومفهوم المكان كمسحيط للذاكرة (lieu de memoire) كمسحيط لاختراع أو كصورة أو لتخليق أو إحساس ما كان أو ما يمكن أن يكون أو ما يفهمه الفرد الذي لا يكون ولكن مع غياب الإطار المعماري الذي تحفر فيه الذاكرة.

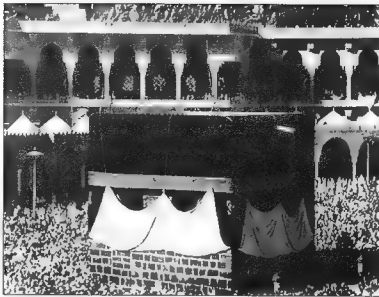
وقد طوّر ثورا مولولات هذين المفهومين من خلال كتاباته المتعددة واللغوية مع لاشوشية فرنسية عن العلاقة بين المباني المعمارية

■ ■ ■ العمارة والذاكرة مفهومان قد يبدوان للوهلة الأولى محدومين الصلة ببعضهما البعض، بل والذين على طرفي نقيض في العالم الحسي والإدراكي، فالعمارة منتج إنساني وعادي، موجودة وقائمة بذاتها ومبرنة لكل ذي عيدين، ذات ومائلات حياتية وطبيعية ومعنوية وإبداع جمالية وفراغية ودلالات اجتماعية وتاريخية واقتصادية وسياسية ورمزية. والذاكرة، تلك الخاصية الإنسانية الواضحة / الغامضة، مكتوبة في الذاكرة، توضع بصور ومواقف وكلمات ومشاعر مخزونة بدل على وجودها شعورياً وتأثيرها وتفاعلا معها، ولكنها عدا عن ذلك كجالات في مكان ما في تلافيف مغلفنا لن تتمكن أحياناً من باحثي العلوم الإبراهيمية والعصبية من تحديد مكانها.

هذا على الصعيد الفردي، أما على الصعيد الجماعي فالعلاقة أكثر تعقيداً؛ فهناك، بالإضافة إلى الذاكرة كخاصية فردية وجمعية تعريفية، الذاكرة الجمعية التي يتشارك بها أعضاء أي مجموعة بشرية والتي تعتمد كموئل من مكونات هويتهم ودالة من دلالات خصوصياتهم. ومع ذلك فالعمارة والذاكرة، بمعديهما الفردي والجمعي، مترابطتان في تاريخ التجربة الإنسانية ترابطاً أساسياً للتأثيرات، العمارة تلعب للذاكرة، تجسدها وتعطيها شكلاً وهي أيضاً تعكس ما اختزنته الذاكرة البديعة من صور ومفاهيم وتجارب، وما أسقطته عليها الذاكرة الجمعية من مواقف ومشاعر ومعتقدات.



والذاكرة تستعمل صور العمارة، الواقعية والخيالية، التاريخية وغير المتكونة في آن واحد، كعناك لتعريفها عن نفسها وهي أيضاً كذا لتأثيرها، والتأثيرات لوجودها في العمارة كعمل إدراكي فردي وجماعي وكمسحيط مادي وحسي. أو هذا ما يعترض أن للعمارة كائناتية وعشوائية تنسج على عرش التفسير والوجدان الإنساني الجماعي كما مقلتها أواب الأفراس التي اعتبرت بمثابة قبل أن تزدها الكتابة عن هذا العرض، خاصة بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر مما جعل نشر الفكر والمشاريع عن طريق الكتابة سهلاً ومتوقفاً واقتصادياً. هذا هو الحال الذي أدى لفتح باب الروائي الفرنسي المرموق ستيفان مال



الكعبة المشرفة في مكة

عن بيته، عن مواه، عن مصلحه، عن مؤل  
تكرياته الخاصة والخصوصية، وبالتالي  
ترتبط نفسها به كقراقرى فردى حديدى، مع أنها  
أيضا وفى الوعى العام للمتلقي، القراقرى المشترك  
بين أفراد الأمة الإسلامية كلها والصلة الأخرية  
التصعيدية بالسما، ومن هنا يأتي نجاح  
الكعبة كرمز للإسلام، فهي في الآن نفسه بيت  
أمتك وأبلغ ذكرى شكلية للبيت الخاص  
متا وأكثرها عالمية وشمولية على المستوى  
الإنساني. وبالتالي فالكعبة هي الآن لنفسه  
موطن الذاكرة الجمعية بمعناها الأشمل، أي  
ذاكرة الأمة الإسلامية التي تنطح لأن تكون  
أمة، ويسبب استخدامها للتلش الجبلي  
البيت، نصيب الذاكرة الفردية بكل تفاعلاتها  
السيكولوجية من إرماضات الطفولة إلى  
فورات المراهقة ومغناة الشباب وتجليات  
الهوية. ودل هذا هو سبب فشل مقاييس في  
النقاط مدلولاته الخدوية وصها من جديد في  
مبى مشابه، أي أن إجماع الذكرى الإنسانية  
المقصدة عن أرب الأجد والتجربة الأعمق في  
التاريخ مع الذكرى الإنسانية المقصدة عن  
البيت المغموس في كل ما لا يمكن  
إطلاق أن يتكرر في أكثر من نموذج واحد  
حسب، وبالتالي لا يمكن للكعبة أن تلد  
ويحفظ التقليد بنفس القوة الإحيائية للأصل.



أما بيت الرسول الكريم في المدينة المنورة.  
فكان أيضا مسجده، فهو يحكم اقتضاء  
صلة الإجابة عنه ويحكم استخدامه الجماعي  
كمقلى للمسلمين الأوائل ووضع أصلاهم  
الجامعة للتقاليد بزعيمهم الروحي والمضي  
كطور سريعا بعد وفاة الرسول لكي يصبح  
النموذج الأصل للمسلمين معماريا وفيلسافيا  
حتى اليوم، أي بيت الرسول على عكس بيت  
الله الحرام نموذج لا يمتع أسلافه وهيا  
لاستمرار والتقاليد. وهذا عين ما فاده  
المسلمون عندما اندموا شرقا وغربا في حركة  
الفتح الأولى، قبل مساجد المسلمين الأولى  
سورية والعراق ومصر والسودان واليمن  
والخليج وإفريقية والاندلس تنبع  
في عمارتها من مسجد الرسول

المعمل للمعنى وبين للعتى نألسه. والثاني هو  
النموذج الأولي والبسيط والأصل ما أصبحته  
كل مساجد للمسلمين فيما بعد: بيوت صلاة  
وعبادات وإجماع وتواصل محملة بذكريات  
الأسوس ولحظات التماسيح في عمارتها وفي  
فراغاتها وظلالها وتفاصيلها، على الرغم من  
اختلافها اللاحق بالضرورة بسبب اختلاف  
مناطها الحضارية والبيئية ومولراتها الثقافية  
والتاريخية والتكولوجية.



الكعبة المشرفة، ذلك البيت السحيق القدم  
الذي كان أول بيت وضع لعبادة الله، تشكيل  
رغم في مدلولاته وارتباطاته الإنسانية  
والصحية والإيركية، وبالتالي جعله لمعان  
بدلية قبل- دينية وتكريات إنسانية أولية  
وشاملة، قبل أن يصبح مؤلا لذكريات مشتركة  
بين المسلمين كما يظهر إياها في البداية القرآن  
الكريم والرسول الكريم، عن تاريخ الكعبة قبل  
الإسلام وعن التضحية الإبراهيمية فيها، وكما  
تجسدت هذه الذكريات على مر العصور  
وتناقلها المسلمون في مروياتهم وتكثيم  
وقصصهم الشعبي. ولأن الكعبة أيضا، ذلك  
المكعب السيد، أمتك أول لمحل المعنى المجرى  
وأكثرها طواعية لمحل الذاكرة الفردية عليه،  
على الرغم من إيالاته ببساطته التشكيلية  
والمدسية برصا لى للأصل. فالكعبة  
بمقاييس الأمر في الاختزال الكلي للموهب البيت  
كما يشير به غالبية النماذج بشكل عفوي  
للكعب، رغم الأشكال الهندسية المختلفة الإنسانية  
وارضية، على عكس القارة، أكثرها مدورا  
وتصمغا وكما ألتص في الذاكرة الإنسانية  
العامه أو الشكل البيئي للبيت، المأوى والمجا  
وملقى الأحباب ومسح الذكريات، وهي، أي  
الكعبة، تحمل بالتالي في بساطتها وفي  
تعبئتها ضيق الذاكرة هذه الذكريات الألفية  
المغموسة في عمق ذاكرة الإنسانية الجمعية  
كلها منذ بداية التاريخ من الغاية والتكيف  
للعيش سوسيا في بيوت مدنية ولينظفوا في  
أسر محيطها قرابة آدم والمصاهرة.

ومن هنا وفي الكعبة البرزخية فوق- الدينية،  
فهي بالفتاها وبساطتها وموهجها وحتولتها  
المحتل على في المعاني المتعلقة بنشأة وترعرع  
واكتشاف نمو كثر في أسرتهم تشدعي  
الانقلي وتهدهده في بحر ذكرياته الخاصة هو

عظيم بإذخ مكلف بلقشر فائضا من المعنى لا  
تملاء كله وظلاله العظيمة ما يستدعي في بالتالي  
تحصيله بولائف رمزية ومعنوية وعظيمة لكي  
تحتوي على فائض المعنى المبروث في فائض  
الفراغ والحاض المتكفلة والجدج واليدخ والمواد  
المستعملة. هذه هي العناصر التي استعملها كل  
عظيم وكبير ومكبر في التاريخ لكي يحفظ  
ذكراه أو ذكرى قومه. ثم أي هوو لكي يرسم  
عبرها علاقة العمار بالذاكرة الجمعية ولكي  
يستنتج أنها قد خسرت أمام زحف الكلمة  
المنبوغة كوسيلة التواصل المعنوى ومراة  
للتفاحر القومي.

ولكن الشناجذ القليلة المسيرة، بسيطة  
العمارة ومناوصتها، هي التي تؤكد لأن  
معنى العمارة لا علاقة له بمجاشرة باليهتها  
وحجمها وقلتها ودرجة اليدخ فيها. فالعمارة  
المؤثرة برأي، العماره للحلقة باليهتها بعمق،  
في العماره التي لا تفرق في الملقى بمعناها  
يتشكيلها للكتلة والحلاقة والمتكررة  
والغائصة، بل تصدعيه إليها وتلفت تفرده  
لكنها إطارا مجموعا من المعاني المسكة  
والمحطمة وغير للروضة تشكيليا أو وظيفية.  
العمارة الناجحة رمزيا ومعنويا هي التي  
تقدر ولا تفرق، في تسيار والتجبر، ومعان  
نوعه، إلى معناها من موز أن تلبه إملاة إنها  
بنهاية الأمر العماره الفاعلة التي تقوى في  
أعماق النفس الإنسانية وتتخس منها أبسط  
الاشكال الأولية والطبيعية وللواتز بصريا  
ومندسيا، وديني منها مجموعا مركبا مقلدا  
للفراغات المخرقة خصوصا من دون وظيفية  
والمعنى كمدى لكي يشكّل كل منطق من  
التفاهات نفسه ليندجها حول الة الخاصة  
ومعانيه الخاصة التي تجعلها في نهاية الأمر  
عمارتها هو، مؤل ذكرياته هو، مع ما هي عليه  
أصلا من عمارات وظلال جمعية. ومعان  
جمعية طيبة، وتوالت جمعية تؤدى رسالتها  
من خلال توصيات مع ذلك الهامش الفرعي  
الخاص الذي يباه كل منطق لنفسه فيه.

ولعل للدين الأروع في تراثها العبرسي  
الإسلامي، والبسيط معماريا، الذين يرتخان  
مجالا للتواصل الفروي والفرعية الشخصية  
بالأوصاف معها، مادي الأولي الأول؛ بيت الله  
الحرام بمكة المكرمة وفي الرسول الكريم  
بالمدينة المنورة، الأول نموذج قلبي بلته متعال  
عن التقليد إلا فيما ندر كما حصل مؤخرا في  
نموذج وحيد في بنجاشيا، وإن لا يتجسّد  
ملكوه في تحقيق التوازن الدقيق بين الشكل

وأصع نباتات فخارية وشبابيك ذات  
أربعة خشبية ملونة والقول عنها "بيت"، أي  
بطان حياء أسيرة لا على التعمين ولكنها تحمل  
بالنسبة إلى مفهوم بصورة أبهى. ثم انتقل إلى  
ضارب الروضة في دمشق وأنفز إلى الطابق  
الثاني في عمارة محيية ذات كلس بنية فاتحة  
وآرتجة خضراء مغبرة وشرفات طويلة فيها  
أصص مزينة ومتنوعة والقول "بيتي"، الذي  
فيه كبريت، وإليه أحن. وأصس بذلك الإحساس  
لنفسه كلما ذكرت البيت أو رأيت صورته أو  
كلمت عنه وأصفا إياه بديني فاكترني وليس  
يعني الواقع بالضرورة. وفي كل مرة تستنار  
في مشاعر قوية وخاصة، لا يشارفني فيها  
غيري مع أن مصدرها هو البيت نفسه الذي  
يراه الكثيرون غيري، والذي عاش ويعيش في  
أفراد أسرى قبل أن انفصل عنهم لكون بيتي  
في الطرف الأخر من الكوكب، والذي يراد كل  
منهم ولقا لذكركه هو أو هي. هذا هو الهامش  
المعنوى والمحرر الذي تمنحنا إياه العماره  
والذي تكلمت عنه: إنها تحمل في نفس الوقت  
الذاكرة الجمعية التي تجعل من البيت بيتا في  
الأساس، الشكل والفراغ، التزيين والإشراش  
المعمارية، اللون والمواد (ولنتذكر أن كل الأطفال  
في بيضة محددة يرمسون البيوت بشكل  
مشابه)، ثم تنحصر خصوصية عالمية  
يتشارك فيها الفرد مع أفراد عائلته أو مجتمعه  
الصغير. وبالتالي تجيب لهذا الفرد زواياه  
الخاصة وفراغاته الخاصة التي يحصلها  
بذكرياته الخاصة ما يجعل من البيت كل،  
بيته هو بالذات الكلياني الانطولوجي للكل.  
بالإضافة لكونه بيتا ومعني الإجماعي  
للكلمة، أي صرف بيتا ومعني لوحدة أوسع  
منه، العائلة، حيث يباه وفي غلاب الأحيان  
يحمل أسها.

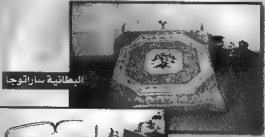


فإذا انتقلنا من الخاص إلى العام، ومن  
الجمعي إلى الاجتماعي، ومن الفردى أو  
العائلي إلى المدني القارطوي أو القومي ثم  
الأمة، يمكننا أن نميز شذرات من أنواع  
العمارة حسب ارتباطها بالذاكرة الجمعية  
بصرفها محلها للمعنى الفردي والعام. لا يمكن  
منا بالضرورة أن أليه العماره هي ما تزييه من  
صفتها على حمل المعنى، وإن كان هذا هو  
الوضع السائد في أغلب الأحيان. فكل مبنى

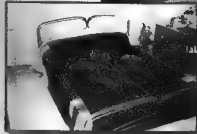
## شركات العالمية للبساططين ساراتوجا جرانادا

تقدم إنتاجها الفاخر من

أجمل وأدقاً بطنانية في مصر



البطنانية ساراتوجا



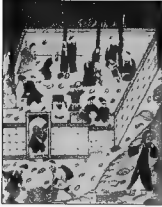
البطنانية جرانادا

الإدارة والمصانع

العشر من رمضان، المنطقة الصناعية الثانية B2

ت ٠١٥/٢٤٦٠٤٠٣٦٤٠٤

هاتف ٠١٥/٢٦٧٠٨



ساعة مسجد الرسول في المدينة تتلصق من مطرقة عثمانية من القرن السادس عشر مطرقة في تشكك الفن التركي والإسلامي في استبول



بيروت  
الكتاب  
في شارع  
فروشا  
في دمشق

عمارتهما، على ألقا للمعنى تسمح لكل فرد  
يعامل معها بأن ينسج علاقته الخاصة بهما  
من خلال تركيب تكرياته، عن بيته ومواهبه  
بالدرجة الأولى، على فراغتهما وصورها  
المهابة أصلاً لاستقبال هذا النوع من الذكريات،  
وهما بالذات قد سحبا لكل فرد بخلاف صلتها  
الحميمية بهما من دون أن يفقدوا ولو ذرة من قوة  
إعنيهما للنعوية والتعائدية الجمعية.

وإذا سمحت للنفس بأن أحسّر مفاهيم  
ببسر نورا قليلاً، فمسألون أن البيهتين الأولىين  
للإسلام على بساطتهما معبران معماريان  
لأنهما يسمحان بكرم وتواضع وإنتقال لكل  
إنسان بأن يجعل منهما «معبداً» يمتلك فيه  
بصره وبصيرته بين الذاكرة الجمعية التي  
تعلية الإحساس بالانتماء لامة، وبين  
الذاكرة الفردية التي تجعل علاقته بالعمارة  
نفسها علاقة خاصة وداخلة، وهما لذلك مازالا  
يتحديان نبوة هوجو أكثر بكثير من غيرها  
من المباني الحديثة التي قدادت ارتباطها  
بالذاكرة بسبب إغفال مصمميها أن ملة كل  
فراق فيها بوظيفة ومعنى محددين ومساي  
التعريف مما جعلها عاجزة عن التكيف مع  
المتغير الفردي الذي يبحث فيها عن معناه  
الخاص النابع من فهمه الخاص لها  
واستعماله الخاص لمرافقاتها، أما البيهتان  
الأولان الإسلاميان فهما مازالا يتواصلان  
معتوبين وإيماناً ولكن أيضاً فراغياً وشكلياً  
مع المسلمين الذين يؤمنونها أو أولئك الذين  
يصورونها عندما يحملون بزيارتها أو  
عندما يبيتون مسجداً جديداً أو يبرسونها  
على حوائط الحجاج العائدين من زيارة بيت  
الله الحرام أو مسجد نبويه. وفي كل واحدة  
من هذه التجارب الحسية، يسمح هذان  
البيهتان للفرد الحاج أو الزائر أو الحامل أو  
المصمم أو المذلل أو الرسام بأن يفسر أن  
تواصله معها يتجاوز الأطر المؤسسة  
والجماعية لكي يتخذ مبدقة فريدة وحميمية  
تدبره منها. وهذا هو أدبل ما يمكن لأي  
عمارة إنسانية حقة أن تحققه. ■

شارك أملاك وأصدقاءك في التمتع بتاريخ بلادك

مصر المحروسة

إمالة على ذاكرة الوطن  
Impressions of Egypt



الآن

الإشراف: ماسك جروب - ١٢ شارع المنتصر - العجوزة - القاهرة  
٢٦٦ ٥١٣٣ - ٢٦٦ ١٤٤ - ٢٦٦ ٢٣١ - ٢٤٤ ٠٧٢٨ - ٢٤٥ ٧٢٨ - فاكس ٢٦٦ ٩١٠٠  
تليفون:



رمضان كريم... كل عام وأنتم بخير

رمضان في سمرقند اميس... خير وليس

وتعود أيام وليالى رمضان الجميله... وتتجدد الدعوة كل عام لتستمعوا بثلاثين ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة وموائد الإفطار بمطعم **الفلوكة**. ننتظركم فيها كل ليلة لنحكي حكاية مكان كريم وشهر أكرم، يقدم كل مالذ وطاب من أطباق رمضان الشهية، ومع مدفع الإفطار ستعدد أمامك الأطباق لتختار منها ما تشاء.... وبعد الإفطار يحلو السهر فى **خيمة الفوانيس** مع **الشيخة والشاى والطاولة** وبرامجنا المتجدده كل ليلة مع نجوم الطرب والغناء من مصر والعالم العربى.... ويطول بنا السهر حتى الفجر لتستمعوا **بسحور الفوانيس** المتميز فى جو رمضانى أصيل.

إفطار وسحور...

وليلالى

مع نور

رمضان كريم



© Design Consultants

سمير اميس انتركونتيننتال القاهرة

للحجز والمزيد من المعلومات يرجى الاتصال  
بمكتب جميرات الطاهر ٧٩٩١٨١٨

■ ■ ■ رأت فارس حمامة قبل أن تراها .  
وعرفت أنها قبل أن تعرف عليها .

ولذلك قصة في نهاية الخمسينيات وأوائل  
الستينيات من القرن الماضي، سافرت إلى  
دمشق طلباً للعلم يوماً، حضرتي والدي-  
رحمه الله رحمة واسعة- من خلال أبي-إمام  
الله في عمرها- من امرين يخشى على منهما  
في المدينة الأولى هو بنات البندر والسفلى  
بحول السيماء، حتى الآن لم أفهم العلاقة بين  
الامرئتين ولكنني عندما وصلت إلى دمشق، كان  
كل شيء أن كل من هاتين القاتلتين المحترمتين  
علي، حتى لو أصابني والدي من دمشق-  
خاصة أنها لم تكن جدة ولا حوزون، اتحي  
قمتني مع بنات البندر جانحة، ليس هذا وقت  
روايتها، ولكنني عند وصولي إلى دمشق كان  
يخبرني في سيماء دار البلدية - تحولت إلى  
أطالان الآن - فيلم بين الأطلال، وكان أطال  
القيام كانت نبوءة لأطال السيماء.

في مساء يومه الثاني، في دمشق كنت  
هناك في قلب السيماء، سيماء دار البلدية وفي  
الحديقة كانت جزءاً من مجمع لقا في فوقها  
مكتبة البلدية، والسيماء كانت تحول إلى  
مسرح وقت النوم

كانت السيماء الحرب إلى ماكين من دار  
الأوبرا، التي أخرجت بعد ذلك بسنوات، ويومها  
شاهدت فارس الستينيات المهزوم عماد حمدي  
والفتاة مصورة الجناح فانت حمامة.. وكان  
اللقاء الأول.. ولكنه لم يصيب الأخير.. يومها  
وأنا اضاعدها على المشاشة، لم أتصور أنه  
سيأتي يوم تعرف عليها فيه، وزورها في  
بيتها وتكلم معها تكلم فانتصت واحكي  
فنتسج إلى.. كان قد لفت نظري لاسي بعد  
ذلك بسنوات فيلم المواطن مصري المأخوذ عن  
رواية «الحرب في بر مصر» وقد ألفت عليه  
بكمات عامة.

ولكن في اللقاءات التالية، قالت لي أنها  
الرب إلى واقعية بركات منها إلى واقعية صلاح  
أبو سيف، ذلك أننا يمكن أن يقدم واقعاً حقيقياً  
لا يؤدي العين ولا يصيب الإنسان بالفرق  
وكان الأستاذ محمد حسنين هيكل قد لفت  
نظري إلى روايتي، فبدأت في قراءة البعض  
منها، وهكذا ذهبت إلى شقتها لأول مرة في  
إحدى العمارات الكبرى بحي الزمناك بالقاهرة  
ورغم أن والدها المرحوم أحمد حمامة كان  
فلاحاً، وهي من تات إلى القاهرة من الريف، بل  
جاءت من الصورة الحديثة المشهورة بجمال  
بناتها الفئان ومع هذا فإن ما يليك في  
مدخل شقتها بمجرد نزولك من المصعد غابة  
أشجار حقيقية أشجار عالية تفوق إلى الباب  
عبر مرفقة بين سفلى من الأشجار، وكلمة

– فانت حمامة

سمن فردي

صحة ١٢٥

صندوق التسمية الثقافية ١٩٩٥

– فانت حمامة

خمسون عاماً من الخطأ

بدون سنة نشر

مهران القاهرة السينمائي الدولي الخامس

عشر

إمام منير محمد إبراهيم

– نجوم ما نغفون

حميس لحياني

مديا كوم للنشر والتوزيع

توس ١٩٩٨

صحة ١٧٠

– مصطفى حسين

سمائل سميس

أخبار اليوم قطاع الثقافة

١٩٩٦

صحة ٢٨٠

## مائة فيلم

في ستين عاماً من الفن الجميل

# فاتن حمامة

## فنانة من نور!

يوسف القعيد



فاتن حمامة لا تعرف اللون الرمادي. ولا تميل إليه.

ربما كانت تميل إليه في ملاسها لا في مواقفها. فهي إما أن تصب

أو أن تكسر.. لا تعرف الحلول الوسط. ولا الموقف الذي يرضى كافة

الأطراف. وإن كانت لا تصب أن تعلن عن مواقفها وآرائها السياسية

بصورة مباشرة. ذلك أنها تراضي جماهيرها في كل تصرف تقدم

عليه. أو رأى فعلته. ولكن من السهل إدراك مدى إيمانها بالليبرالية

السياسية والاقتصادية. وعدم توافيقها مع ثورة يوليو ١٩٥٢



كلهم وصفوا إحساس عبد الوهاب للحظة لا  
يهرها أحد بالذكاء، قالت فوراً: إن لها من  
الخيالي ثم كلهم كان عبد الوهاب، ويده من  
كل ما يقال عن سخاوت أخريات في حياة أم  
كلوم. كانت علاقتهما معقدة، ولكن لاند من  
القول أنه كان التناقص الخلاق الإيجابي، الذي  
يذيع كل طرف إلى الإجابة لتكسر من الطرف  
الأخر. أما التناقص السلبي الذي يؤدي إلى  
تدمير الآخر والحد والفرقة فلم يعرف طريقه  
إليهما. فانت حمامة لا تعرف اللون الرمادي. ولا  
تميل إليه، ربما كانت تميل إليه في ملاسها لا  
في مواقفها. فهي إما أن تصب أو أن تكسر.

لا تعرف الحلول الوسط. ولا الموقف الذي يرضى  
كافة الأطراف. وإن كانت لا تحب أن تعلن عن  
مواقفها وآرائها السياسية بصورة مباشرة. ذلك  
أنها تراضي جماهيرها في كل تصرف تقدم عليه.  
أو رأى فعلته. ولكن من السهل إدراك مدى  
إيمانها بالليبرالية السياسية والاقتصادية. و  
عدم توافيقها مع ثورة يوليو ١٩٥٢. وهذه

الغاية لا تزيد فيها. والشقة نفسها بعد أن  
تخلصنا من شلق زمن. براغ ذكرتي  
بالمساوات المفتوحة والذي البعيد في ريف  
مصر. وإن كانت الشقة تطل على النيل

إلا أن قاتن – فقد أصبحت تكسر من كل  
الأقاب – قالت لي أنها لا تستطيع أن تستمع  
بالليل. لأنه يسبب ارتفاع الشد، فهي عندما  
تنتقل إلى النوم، عليها أن تدلي رأسها من  
الشفرة. وهذه عملية متعبة. تنقلها الشرفة على  
أتمال الليل. إن ما تستطيع فقط هو النتر إلى  
المحبة الأخرى من النهر حيث تشاهد حتى  
الحوزة.

وهكذا تمكنت فانت بهذا الذكاء وحده أن  
تضيق لعمرها الفني عمر جديداً. عندما قلت  
لها أن تذكرها جاء في مسلسل أم كلثوم. عندما  
كان يهرض في محل هذه الأيام من العمام  
الماضي، فسماتني: كيف لفت لها أن هناك من  
أخبر أم كلثوم من الطائفة الصغيرة التي ظهرت  
مع عبد الوهاب في فيلم يوم سعيد. وإن أم

نقلة خلاف دائمة ومستمرة بيني وبينها.  
ولكنها نختار موقفها بعناية. وبعد أن تطلبه  
على كافة الوجوه. فهي سعيدة بالسلام في  
المنطة. لكنها ليست مستعدة للذهاب إلى  
فلسطين المحتلة. رغم أن ذلك قد يسعد  
اللمستبيين. وفي منتصف أكتوبر الماضي  
كانت تحرض على العودة من تصوير مسلسل  
أوراق الخريف مكرراً إلى بيتها حتى تتابع  
أخبار انقضاة الأقصى. لحظة لحظة. بل  
وطعن من التليفزيون إحساس مشاهد منها  
ليتمنعها المسلسل. بدلاً من للشاهد القديمة  
التي كانت موجودة. فمواقف الفنان الذي  
يشتع بشعبية فانت حمامة أبداً أن تكون  
محبوبة بعناية. فانت حمامة دقيقة في  
مواعيدها. تأخذ عذبا بأكبر قدر من الجدية.  
تري كفاءة مكوثات العمل الفني، السينمائي،  
الملاهي. الميكور. الموسيقي من وجهة نظر  
أصرا. تهتم في عملها وسلوكها بالبعد  
الإخلاص. وتراعي مقاليته لتأثيرات. أيضاً



30

كان يعمل مدرسا وكان يعيش في مدينة المنصورة. تعلمت فنان حمامة في المدارس الثانوية وفي معهد التمثيل، ولكنها كما يقول سمير فريد - تمكنت من تلقيح نفسها ثقافا واسعة وعميقة باللغتين الإنجليزية والفرنسية تزوجت فنان حمامة ثلاث مرات الأولى من المخرج عز الدين ذو الفقار وأنجبت ثمانية مثلت ثمانية عز الدين ذو الفقار فيلما ولكنها لم تستمر في التمثيل المرة الثانية من العنان عمر الشريف وأنجبت طارق عمل طارق عمر الشريف ممثلا في فيلم دكتور زيفاجو مع والده ولكنه لم يعمل هذا الطريق وتزوجت مرة ثالثة - واتزال - من الدكتور محمد عبد الوهاب وهو أحد كبار الأعلام المصريين وقد هاجرت فنان حمامة من مصر في الفترة من ١٩٦٥ إلى عام ١٩٧١ حيث عاشت في بيروت ثم في لندن.

في ١/٧/١٩٥١ كتب جليل البنداري تحت عنوان: سر طلاق فنان حمامة.

- التقت فنان حمامة وزوجها المخرج عز الدين ذو الفقار على أن يقرقا كصديقين، وترك عز الدين ذو الفقار الشقة بناء على رغبة زوجته ليقيم في مقلصة بالبحث - فاصد خبر، بجواز كوبري قصر النيل، وسوف تنقل فنان حمامة في الشقة هي وابنتها والمربية حتى تحل على شقة لها - ثم تزوجها زوجها، ومكثا اثنتي عشرة زوج فنان حمامة وعز الدين ذو الفقار، وقد حاول أصدقاؤه الزوجين - قبل الطلاق وبعد الطلاق - أن يصلحوا بينهما دون جدوى فقد ركدت فنان حمامة رأسها في هذه المرة، وأصررت على عدم الصلح

إلى أن يقول:  
- إن جميع أفلام فنان حمامة تنتهي دائما بزواجها من البطل. أما قصة حياتها هي فقد بدأت بالزواج وانتهت بالطلاق.  
يقول عز الدين ذو الفقار:

- أنا السيد  
ونقول فنان حمامة:  
- هو السيد

وفي ٢/٥/١٩٥٠ كتب علي اسديني في «الجملة»، تحت عنوان: «موقع فنان حمامة»، أن أريد من كل فنان أن يفسر مشيئة ويجعل معي مدوع فنان حمامة، ماذا فعلت فنان حمامة؟ إنها أحببت عمر الشريف بعد طلاق زوجها الأول، وتزوجت منه. وكان الشاب الذي أحبته مسيحيًا فأسلم ليتزوجها. فلا هي خرجت من دينها لتتزوج - ولا هي خرقت تقاليد الشرع فتركت زوجها بحضنة دينه القديم. وأنا لا أشتج زواج المسلم من مسيحي، ولا زواج المسيحية من مسلم. فإن هذا الزواج يخلق أطفالًا حائرين بين أسرة الأب وأسرة الأم. ويحدث ارتباطات لولاء الأطفال في المستقبل، فإذا كبر الطفل اضطرت الأبياء أن يدفع خاله في الأوامر الشافعي وغمه في كنيسة مارجرس، إن الانزعاج بأن هناك الفجوة بين ملك الجمهور هو كلام فارغ وبنفاق رخيص، فإن حياة كل إنسان هي ملكه الخاص، ولا يجوز أن يدخل فيها أحد. ولقد استعملت فنان حمامة هذا الحق ومن واجب كل الذين يسمونها أن يفرجوا اليوم مداديهم، ويجعلوها لها دموعها، ويقولوا لها: مبروك.

## اليوم من القصة:

تقدمت فنان إلى مسابقة فيلم يوم سعيد أمام محمد عبد الوهاب. ونجحت في هذه المسابقة، يقول محمد عبد الوهاب عنها:

- «شرفت وأنكلم معها كأنها امرأة عندما أربعون سنة، ولأن تعليمها فرسوسي، فقد كانت تتفوق حرف الرأ، بشكل يصعب معه أن تكون بنت الشيخ مصطفى حسب دورها في فيلم يوم سعيد، فقلت لها: لكن الرأ، عندك يا حبيبتني يا صغيرة،

شخصية. وهذا جزء من الخيال الشعبي وما ينسجه حول الفنان من قصص وحكايات، ربما كانت بعيدة عن الحقيقة. تحاول فنان أن تبدو شديدة التحفظ. ولكن ما إن يأخذها الكلام حتى تعود إلى طبيعتها. إنسانته بسيطة. وإنك فإن اللازمة التي ترددها كثيرا في كلامها هي: هذا الكلام ليس لكشفي. هذا الكلام لك بشكل خاص، أو أن تطلب مني تسديان ما قالته. وإن كانت لا تعرف أين بمجرد العودة إلى مكتبتي أو منزلي. بعد أي لقاء معها، أنون جميع ما سمعته منها.

## القلب صعباد وحيد:

حسب ما جاء في دليل الممثل العربي في سبعة القرن العشرين، من تأليف محمود قاسم ويعقوب وهي أنها مولودة في ١/٥/١٩٣١ واسمها فنان أحمد حمامة. وهي ابنة أحمد حمامة. قال محمد كريم عنه في مذكراته أنه

من مرة. ولها بعد تلقيب الأمر على وجوهه المختلفة أصبحت تميل إلى ذلك. تعرف كيف تصور حياتها الشخصية بعيدا عن فضول الآخرين. وتصد لهاهم من أجل أن يعرفوا عنها كل شيء، وأي شيء.



عندما تجلس مع فنان حمامة، تفصل بينك وبينها كلمة صغرى. تستيقظ فون الاستشعار بداخلها. تقول لك كشرط أولي أو كحد أدنى: مبني، إن اتكلم معك في أمر من أمور حياتي الشخصية. وتتل مثلقة طوال الوقت لهذا الشرط، فإن إنزلق فنان إلى الأمور الشخصية توقف فوراً. من قتها تسمى كوناها الشخصية عامة، تلوث الناس وراء أخبارها الشخصية. وإن لم يعرفوها، لا يد أن يطعن الكيرون منهم بتأليفها. كما لو كانوا يعرفونها بصفة

لهي معنية بصورتها الذهنية عند الجمهور عند الاستعداد لعمل فني جديد تصبح فترة الإعداد له أطول من وقت تنفيذها. تهتم بالتفاصيل الصغيرة، التي تصنع الصورة النهائية للعمل. تقرأ السيناريو بعناية فائقة. كثيراً ما تعمل ونبدل ونكتسب، دة فعية تبدأ من الشخصية التي ستؤديها، ويصل الأمر إلى أن تقول رأيها في الشخصيات التي توجد في العمل معها. وفي بعض الأحيان تشارك في اختيارهم. لا تتسرع في العمل، تأخذ وقتها في إقامة صداقة مع الشخصية التي ستعملها. تتعمقها، تدخل تحت جلدها، بفهم كبير من العمير والناة والمخاطبة لدرجة أنني أستطيع أن أؤكد من أذن د ديسمبر ٢٠٠٠ أن فنان حمامة ستحول - إن عاجلاً أو آجلاً - إلى - إلى الإخراج - هي لم تزل في ذلك لا تتسرع ولا تصريحا، ولكن محايدها عند تحويل العمل الذي تؤليه من كلمات على الورق إلى صوت وصورة. تؤكد أن هذه الفترة - لا رادونها أكثر



والمرحلة الثانية: هي فترة التكوين والبحث عن الذات من عام ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٨ وهي السنوات السبع التالية من عمرها الفني، وقدمت فيها أكثر من ثلاثين فيلماً. وفي هذه المرحلة لم تكن أراذلها في اختيار أدوارها كبيرة، إذ لم تكن قد تبلورت بعد. والمرحلة الثالثة: هي مرحلة النضج من عام ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٥، وإبداعها من هذه المرحلة لم تعد تقبل الأدوار المعروضة عليها، ولكنها بدأت تختار أدوارها بعناية، ولترسبها جيداً، معتمدة في الغالب على نصوص أدبية لأدباء مشهورين. ومثلت في هذه المرحلة عشرة أفلام، والمرحلة الرابعة من ١٩٧١-١٩٨٨ هي مرحلة أفلام الرسالة الاجتماعية. وهي المرحلة التي ركزت فيها على قضايا المرأة. وبعض أفلام هذه المرحلة مثل: «أريد حلاً» تسببت في حل الكثير من مشاكل المرأة المصرية. قد انطاعت فئات

للناس ما يحسون منه، وإن كان ذلك هو كلمة السر في أي نجاح في العمل، لا نجاح بدون جهد وإهتمام واجادة، وهو الدرس الذي أخذ نفسه به حتى الآن.

بدأت فلتان التمثيل قبل أن تتعلم في فيلم يوم سعيد عام ١٩٤٠، وكان عمرها تسع سنوات. وعندما تخرجت من معهد التمثيل سنة ١٩٤٧ كانت قد ملأت ١١ عاماً، إيماناً موهبة فنانة حماسة سبقت دراستها، تقول إن حجم الدور ليس مهماً ولكن لهم هو عمل الدور بشكل جيد أم لا.

### مشروع الصبر

في الكتب الثلاثة لكتوبة عنها، هناك ثلاثة مناهج للتعامل مع نتائجها الفني، سمير فريد يركز على تشبيهها للمرأة المصرية في كلفة مراحل حياتها، ابتداء من الطفلة، ثم الشابة والزوجة وهذا ما قدمته في أفلام الإربعينيات والخمسينيات وأخيراً، الأم والجدّة في أفلام السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، وبذلك تكون فنانة حماسة هي الفنانة الوحيدة التي جسدت حياة المرأة المصرية بدءاً من الطفلة وحتى الجدة. أما منير محمد إبراهيم، وعاطف فكتحي ورفيق نصر الله ويوسف شريف زق الله في كتاب «فئات حماسة...» خمسون عاماً من العطاء، فيمن التركز على تطور مراحلها الفنية، أولاً، مرحلة التكوين الفني وصقلها للوهبة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥١ وهي السنوات السبع الأولى من عمرها الفني، وكانت قد بلغت الخامسة عشرة من عمرها. وكانت قد التحقت بمدرسة الأميرة فولية بالجيزة بعد انتقالها وأسرتها للإقامة في القاهرة، في نفس الوقت الذي التحقت فيه بالدراسة في المعهد العالي للفن التمثيل العربي

وأمرت بعد أن تجاوزت مرحلة الطفولة أنها لا بد أن تحتفظ بشجاعتها أمام الكاميرا، أدركت مائت أن التمثيل مهنة مثل كل المهن، وأن التوفيق في هذه المهنة هو القدرة على الإهتمام بمسئق ما هو غير حقيقي، وإن ذلك يتم عن طريق المؤلف على الخيط الرابع بين الواقع والإيهام بالواقع. وهنا تكمن الحرفة أو الصنعة أو المهنة، أدى نجاح فنانة حماسة منذ الإربعينيات إلى تحولها إلى مدرسة غير مسبوقه في التمثيل السينمائي.



تقول فنانة حماسة عن التجربة الأولى في حياتها، التي تبقى دائماً وأبداً التجربة الأكثر أهمية:

« كانت مرحلة الطفولة، من أروع وأسعد فترات حياتي الفنية. كنت مصاحبة بالتمثيل والرعاية والاعتماد من جميع من كانوا في الاستديو، خاصة المخرج محمد كريم، والبطل محمد عبد الوهاب. محمد كريم خصني في الاستديو حجرة مستقلة، رغم أنها لم تكن تخصني سوى للممثلين الكبار، وفي هذه الحجرة كانت هناك لعب كاجرة كنت أجيرواها في أوقات الراحة بين التصوير، وكنت أقضي مع هذه اللعب أسعد أوقاتني، خلال العمل كنت أسمع الكلام جيداً وأعطى انتباهي للتعليمات التي تصدر من للمخرج محمد كريم، وأذكر أنني عندما كنت لأجيد العمل، كان الفنان محمد عبد الوهاب والمخرج محمد كريم يكافئني بلعبة جديدة أو قطعة حلوى. لقد تعلمت من هذه المرحلة أهمية وضرورة الاجتهاد في العمل، لابد أن يأخذ الإنسان عمله بأكبر قدر من الجدية. أريد أن يقدم الإنسان

غير معقولة تكتمين بها بالمثل الفرنسي أو ونحن لسنا فرنسيين، وبالفعل فإن هذه البيئة وهي في مثل هذه السن الصغيرة كانت تستطيع أن تملك قوتها وأعصابها وشهوها وإبرارها، إنها من يومها لها قيمة، وواضح من خططها أنها وصلت إلى القمة ليس من فراغ ولكن عن قوة كائنية أعطتها لها ربه، وبفضل مساعده زكي طليمات بعد ذلك، تخلصت من عيب في النطق، كانت تعاني من لشفة في حرف الراء، كانت تظلمه نغماً.

عن هذه اللحظة نفسها يقول المخرج محمد كريم:

« كان شوقها منقطع النظير، وكانت إلى جانب ذلك عملاقة في طاعتها التي فاهت الحدود، كانت تعمل من السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً دون أن يبدو عليها التعب. لقد أيقنت وأدرك الجميع أننا إزاء موهبة، فاضرت على عبد الوهاب أن يتعاهد معها أكثر من فيلم، ولكن للأسف مضى شهر وستة وستين بل سنوات كثيرة، ولم تظهر الطفلة العنبرية فنانة في السينما، لقد مضت هذه الطفولة الرائعة دون أن يستغلها أحد، مضت ككثير جميل سريع الظهور سريع الاختفاء، فبرغم النجاح الرابع الذي أحرزته في دور أنيسة لم يعن أحد بإظهارها حتى عبد الوهاب التي لم تعاد معها. كان يجب أن تظهر لفئات الطفلة عشرات الأفلام، لقد كانت هذه الطفلة صاحبة عنقريه تمثيلية.

فانت نفسها، تقول بعد ذلك بسنوات طويلة، في منتصف الثمانينيات، عن هذه التجربة « التمثيل بالتسليم في هواي، والإنسان لا يتحول عن هوايته إلى جديتها، لأن يهوى الرسم أو صيد الأسماك يظل على هوايته يقول سمير فريد من فئات الطفلة، « لقد اكتسبت فئات حماسة منذ دورها السينمائي الأول عدم الخوف من الكاميرا،





**أستطيع أن أؤكد من الآن ،ديسمبر ٢٠٠٠، أن هاتين حمامة ستجولن- إن عاجلاً أو آجلاً وألا قد عاجلاً- إلى الإخراج.**  
**هي لم تقبل في ذلك لا تلميهاً ولا تصريحاً. ولكن معاشتها عند تحويل العمل الذي تؤديه من كلمات على السوق- إلى صوت وصورة. تؤكد أن هذه الفكرة قد راودتها أكثر من مرة**



## الزوج مخرجاً المخرج زوجاً

يلوح الفنان السينمائي طارق الشناوي في كتابه، «مع الذين ذو القلار شاعر السينما: يوم من الذين ذو القلار بالفريق الواحد». وقد قال ذلك نظرياً ويطرقه عملياً. ولكنه رغم إيمانه بذلك، فإنه يقول في نفس الوقت: «إن فائز حمامة هي رقم واحد بين كل نجوم السينما المصرية. وأنه لا توجد في الترتيب من تحقّق المركز الثاني أو الثالث. ونبدأ العدد من المركز الحادي عشر. رأي غريب فيه شيء من اعتراف في الحب والافتقار انحنى الخرس الذي ربما يقلّم مواعيد أخرى. إلا أنني في الفن أؤمن بحرفه هذه المشروع في تلك القناعة. حيث أن فائز التي تشعر من افقاده التي يطرحها على السوق وأنا أشعر أن عزّي تعامله مع فائز يشبه تعامل الأخوين رحباني مع فيروز. وفائزها للمنج والصب. كذلك فائز بالنسبة لعز الدين ذو القلار فهو يكتب ويخترع القصة السينمائية وتبدو فيها فائز هي الملهمة الفنية التي يتفعل فيها فائز. وهي المنبع والصبى لإفكاره وإحساسه ولهذا كانت لها تسعة أفلام إلى حوالي ٢٠٠٠ من الأفلام. وفائز على الجادب الآخر كانت ترى نفسها أيضاً في سيماء عز الدين ذو القلار. ولهذا فإن الطلاق بينهما لم يؤد إلى أن ينطلق كل منهما بعيداً عن الآخر. حيث يعاودان اللقاء بعد ثلاث سنوات من الانفصال في فيلم طريق الأمل عام ١٩٥٧. ثم بين الأطلال عام ١٩٥٩. ثم نهري الحب عام ١٩٦٠. كانت فائز حمامة بالنسبة لعز الدين ذو القلار مثل عازف الكمان السولويست في فرقة أوركسترا. العازف ماهر. الموسيقي موحية. والمليسترو يمسحان في العازف المنفرد السولويست المبدع. وأيضاً العازف لا يبدع إلا

اقتربنا أكثر من بعضها. على الأقل كان الإعجاب بعملها من ناحية. أما هي فكانت تعمل مع كثير من المخرجين غيري. ثم حدثت «الكتكة» التي تربطها معاً في فيلم لنح الخلود ١٩٥٢. وعندما حدثت هذه «الكتكة»، شعر كل من الطرفين بالراحة في العمل مع الآخر وبدأت الفكر أن تكون بطلة الأفلام. وبدأت هي تفكر في أن تكون مخرج الأفلامها. أما الذي أحدث هذه «الكتكة» في لنح الخلود فقد كانت كلمة السسر فيها هي الألاء. أداه فائز في دور فتاة تعيش مع اختها. وهي مريضة بالقلب وتلق في حب فريد الأعراس. دور من نوع سندريلا قاصر على الوصول إلى الناس بفصل أداه فائز. ومن ألقها أصبحت بدون تعمد كلما أقرأ رواية أو أفكر في عمل فيلم. أجد نفسي أفكر في فائز حمامة باعتبارها بطلة الفيلم.

## التسليم والتسليم

يفرّح صلاح أبو سيف لخمس خباياي العارق بين النجم والممثل. فالتسليم مع صاحب الاسم الكبير الذي يفترض به أن يخرج المخرج إلى السينما. بمعنى أن النجم تصنع من أجله. قد يكون النجم ممثلاً جيداً وقد يكون ممثلاً غير جيد. ومع هذا فإن شهرته وحج الناس له، يدفعان المخرجين إلى الاستعانة به. فكانت الأفلام مصنوعة له وإطلاقاً منه. أما الممثل فهو الذي بإمكانه أن يتسهم في دور. وإحساسه يتحول الممثل إلى نجم بسبب شهرته واسمه الكبيرين. مما قد يجعل منه اسم شبك ذاك. لكن الكثير من الممثلين ليسوا نجومًا. والكثير من النجوم ليسوا ممثلين وينتقل صلاح أبو سيف إلى فائز حمامة الممثلة التي أصبحت شهرة: «من أدوات التصوير لدى فائز حمامة وجهها لم صيغة نظرها

حجته الشخصية إنساناً جيداً رائعاً. فرغم طلاقه من فائز. إلا أن علاقتهما استمرت جيدة جداً بعد الطلاق على المستوى العرضي. وعلى المستوى الفني أيضاً. فعندما عرض عليها بطولة فيلم بين الأطلال، وافقت على الفور. بل وسعدت بالعمل معه. وعونتها على الفخاء هي وعماد حمدي في منزلها وتمت لفراة السيناريو عندها. لقد كان يجد متعة كبيرة في العمل مع فائز. فهي كانت طيبة جداً وكل ما كان عز بيرده كان يحده لديها. ولم يكن هذا التسامح بين من وهاتين فقط. بل كان مع عمر الشريف أيضاً. فقد أخرج لهما فيلم نهر الحب وأيضاً تم التحضير لفيلم وقرارة السيناريو في منزلنا. وإنشاء التصوير كان عز يطلب منها إعادة بعض المشاهد العاطفية لتكون أكثر عمقاً واللباقة لتكون أكثر سخونة ولا يستطيع أحد أن يلقى بالكل على أحدهما. ويشب له خطأ فشل حينئذ لهما الزوجية. فقد كان اختلاف شخصيتهما هو السبب. فقد كان عز إنساناً بوهيمياً. يفعل كل ما يروق له في نظام. ولم تحتفل فائز. ولهذا كانت تتعامل على نفسها

## شلاية المسارة

بركات هو المخرج الأبرز إلى فائز حمامة. من بين الأفلام التي أخرجها لها. قدم معها أهم ثلاثية سينمائية عن المرأة المصرية: بداء التروان والباب المفتوح والحرام. يقول بركات لهماش النحاس في كتابه عنه: «فائز تعد أكثر بطلاة قدمت إلى الأفلام أول فيلم اشتركت معي في كان الهام ١٩٤٦. دور صغير لمدة يومين أو ثلاثة. ولم يكن ذلك كافياً لإقامة المعرفة بيننا. إبداعات المعرفة في فيلم العقاب ١٩٤٨. وأن لم تدم من خلال عملها الكبير». «الكتكة» التي تربط ممثلاً بمخرج. لكن

مع مايسترو جيد من قيادة الفريق ويعرف بالضبط الجمال الموسيقية التي يحلق بها إبداعاً هذا العازف. لهذا كانت بينهما علاقة تبادلية منصفاً من خلالها الأفلام المختلفة. معك التوقيع: في فيلم طريق الأمل يسند عز إلى فائز حمامة دور امرأة أتبع جسدها أن يدفع. حتى ولو كانت شخصية المومس الفاضلة - فإن هذا ولا شك يمثل جرأة لا تتصور إلا لأخرج له وزن ورؤية عز الدين ذو القلار. إن الجمهور يصنع كبار فائز. خاصة الذين يعتقدون في مصاف الملائكة الذين لا يخطئون. وفائز حمامة على قصة الفئذات الثلاثي ترتبط بها يقرب من التفسير الشخصي لدى جمهورها. على الجانب الآخر فإن الفنان نفسه يفكر ألف مرة قبل أن يحطم هذه الصورة الشائعة. ولكن عز الدين ذو القلار غامر وشرح فائز لنح الدور. وفائز أيضاً لم تفسد الفول وقررت أن تتحدى كل هذه المحال على هذا النوع الشلاية. هي فيلم «بين الأطلال» مشهد تبدو فيه عيلورية فائز حمامة في الألاء وهي على السريتر تستمع إلى حديث زوجية خالد عن عماد حمدي وكيف استطاعت فائز أن تقدم تصوير الهندسة تخبرها عن عماد حمدي وهي التي ينبغي أن تبدو محايدة. وإن يظهرها لا تسهمه هي هندسة إنسان محايلاً لا يعرفها شيئاً.



لم يكن عز يفضل فيلماً معيناً من الأفلام على الأفلام الأخرى. ولكنه كان يحب مشهراً من فيلم نهر الحب لفائز حمامة. وكانت ترى فيه إبتهاً فظنن في وتيجي. فكان إذا ما رأى هذا المشهد يقول العرض ويبيكي. وكان عز في





للمعلة التهمة التي استضافت أن تحتفظ بمكانة المعلة الأولى منذ أواخر الأربعينيات وحتى الآن.

يقول عنها الناقد السينمائي الفنان كمال رمزي في كتابه: « نجوم السينما المصرية: الجهر والافتحاف »: « فنانة فوق العادة تغزل وكاتها لا تغزل، تستعير على عواطفها لئلا داخلية رهيبة، تستعير على منح الكلمات التمثيل، وهدرة صوتهما على منح الكلمات معانيها، إنها الشروة الهائلة التي لم تبتد شرراً كبيراً فيما لا يفيد، يتجلى سحر فنانة حماة في أن تجعل المشاهد يرى ويلبس ويقنعهم انفعالها الحقيقي، الذي وإن كان لا يظهر على الشاشة إلا أن الاستاذة الفنانة تستمتع أن تنقله بجدارة ووضوح إلى المشاهدين، وهذا حليقة الجيد الفني، لديها احساس مرفه بالنسوة تجاه نفسها واسمها وإحتاها فإن لا تما القليل بقها لحسب ولكنها تصنع على الفيلم ذاته.

يقول المؤرخ السينمائي احمد كامل رمسي: إن فنان في حياتها الخاصة ليست تلك الفنانة السمكية المظلومة التي تظهر على الشاشة في معظم الافلام، إنها فنانة عالة في الحقيقة والواقع، لا تدفع في تصرفات إرادة من حديد ونظرة كاملة، إذا ارادت شيئا حلقته، دون حساب المصالح والأولويات، لعبت دور حماة السلام بين الطبقات، وإن كان يؤخذ عليها تخصيص الأول لها، أو التفتيش من أجلها وحسب، وموقفها المتجني على ثورة يوليوي فاطمة، وموقفها المتجني على الجماعير، التي تقدمها كطعان بلاغل.

يقول عنها سمير فراد: حين نقول لثان العربية تعني فنانة حماة، ونحن نقول لثان حماة تعني السينما العربية، فهي أكبر

للحروف وعده ميرة كبرى عندها إذ تمتلك القدرة على أداء أدوار مثق العبد، والبنيت المخلصة، وعندها يكافئها أداء الأرواح التي تنساب مع سننها وشكلها وجسمها، لأنها رقيقة في الحجم، والأكثر من ذلك أن مدنها الخفية، ولأنسني أن فنان أدات التوميدى مثل الأستاذة فاطمة، ثم إن فنان لها احسن الإخلاق في الوسط الفني المصري، فهي إنسانة تحترم عملها خلافاً عن الفنانة الأخريات، تخترم عوايد الشغل، تعطي العمل مع المخرج، تنظر إلى الديكور مثلاً من وجهة نظر تصانية، إنها تعصتي بالاشياء الأخرى وبالأخريين، كذلك عالة فنان بالطعام الغنى والرفه من نجوميتها، المتخشدة، فهي بعيدة عن التثور والتشجج، شاتي إلى البلاتوه قبل الذين حافظوا لدورها، علاقتها بالعمال وأصغر الساعدين عالة جيدة لا تتعالي عليهم، تحترم نفسها وتحترم الآخرين، تهزج معهم ولكن في حدود اللياقة، إنها إنسانة يحب أي شخرا العمل معها، إلا أنها تكل امرأة، لا تحب أن تكون بجانبها امرأة أجمل منها، فنان إنسانة جميلة، امرأة عصرية، وحيثما تكون جسداتها امرأة أجمل عصرية، تتورق، إن الذي ترك بصماته الفنية على فنان في شخصيتها البتت الفاتية هو حسن الإقام، لأنه عمل معها في العديد من الافلام، وكلها على ذات النمط، ولذلك احبها الجمهور المصري والسوري، فربحت دائما في أن تستعير على ذلك النمط، بينما هي معكلة لا كنجمة بإمكانها أداء أي دور، والجمهور شيع من أدوار البنت لسكنية.

## صورة كذا كسرية

في سنة ١٩٩٦ وفي إطار الاحتفالات بمرور قرن على السينما المصرية، قام مهرجان القاهرة السينمائي الدولي بعقد استفتاء خدم، أشرف عليه أحمد رائف بهجت، من أهم الإعلام في تاريخ السينما المصرية، وقد جاءت الافلام التي حازت على أعلى أصوات هي المرتبة الأولى، تلتها سعاد حسني مباشرة، مع أنه لم يزل فيلم واحد استمر على بس في هذا الاستفتاء.

يقول شاور عمادي في دراسة ملهقة بهذا الاستفتاء: « كانت فنانة حماة صاحبة أعلى رصيد في الافلام كمفلة ونجمة وهي نتيجة سادفة ومرحة أيضاً، جعلتها أهم نجوم في تاريخ السينما المصرية، فجعلتها سيدة الشاشة العربية، وقد جاءت فنانة حماة بأسلوب جديد في الأداء يعتمد على التلقائية والبساطة والقدرة على التعبير دون افتعال، والصدق في تقمص الشخصيات المختلفة، هذا الصدق هو الذي جعل شخصياتها اقلامها تلقى كثيراً من المتعاطف، وكان حضورها الطافي على الشاشة سيبلها على تحقيق حالة فريدة

الدكتور، طه حسين لم يقابلته، ولما لم يسخرية واستهزاء، « وأنت تقدرى تفهمى دور أمية ؟! قالت فانت: « فمته كويس

وفن طه حسين رأسه سفيرة، وخرجت فانت من عنده طه حسين باكية مبرحة مطعونة، وراحت تقول لمتج الفيلم: لماذا اخبرتموني لهذه الجبهة؟ وأتم تصوير الفيلم، وعرض على عرض خاص، حضره وتكون طه حسين وكرينيه وابنه وابنته، واستهسى العرض، ووجعت فانت طه حسين بقول لها: « إن خياني وأنا اكذب صورة أمية ؟! في

اللقبة هو بالصديق ما فعلته أنت، وخرجت فانت حماة وهي أسعد امرأة في العالم.

سؤال من الفنان: طه حسين لم يكن يرى قول استمع إلى الحوار فقط ؟! ولربته لم تكن تعرف العربية، رغم محبتها مع عبد الله العربي، فهل شاهدت صورته فقط؟ وبنته مؤنس عاش كل حياته في فرنسا، فهل كان في زيارة لخصر عرض الفيلم ؟!

سئل مصطفى عزيز، « ولكن أشهر الغرب في حياة فانت إنها لم تتأثر في حياتها الخاصة بأدوارها السينمائية، فأرادت وهي في السادسة عشرة على أهلها، وخاضت معركة مثالته أجل أن لا تخدأ الرجل الذي تتزوج وأصطفت بإسرتها، وقالت يومها كلمتها المشهورة: « إنني أقيت على مضغني أن خشتاروا على ملاسبي، ولكني أرغش أن خشتاروا لي زوجي، واختارت زوجها برغم معارضة كل أهلها، ولكن هذا الزواج فشل، فظهر أن أهلها كانوا على حق، كانت أميتها أن تزوج أن تهرق من والدتها الشديدة القوية الشخصية، التي ترى أن وفاء البنت في النافذة قلة أب تستسحب حرقها، رافقتها وأن تارها بضع دقائق من العودة إلى بيتها عمل شاتن لا يبق، وعندما دخلت الجنة، فوجعت أنها دخلت عنوان الخطأ، ليست ضد هي الجنة التي كانت تحمل بها.

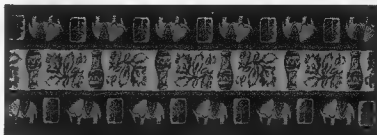
## سؤال النسيابة

والآن، كيف تكرم مصر فانت حماة في حياتها؟ لقد حصلت أم كلثوم على جائزة الدولة بعد أن تمثال عبد الناصر، عندما قال المسؤلون عن الجوائز أن أم كلثوم مؤدية وليست مبدعة، فلم لا تحصل فانت حماة على جائزة ميسارك للفنون، أو جائزة الدولة التقديرية للفنون، وخاصة أن حصول الفنان محمود مرسى عليها في العام الماضي قد فتح الباب لذلك، فالت إلى فانت أن يعدها عن المسؤلون وعدم الاتصال بهم والظهور معهم في المناسبات العامة، بجنتها بعيدة عن هذه الجوائز، وتكفيها جائزة حب الناس لها. ■





ماك على الإنترنت [www.maccarpet.com](http://www.maccarpet.com)



## مراكز بيع بواقى التصدير والرواك

مودرن مشايات

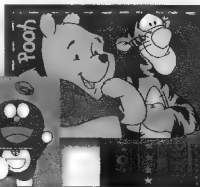
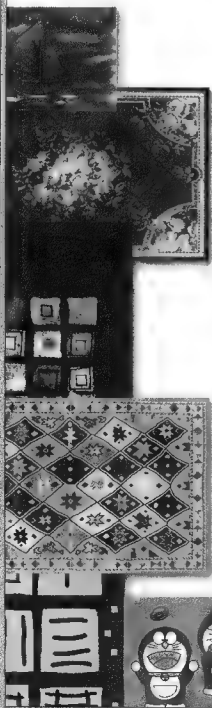
شرقى قطع موكيت

دواسات حمام سجاد أطفال

### الفرع

مصر الجديدة: ١٢ ش محمد المهدي . نيل الرواد أرسى الجوف  
ت ٤١٤٧١٢  
مدينة نصر: أرض المعارض بوابة (٩) شارع النصر ت. ٤٠١٦٣٣  
الزيتون: ١٢ ش مهن شمس . ميدان حلمية الزيتون ت. ٤١١٧١٢٧  
مهن شمس: ٢١ ش أحمد هرايم من أحمد عصمت أمام مزرعة  
الهرقاء لاهول  
الشرابية ١٠ شارع الأناضول  
البرج ش لثة السلطوية عمارة سعيد شاهين  
المرغوب: ميدان المرغوب عمارة شمس  
شبرا ١٨ ش يوسف الفرج «دوران شبرا»  
نابها: ١٢ ش مهابا بولاق الدكتور  
الراوية للصمراء: ٦ شارع مشية الجمل عمارة المدة أمام مصنع العلف  
المرمرية: ٢٢ ش عبدالرحمن مظهر  
إمبابة: ٢٢ ش المدة  
الهرم ١٤٩ أول ش الملك فوسل  
مصر القديمة ٦ ش أبو الهيثم  
السماري: ٢٢ طريق مصر طوارى البراهى محطة المطلمة ت. ٥٢٤٠٨٢  
حداثة القبة: ١٤٥ ش مصر وطوارى . محطة الجراج ت. ١٠٧/١١٥٥١-٧  
القلعة ١ ش سوق السلاح  
الفاطمية الجديدة: ٢٥ ش أبو الهيثم متفرع من ش ١  
شبين القناطر ٩ ش الملك  
دكرسى ش مجلس المدينة عمارة التجمي  
المنوم ش ٢١ بوية عرابى بك سابقا  
دمدق ش الشيخ عبدالكريم  
مينت غمر ش ١ ش سيد  
سوهاج: ٢١ ش النهضة بطوارى ممر لطفى  
طوارى ٢٧ ش أحمد بدوي من رايلى  
المنقلة شارع عبدالمصطفى رهاى عمارة الدكتور الخديوى  
فيصل النصارى: ٢٥٧ شارع الملك فيصل . محطة التماوى . اليوم  
٢٨٢٢-٢٣  
طماس ش طريق العربة . خلف المحفكة  
الناشر من رمضان . السى الأول  
الناشر من رمضان: الجاوي ٩  
الناشر من رمضان: دوار الطائر . طريق الإسماعيلية  
مكرم عبده: ٢٥ ش أبو دود الطاهرى . مكرم عبده  
الأقصر ش مدرسة الصناع . السوق التجارى  
دوا السلام شارع التجمي أمام مجمع المدارس

السبعين: ٢ شارع النيل الأيسر . أحمد هرايم  
الباشية: ١٥ ش الباشية . ميدان الجيش  
بهنى: ٢٢٩ ش ١٥ مايو أمام مهن شبرا الضمة  
نابها ش الكوبري  
السويس: ٦١ شارع الجيش  
الحلة الكبرى ش شكري القوسى من ش الجيش  
مططا: ٨٧ ش سعد الدين من ش النحاس  
المنصورة ش الجمهورية أمام كلية العلوم  
كفر الشيخ: ١ ش محمد محمد التومراوى الشينانى  
الإسكندرية: ٥٠ ش مصطفى كامل أمام كلية التربية الزايمية . فنتج  
ت ٤١٤٧٧٧  
زما: برج زما بالإسكندرية  
شى سويف: ٦٥ ش أرض المحللج  
ش ١٥ ش كوبري دلتة عمارة أحمد عامر  
شبا الجديدة: ش جودي متفرع من ش الأقصر سوق ليبيا أمام  
البرصة الجديدة  
الزقازيق ش المدينة عمارة التجمي الكبيرة المنتزة  
أسوان: مهمي الجبلاوى متفرع من شارع قاضي الحدادى  
الإسماعيلية ٧٦ شارع السكة الحديد  
شبين الكوم: ٢ شارع صلاح الدين أبو الخير من شارع الجلاء البصرى  
أسوط: ١٢ ش المدينة المنورة الزمراء  
دمياط: ش جانية سور أمام قصر الأقي  
كفر الدوار: ١ ش أحمد هرايم  
أبو صير: ٢٠ ش التصدير ممر العرايز  
السيلاب: ٦ الجيش المصري  
كوم حماد ش مستشفى الموائسة خلف مجلس المدينة  
شبا ٢١ ش الجمهورية  
كفر الزيات ش الجيش أمام نادى المعلمين  
الغزى ش ٢٢ بوية أمام بنك القاهرة  
فارس ش عمارة التجمي خلف المحفكة  
دمدق ش الجيش أمام ممر لطفى  
شبين ش الجيش ملك خالد نكار  
بورسعيد ش الأمان وشمار ١٠٠ (بنا) سابقا  
موف ٨ ش ثروة الحاشية طريق التامين المصنعي  
شى سويف الجديد ٢٦ شارع أحمد عرابى  
مسند الكبر سنتر السلاوى . شارع التحرير



# عروض موجزة

## كتابه عربيه

جوارح ممدودى التراث  
عصام مدحو  
مهرت رياض الرئيس للنشر ٢٠٠٠  
٢١٤ صفحة ٢٨ جديدا



يحاور المؤلف أعلامًا في تراثنا القلبي والأدبي والفلسفي، وهو حوار متوسم بطبيعة الحال مع السهروردي وابن الخلف والجبلخي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري وابن رشد وابن خلدون ورؤساء استغلاوي وعبد الرحمن الكواكبي، وقد استفاد المؤلف من موهبته المسرحية في الاسترجاع الرومي، وتوليف الأحداث بما يمكنه من إبراز فكرته، وبما لا يخل بالفكر الشخصية التاريخية في أن معًا فهو يسأل مثلاً أين للفلك؟ إن التفتك سيدى، إن ما شحح خضعت على التمدد بغير نقة كوك، عندما تذكر الدين في كتابك لا ترفقه بالإسلام؟

فجيبه ابن الخلف: أصل الأمر في الدين أن نتخذ الإيمان على الصواب، والمؤمن يشيء من الأشياء، وإن كان سخرًا خير من لا يؤمن بشيء ولا يرجو معادًا.

فيسال: لكنت تؤمن بالله الواحد فجببه: إن كل ما في الدنيا يهدى إلى الله... إلخ. على هذا الخوال تسير أحاديثه الافتراضية، فهو يذهب إلى الجبلخي محملاً بأسئلته التي تبين كثيراً من شخصية الجبلخي وأدبه بل وحياة مفاهيمه ونطق الحكم والسياسة في عصره، فيسأله مثلاً عن الأدب عند العرب، فيجيبه الجبلخي: عند العرب الإجماع بديع والجمال، وكسائه إلهام، وليست هناك معصاة ولا مكاهة، ولا إجماع لغوي ولا استعانة، وهم أعمى لا يشعرون وطوبعون لا يتكلمون عمداً. ويحير يسأل الفيلسوف المعري: أيا حيان التوحيدي، عن حياته، نسبه أبو حيان: كان حبيباً هرمًا من الشعر، استولى على الحرف وتغنى منى نكد أرمي، وأزانت السفر من بلد إلى بلد، وخدلى الولف على باب وباب، إلى الحكمة البائسة والبخله التافيه والفصيح المرقع، إلى منى الماد بالجنيز والزنيو، من داله مع الخلق وتغير، الله الله في أمره، قد استعيت غريب الحال، غريب للفت، غريب للنكتة، غريب بالوجه، ملازم للحرية.

محتماً الآن، يائساً من جمع من ترى، شمس العمر على شفا، الحياة إلى نضوب، أما السهروردي الذي شاء حظه انفتح من يفتخار بديعة حلب لإقامته وأدعته بوصيلة باقة إلى القريب بين الأديان، في أسوأ أفسر الشروب الصليبية، وفي مدينة عرفت بتعصمها الديني الشديد، وبعدما يجسرو المؤلف حواراً مع السهروردي متعمداً محاكمة أفكاره، ينهي بملاحظته عن مسئولية صلاح الدين الأيوبي، القائد العربي الأشهر، في قتل السهروردي، ويشير إلى أن مدينة حلب التي قتلها السهروردي، هي التي تحتفظ اليوم بذكره وتحتفظ مقامه وإن كتب على حي يحمل اسمه «بوابة السهروردي» وهم يعنون في الحقيقة بوابة السهروردي.

□ □ □

سالمون العيسى، ٨٠ عاماً من العلم والأمل مجموعته بأدبتي بشارف د عبد العزيز الفالح منشور، منشور، دار الرائي، ٢٠٠٠ ١٤ صفحة



يجمع الكتاب بين فقهه دراسات لأكثر من ٣٥ عاماً وأكاديمياً، في إبداع الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى، الذي يعد أحد رواد القصيدة العربية المعاصرة، والذي تمتد تجربته لنحو سكين عا، وهي فترة شبت تحولات عديدة، سياسية واجتماعية وأدبية، كان العيسى شاهداً عليها، وقد عكسها شعره وتناولها في قصائده، ولما درسوه أنه ما زال مثابراً على إيمانه بقضية أمته الواحدة دون أن يتناهيه اليأس ما أصابها من كريات، بل توجه إلى المستقبل، فأشاد لأطفال تصالط بسيرة يعفها أن تغنى وتعلمهم في ثقافته محبة معنى الوحدة ووحدة الأوطان.

ويشير أحد المشاركين في الكتاب أن سليمان العيسى معنى ما بني وقائع الحياة التي أرمها أن تكون مائدة الضام، وبين المصنات الرقيقة التي توخاها لتتألف لخياله الخصب.

عدة القاهرة ويخدها وصنعه ودمشق وتونس وغيرها، فالأرض العربية كلها عنده تسمع وأحد من الذكريات والشعر والحب والفرح. والذي غير العيسى الذي احتفل بهاءه المأزقة منذ شهر قاتل، أنه - كما يقول أحد الباحثين المشاركين - غلب العبارة إنساني النزعة، لم يعاد التجديد أو يبتعد عنه، بل هو في عديد من قصائده يتسوق على الشعراء المجددين «الحدادين» بون أن يلبس أصالته، واستمر العيسى حتى اليوم يكتب الشعر العمودي إلى جانب الشعر الحر.

□ □ □

أمتا بين قريدين يوسف القرشاي القاهرة، دار الشرق، ٢٠٠٠ ٢٦٥ صفحة



استقبل المسلمون، كما استقبل العالم الفية جديدة، كما عنيهم أن يتوغلوا ليفهموا حالهم في الألفية الخامسة، ويتساءلوا ما سيكون عليه حالهم في الألفية الجديدة المقبلة، وهو ذو باع طويل وصوت مسموح في مجال الفقه والفكر الإسلامي، سعى إلى الإجابة عن السؤالين: وبدأ بتعليم القرن الماضي، ورثه في الألفيات العلمية الكبرى، وإقرار الحقوق والحريات (مع التأكيد على إدراجها للعايير فيما يتصل بهذه الحقوق والحريات، من هو من النهار القديم الإيمان والأخلاق، لماشوية في قديمها - كما يقول المؤلف - في تفرغ الحياة من الإيمان بالله، واعتبار الإنسان أفون الشعوب، أما الليبرالية فإن من تعبد الله صراحة فإنها لا تعترف له بمكان في نظامها القوي الحالي، وأخيراً، فقد أثار المؤلف من قرن الحروب والدماء، إن قامت فيه حربان عظيمتان، وتفتتت في نهايته حروب عرقية ودينية ومذهبية، جمعت في طريقها مئات الألاف.

فماذا عن إنجازات أمتنا العربية والإسلامية في القرن العشرين؟ يرى المؤلف أنها خسران، أولها للحر من الاستعمار، غير أن هذا التحول لم يزل ناصحاً، إذ سارت أمتنا أماماً لتتقدم وترجع تدوير الحكام الشيوعيين، كما أن فلسطين والقدس، ممازجت بين ثقافة الفصل الصهيوني، فضلاً عن أن رحيل

الاستعمار العسكري لم يمن نهاية الاستعمار، لقد بقي الاستعمار الاقتصادي والفكري وغيره.

وكان انتشار التعليم هو ثاني إنجازاتنا، غير أن هذا الانتشار عابه الكثير مما جعل كثره طغياً بلا عجين، فلم تعرف كيفية توليف قدراتها البشرية والاستفادة من عقلها النافذة، بل والشخص من بعض مسالط ظلمنا التعليمي.

وثالث إنجازاتنا ظهور حركات التجديد والإحياء الإسلامي، وإن عاب المؤلف على بعضها لجوءها إلى العنف وإزالة الدماء لتحقيق أهدافها، واشغالها بصراعات جانبية تؤثر على تماسكها في أمور ريعية بغيضتها.

أما رابع هذه الإنجازات فهو مقاومة الشرب والفسر القفري، وخصر الاستعمار عن مسخ مجتمعاتنا الإسلامية وتحولها إلى كيانات شاملة تابعة له.

وخامس هذه الإنجازات هو انضاح الصورة الإسلامية، ولا كان المؤلف قد عد خمسة إنجازات، فقد رأى مثليها من الإخفاقات، وهي: ضاع الخلافة والهزيمة أمام المشروع الصهيوني والإخفاق في مسيرة التقدم والتنمية والفشل في مجال التنمية والإخفاق في مجال الشورى والحريات وإلى توحيد الأمة وإلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفي مجال تصديا المرأة، وفي مجبات التبرية الإيمانية والأخلاقية للأمة الإسلامية.

ويطرح المؤلف أخيراً التحدي الذي تواجه الأمة الإسلامية على عتبات قرن جديد وهي: تحدى الهوية والاربعية والتلاحق والتنمية والعدالة وحقوق المرأة والاستبداد والتحدى الصهيوني والتحدى الأخلاقي وتمدنيات التجزئة وأخيراً تحدى العولمة.

□ □ □

كيف لا أيكى آيس مسور القاهرة، نعمة مصر، ٢٠٠٠ ٣٢٠ صفحة ١٥ جديدا



يرى المؤلف ضياع بهجة الحياة وفيه الصديق وقوة العافية وعيب الحبيب، وكما يقول فإن من يعرف الكيف، لم يعرف المالك، بعض من تجارب المؤلف وحمايا من حياته، أضاع فيها حباً حقيقياً لأنه شغل



# عروض موجزة

ذاته بإنشائه، أملاً في تحقيق حلمه الكبير، أن يصبح شيئاً في المجال الذي اختاره- الكتابة والادب، إلى أن يتحقق هذا الحلم، فسلا وقت للنسب أو الزواج أو أي شيء آخر يمكن أن يوقع أو يؤجل تحقيق الحلم، وكانت النتيجة أن حين تحقق الحلم أو يحق، كان الحب راجح، ولم يعد هناك إلا الأمل القليل، أو الأمل البليل.

كان المؤلف يبحث في كل حب عن دلالة أديبة، عن تجربة تلمر موهبته، وتحول من جسد وقلب وعقل، إلى سطور واتجاه تحقيق هدفه.

نجدنا المؤلف عن طبعه، وهو «مهاج» و«منايدة» و«فرائيديكا»، كما نجدنا عن شخصيته وصفيها أسين وعلى أسين ويوسف السباعي، ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم، جميعهم من أحب، وجميعهم مات، وموتهم ضاقت الدنيا في وجه المؤلف، وصارت الوحدة كابوساً يورق مضجعه.

لكن ثمة مسلمات أخرى تشمل موضوعات مختلفة ما اعاد المؤلف على كتابته بالصحف، ما يطبع الخط الذي يجمع- أو يبدونه إلى- يجمع- للكتاب عبر صفحاته الأولى، لأن ما نلغز من المقدمة، وصحفت قلبه بعدها، حتى تدهمت قلمات في السياسة والفن والادب وغرّش الكتب والتعليق على الأحداث وأبشون السامية، وما علاقة هذا كله بعنوان الكتاب وقدمته، وما الذي يجمع بين موضوعاته التي يطرأ عليها بعد صفحات قليلة، حتى ابشعر القارئ- أن

ثمة خطأ في التتبع، «محشر» موضوعات كتاب إلى جانب مقالات أخرى لاتحضره.

□ □ □

## التراث الشعبي في الرواية الجزائرية

بلحيا الطاهر  
الجزائر منشورات التيجين / الجاحظية،  
٢٠٠٠، ٢٢٢ صفحة، ٢٢٢ ديناراً



هذا الكتاب، يركز أساساً على توثيق التراث الشعبي في النصوص الأدبية الجزائرية عبر ثلاثة فصول يقدم فيها نماذج تطبيقية لعروضه النظرية، فيرس في الفصل الأول المثل الشعبي وحقائقه توطئته في النص الأدبي من خلال تحليل روايات «زمن الشروق» للحبيب السلاحي، و«ربيع الجنوب» للحبيب بن موهلة، و«المرآة للظاهر» و«المرآة الخفية» للامعالي استخدمت ما يفر من سبعين مثلاً شعبياً، اشغلت فيها أسباب

بطل خرافي يقيم سبياً يحمي به مجتمعه من التفتت والانحلال.

أما في الفصل الثالث، فقد درس المؤلف استخدام الأغنية الشعبية في الرواية الجزائرية عبر ثلاثة نماذج، وخص منها إلى أن الأغنية الشعبية ساعدت الروائي على تشكيل معمار نصه حداثياً، وعكست في الوقت نفسه ما تحمله الذاكرة المسيجة من معتقدات، فهذه الذاكرة هي التي أنتجت الأغنية وأشاعتها

□ □ □

## القتال والجهود

مصن عبدة  
الفاخرة دار الفكر العربي، ٢٠٠٠، ٢٦٠ صفحات، ٢٥ جنيهاً



ثمة مشكلة لا يمكن إغفالها بين الفن وجمهوره رادت البؤسة، ولقدت وسائل التعبير الفني قدرتها على التواصل مع

الاستعالي حسب غايته كل كاتب، ويشير مثلاً إلى استخدام المثل الشعبي وما يفي في الوادي غير الجاهل، في رواية الظاهر وطاهر، فالل، ثلاث عشرة مرة، وفي كل مرة أعطى دالة مغايرة، وإن انحطت في كل الأحوال بل لرافقه الجميع من الشعب لفظ هو الوريث الأجدد لجميع من التمسكت التي يخطها أنشأه. كما يلاحظ في رواية بن موهلة مزجاً بين المثل الشعبي بوصفه الذاكرة الشعبية الخصبة، وصناعة الفخر تكبير من العمل المتقن (التواصل) نال الجنوب، والنأي بوصفه الصوت الشعبي الحزين، كما يرى أن الحبيب السلاحي استخدم الأمثلة الشائعة والمتداولة لحياة أهل الريف والوادي الذين كتبت الرواية عنهم.

ويدرس المؤلف في الفصل الثاني صورة العطل في الرواية الجزائرية المعاصرة، من خلال نموذج لمصطفى: رواية الطاهر وطاهر، «الحوات والعصر»، ونموذج ثارقي، «معرفة الزقاق» لرشيد بوجيرة، ونموذج خرافي، «حلمة الشغل» للجيلالي خلاص.

ويلاحظ المؤلف بشكل عام، أن فكرة البطولة للخرافة في التراث الشعبي ولادة الأوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت المجتمعات العربية عموماً، والجزائر على وجه الخصوص، وبذات في مراحل التمزق والصراع بعد انهيار داخليين وخارجيين، وهو إرسا يمتل محلياً يعمل بمثل الخداع الشعبي في رواية وطاهر، أو بطل تاريخي مثل طارق بن زياد كما في رواية بوجيرة، أو

للمهاجرين الأسرة وقيمها، وتسعى إلى تفكيكها إلى ألقا يلقى يجد من انغلاق المرأة، وهي ترى أن الألبان كانت، ومزات «ورقة سياسية تدبب بها النظم من أجل مزيد من إحكام قبضتها على شعوبها، وتجا السعالي للبرعمة على ما تدبب إليه، في الخارج- زورما الأساطير- كسيرة، في خيراتنا الفنية والثقافية.

«هبة عوف»، تبدأ من الخيول، من أرضية إسلامية إيمانية، تمثل مرجعيتها الحاصكة عند كل خلاف، والفرد عندها مهم، والمرأة كذلك، لأن أهميتها تنبع من دوره في إطار الجماعة، ولذا فهي تنافس المهاجرين المسلمين للسلطة، وتقاوم تجلياتها التي قادت إلى تفكك الأسرة وداعى قبيحها، باعتبارها أفقر مرحلة، وثمة، ومصرعها للإخلاق.

تبحث «هبة» عن «الاشترار الأخلاقي» الذي لا يصفقه انقلاط القيم، واتزان تحقيق أقصى إشباع لمساكنة ومغائته، وإنما مرجعية دينية- إسلامية في هذه الحالة- مع الاعتراف بإمكانية أن يسهو البعض بعد مفاسد كل المرجعية، نرى بطلها بما يحقق المصالح وأغراض خاصة.

وعبر هذه الرواية، تصبح ما أسسم فيه من «الرواية في الإسلام»، وهي ليست أبوية أو كورية كما يتب، وتناقض مفهوم «النسوة» الذي تعزقه بقله بحركة

الإسلامي بين الوهم والعلم- وغيرها. جميعها اتجاهات لا يزعم أصحابها أنهم يقدمون عبرها إجابات شافية وحاسمة- على الاستسكة، إنما هم يمسكون الرؤى والحدائق أمام القارئ كي يشحذوا عقله ومفاته النقدية والفكرية، ويختار الجانب الذي يريد مزاغة وأعية ودون وصاية.

ولكن مقبول أن تكون المراتبة بين شواغل المشروع، إلى سلف بسبب الانتماء العالي بفضائها واعتبارتها وتحققها لحد معايير الحداثيين والمصرحة، وإنما لأن موضوع المرأة إشكالية في الفكر العربي، يكتفه بطل للنفس بالأساطير، والحقايق بالظهور، بما يمتدعي، نفس الاشتكالية واستجلاء الصورة.

المشاورات أن هذا تنطلق من منصفين مختلفين في كل التمايز، نوال السعدوي تبسما من أشده، وترغب الفائق، وتزعم القامضة عن كل مقدس، وهي تزعم بين الدين والسياسي في توطئ مقصود، وتكاتها يمدان بالتزوي، يدفع أحدهما الآخر ويحجز مخططاته، ووافر عندها لفرز الأثني لا التكرار، هو الهدف، حرته الجسدية والروحية، وانفلاتها- انفلاتها- من أسر مجتمع تكوي يحميها عن كل فعل ومشاركة، أبل يتحلق انفصال في سبيله، ولذا فهي لا تعطي اعتباراً كبيراً

المرأة والدين والأخلاق  
نوال السعدوي، ما دروف  
الناشر: دار الفكر، منشور / دار الفكر  
المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠، سلسلة حوارات  
أقرن ص٢٧٧، ٢٢٧



مشروع ثقافي بالغ الأهمية، ذاك الذي يحصل عنوان «محاورات لقسن جديدة» من قبل دعوات السلسلة ذاتها سجالاً حول قضايا ساخنة وخلافية، شارك فيها مفكرون بارزون، كانت تلك بادرة نقاش الإسلام والمصر، والعدالة، ما الصورة، اللوميراطية بين العلمانية والإسلام، المصخصة أمالها وإيمانها، الجوانب بين النص والواقع، تجسيد الفقه الإسلامي، الاقتصاد

# عروض موجزة

## كتاب أجنبية

**Tank: The Progress of A monstrous War Machine**

(الديابة مسيرة آلة حربية ضخمة)  
Patrick Wright  
Faber, 2000, 499pp., £25 00

Tank



انطلق عليها المراسلون الصحفيون عند أول مشاركة لها في حرب على الإطلاق اسم فرس البحر الرهيبة، وكان الجنود البريطانيون يوتون في الحرب وهم يصنعون عند رؤيتهم الديابة للمرة الأولى وهي تشارك في المعارك. إنها الديابة التي كان دخلوها عام ١٩١٦ في منتصف الحرب العالمية الأولى في محاولة بريطانية لكسر الجمود على الجبهة الغربية في الحرب. ويقل الكتاب عن ستين فوت أول مصممي رأى الديابة للمرة الأولى في ميدان المعركة أن الجنود انتابهم شعور بالخوف والاضطراب، وكان بعضهم يضحك ويصرخ حول الديابة ويخضعون كان يصرخ لقد كانت سلاحاً جديداً يُستخدم لأول مرة أمام أعينهم وسيكون له شأن آخر في التاريخ.

لقد أصبحت الديابة، أيقونة الحرب الوحشية في القرن العشرين بالرغم من أنه في البداية اعتبرها اللورد كيتشرل أحد قادة أركان الجيش البريطاني في بداية الحرب العالمية الأولى بأنها ليست سوى لعبة، وأن الجانب الأهم هو الهجوم بالمشاة. ولكنه كانت عظمة الحرب القديمة التي تعتمد على الأثر وليس القتال. ويتناول المؤلف في هذا الكتاب المثير تاريخ الديابة خلال القرن العشرين والأوراق التي لعبتها في الحروب الكبرى حتى حرب الخليج وكذلك الأزمات التي لعبتها في عمل المخابرات والتدخلات الخارجية كصحة كساد حدث في ميدان السلام السماوي في بكين في ثمانينيات القرن العشرين.

لقد كانت الديابة منذ بداية اختراعها كمشروع عسكري وحتى من الجود اتسمت كسر القواعد. لكن التوجه لها لم يكن كذلك على الإطلاق بل كان مدعيتها من موت المليونين من الناس سواء في الحروب أو في التواريخ.

نوع الأثر يجري على هذا النحو، ويعد من الاحتكام إلى قواعد اللعبة الدولية قانونياً واجرائياً، ولعل الملاحظة غير مجلس الأمن الدولي، تحت مسمى «مهمة المسألة» بعيداً عن هذا الإطار الذي كان خاضعاً لقرارين روسية ضد أي قرار يصدر عن المجلس، ولم التركيز على حق «التدخل الإنساني» الذي يتنصص بالضرورة من سيادة الدولة، لكنه من ناحية ثانية، يعبر عن توازن قوى جديد، المسيادة فيه للمعسكر الرأسمالي، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

لغة صراع إن إن نيارين.. أحدهما خرج مهزوماً ومفتقناً من الحرب الباردة يدعو إلى تحكم الهيئة القانونية الدولية التي تعارف المجتمع الدولي عليها لحسم الصراعات، والثاني خرج غافراً، ويدعو إلى تفكيك التدخل وانتهائها للدول تحت راية الحماية الإنسانية. المؤلف يناقش في فصوله سبعة هذا الصراع تاريخياً وقانونياً، كما يعرض نماذج من التدخل الدولي تحت مسميات مختلفة.

سلطخا صمدلاً أن حق التدخل الإنساني يستند إلى القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحماية حقوق الإنسان، وأولاً يعني بحماية الإنسان وحقوقه في أوقات الحرب والنزاعات المسلحة، فيما يمثل الثاني حماية حقوق الإنسان في زمن السلم ومن الحرب. وتعد اتفاقية باريس ١٨٥٦، لندم التصور التقليدي التي تحدثت عن حقوق الحربيين قواعد معاملة الأسرى. بعد ذلك تواتت الاعتراضات والمعارضة وشهد العالم الأخير في القرن العشرين تطورات متسارعة في تحقيق مبدأ المساعدة الإنسانية عن التدخلات الجماعية لحقوق الإنسان، وجرى إقرار النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الدائمة في منتصف عام ١٩٩٨. وقد كشفت محاولات إقرار نظام هذه المحكمة - كما يقول المؤلف - عن التداخل الشديد ما بين الإنساني والسياسي في مجال عملا.

يختار المؤلف نماذج تحليلية لحق التدخل الدولي، ويبدأ بالراق، حيث يرى أن الدول المتحالفة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، تجاوزت التفضيز المنحوي لها بموجب حق التدخل الكوني كما وبدلاً من الاقتصاد على تحرير الكويت كما ارعى النظام الإسلامي العربي، صار الهدف هو التدخل في الشأن العراقي المالح، لمصالحات تتعلق برؤية هذه الدول للشأن الاقليمي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ومصالحها في المنطقة.

ويطرح المؤلف بين الحشد الدولي والتجديس الذي يشهده حالة كوسوفا، والإحجام إلى حد التدخل في حالة الشيشان، بما يعني أن القضية ليست حقوق إنسان ولا تحولات اقتصادية، وإنما هي - وقيل كل شيء - مصالحات سياسية.

الجمهور، لم تعد رسالة الفنان منهم موضوع. لأن الفن ببساطة فقد وضوحه، وصارت الكتابة في الفن أشبه بالاحصاء من قبل الفنان الذين يفتقر منهم وسائط جديدة بين الفنان والجمهور. تلك هي الانشائية الكبرى التي يعالجها المؤلف التي يرى أن الكتابة في الفن لا تعد رسالة ذات معنى إلا بقائما من يستطيع فعل رمزها وفهمها.

يعالج المؤلف هذه العلاقة عبر عدد من الدراسات التي يقول بعضها على دور مهم لوسائل الاتصال الحديثة في تعميق الوعي الجماعي والعنى، وعلى دور المحلل في تنمية الذوق الفني، إذ لم يعد المحلل مجرد مكان يزود الجمهور بالفكر معرفية وإيديولوجية، وإنما تحول إلى مكان نقالي استثنائي.

ويطرح المؤلف في دراسة أخرى إلى ما بعد الحداثة، حين أراد الفنان أن يعيد الفن إلى طبيعته التاريخية، وأن يتحول من عالم الخشبة والغوليف إلى ما بات يعرف بديمقراطية الفن. أي لقرته على مخاطبة طاعات واسعة من الجماهير بلغة بسيطة، محققاً بمشاهدة الذوق عبر الانتشار في المساحات العامة والشوارع وعلى الجدران، متخبراً من قيود اصحاب المعارض سامعاً إلى جعل الفنان عاملاً مستقلاً، والتفت لغة فنان ما بعد الحداثة بأنها هيبة، فيها الانجذاب الفصيصي، التمثيلي، والإبهارات التقديرية تقنياتها ليست، إن من ما بعد الحداثة برأي المؤلف بطل حقيق ما بعد زوال الهيمنة الغربية بنزعها الغربية، حيث اختلت الثقافات اللاتينية مكانتها في العالم، وزاد الانجذاب نحو التعددية الثقافية والتنوع.

□ □ □

**التدخل الدولي بين الاعتبارات الإنسانية والأبعاد السياسية**  
عماد جاد

١٤٥٠٠٠، سلسلة الأهرام، ١٤٥٠٠٠  
١٤٥٠٠٠، سلسلة خيومات



كانت حملة حلف شمال الأطلسي على يوجوسلافيا، مرحلة بارزة في التفات العالم، كما يقول المؤلف. حملة كوسوفو في الأصل، شأن يوجوسلافي حالي، لكن توازنات القوى التي تمخضت عنها الحرب الباردة، لم

**America's Queen: The life of Jacqueline Kennedy Onassis**  
(ملكة أمريكا حياة جاكلين كينيدي أوناسيس)

Sarah Bradford  
Viking, 2000, 704pp., £20.00



بعد ٦ سنوات من وفاتها عن عمر ناهز ٦٤ عاماً، ما زالت جاكلين كينيدي أيقونة دولية، ومازال العالم، خاصة أبناء جيل الستينيات، يتذكر كيف دخلت البيت الأبيض مع زوجها الرئيس جون كينيدي وكان عمرها ٣١ عاماً لطفها وخبرتها من حزنيتها بعد اغتيال زوجها، وكان عمرها ٤٤ عاماً.

وقد أظهرت جاكلين في الأيام الثلاثة التي لحقت حادث الاغتيال عن العجالة الرسمية، واجترأاً للنفس جلباً لها إيجاساً عالمياً لم تلطع الأنظار، واستمرت جاكلين تمثل ضمير الشعب الأمريكي ومحف أجابها وكذلك شعوب العالم الأخرى، إلا أنه بعد سنوات من ذلك أنزلها الشعب الأمريكي عن عرش محبة وإعجابها بعد أن تزوجت امبراطور سان نكل البسترويل الملبس باليوناني أوناسيس، ولم يقف لها المواطن الأمريكي هذا التصرف الذي كان بمثابة طعنة في جانب زوجة أحد أكبر الرؤساء في التاريخ الأمريكي شعبيراً وأعجاباً. ويحاول الكتاب أن يجد الأسباب لهذه الخطوة من جانب جاكلين، وقد نشأت في أسرة فقيرة، وتلت طفلة حياتها تخشى الفقر بشكل مستهزئ، ولذا وجدت في عرض أوناسيس فرصة كبيرة للاستمرار في حياة راقدة ومعلقة بالأشياء كان زوجها من كينيدي قد ورثها.

وتتناول المؤلفة حياة الطفلة جاكلين وكيف تزوجت لها للمرة الثانية من رجل تروى لكن هذا الفني لم يعكس على حياة جاكلين، ويعود الكتاب مرة أخرى إلى حياتها الشخصية والعائلية يقول: إن سرهما وجهالها وبلاطها الظاهرة كانت تخفي شخصية حادة للغاية. ولدت لثلاث سنوات المشهورة والبدع الجاكين من وفاة أوناسيس لكن أشواق هذه الشهرة كانت تحيطها من حين ترقى طفلة، كل شيء، كانت الشخصية الأمريكية الأولى، لي عمل مسيئة أولى في التاريخ الأمريكي الحديث وبقيت رمزاً لفترة تيمت بالرومانسية عاشتها أمريكا والعالم في الستينيات من القرن العشرين.

□ □ □

□ □ □

□ □ □

# عروض موجزة

والكتاب واحد من عشرات الكتب التي تصدر سنوياً في دول العالم من مصر وحمضيات قطر وغيرها بشكل خاص، وهي كتب تلقى رواجاً شديداً بين القراء لالتحاق الشديدي بعلم الحضارات في الغرب... والد أسست جامعات عديدة منذ زمن طويل لتعليم علم الحضارات بها، وهناك دوريات عديدة تصدر في لندن ونيويورك وباريس وغيرها من علم الحضارات والكتاب المصرية

□ □ □

Lincoln

(سكران)

Jan Morris

Penguin, 2000, 216PP., £7.99



الذين يعانون من السرطان في جنوب البلاد انقاذوا المرض من جراء استخدام الحلقاء اليورانيوم عام ١٩٩١ بتسببه أربعة أشخاص عما كانت عليه سابقاً. وفي الفصل الأخير الذي عبقته شارون سميت الحلقاء الثلاثة حلقية لحلقه جمع التوقيعات للطالبة وإنهاء الحصار والتناحط في معارضة حرب الخليج تقول توفي أكثر من مليون عربي في أعقابهم من الأطفال نتيجة لعقوبات الأمم المتحدة ضد العراق. وبعد أن تشير الكتابة إلى فشل الحملة الجوية التي قامت فيها القوات الأمريكية والبريطانية ضد العراق في أواخر عام ١٩٩٨، تتقدم الصمت الذي يخيم على الإعلام الأمريكي ولقاء هذا لا يضيء الحقيقة إما عن أفعال الدول التي لعيتها وسائل الإعلام الأمريكية خلال حرب الخليج.

□ □ □

The Keys of Egypt: The Race to Read the Hieroglyphs

(مفتاح مصر السحابة لهرام)

Lesley and Roy Adkins

Harpercollins, 2000, 335PP.,

£16.99



عام ١٧٩٨، كان حاسماً في تاريخ الصراع الفرنسيين، فقد قرر قادة فرنسا بعد الثورة الفرنسية إصرار بلدهم الطويل الأمد على غزو إنجلترا، وبدأ من ذلك غزو مصر، واستبعد هذا الصراع كخطب فرنسا صاعداً في الشرق والوقوف ضد الفصحى البريطانية، وخاصة في الهند. لكن الحملة لم تكن كما هو معروف عسكري فقط، بل كانت ثقافية، وقد قال أحد معاصري نابليون وبونابرت ضد الحملة إننا ناهبون اكتشاف فنون القديسة والعاصرة. وخلال القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بمصر وكانت حبيسة الانعزاع كتاب بمصر مصر الذي جمع فيه علماء الحملة معلومات غير مسبوقة عن مصر في شتى المجالات. ويتناول الكتاب قصة اكتشاف الحروف ريشيد باشا وموزه في يدى العالم الفرنسي فرانسوا شامليون، ويتناول في القرن التاسع عشر الصراع الإنجليزي الفرنسي للسيطرة على البحر.

ويتناول الكتاب القرنين الماضيين منذ ذلك التاريخ أصبحت مصر دولة العالم الأوروبي، رغم أن متخصصين في علم الحضارات أشاروا إلى أن مصر قبل ذلك لم تكن مجتمعاً مطلقاً في نفسه، بل هناك من زار مصر من الأوروبيين وعندها.

□ □ □

Iraq under Siege

(العراق تحت الحصار)

Antony Arnoff

South end Press, Canada, 2000



كتاب العراق تحت الحصار (العراق للقتال للحروب والحرب) من الكتب التي حظي بأهمية فائقة لسببين رئيسيين. الأول: أهمية الموضوع الذي تناوله وخطورة نتائج آثار الحصار الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية بعد عشر سنوات من فرضه. ولثانياً: الأهمية ومكانة مجموعة الأكاديميين والكتاب والأدباء والإعلاميين والناشطين والذين أعضاء جمعيات الناشئة الذين شاركوا في تحريره باعتبارهم أشخاصاً غريبة لها نشاط بارز، لذا جاءت كتاباتهم في الحجة والمنطق وبعدها بأرقام وشهادات شهود عيان، علمياً يرضي هؤلاء العرب والعراقيين في مواقع المؤسسات الصحية والخدمية، كما جاءت مقدمة إيربوت وبنوع الحصار وخلفها لظهور السياسة الأمريكية والبريطانية تجاه العراق والمطعم.

في أحد أصول الكتاب مقابلة مع دنيس هاريسون، المفسر الأسبق لانشطة الأمم المتحدة في العراق والذي استقال من عمله احتجاجاً على استمرار الحظر على العراق. ذكر هاريسون في معرض آرائه أنه استلزم الاعتراف بديعة بارسيمن أنه بل يكن هدف برنامج الحظر مقابل الغذاء مطلقاً إلى الأزمة الإنسانية، لقد وضع إرفاق التحذير، فقد صمم هذا البرنامج على غرار ما تقوم به الحكومة العراقية، إذ أن لديهم برنامج توزيع الغذاء المستقل لدول الخليج الفارسي والبناتي والأرامل.

وفي رده على سؤال عن الحروب (فك) مصطلح (إبادة) في وصف الحصار، قال إنه بالتكديس يصبح الحصار عندما نجد الأذى لمليونين شهرياً بمجموع يتراوح بين مليون ومليون ونصف خلال التسعة سنوات الماضية، فإذا لم تكن هذه إبادة لا أعرف إننا بالسياسة ما هي الإبادات وأصناف لا تحصى من أفعال القتل عندما تمارس الإبادات بل يوم في المدن العراقية.

وفي فصل آخر كتب (البرقيات فكم) عن الحروب الخفية في العراق، تقول فصلا من قبل الضباط من الجيش العراقي، قالوا: نحن نرى العراق غير راسل جود العراق بدون السلاح إلا أنه في بريطانيا هناك الحكومة جوبها جمعة لصناعة مواطنيها من لاجر اختار ملل هذه الأسلحة. وقد أشاد الأطباء العراقيون منذ عام طويل من أن الأطفال

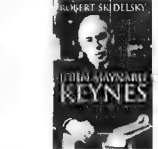
□ □ □

John Maynard Keynes: Fighting for Britain 1937-46

(جون ماينارد كينز: القتال من أجل بريطانيا ١٩٣٧-١٩٤٦)

Robert Skidelsky

Macmillan, 2000, 624PP., £25.00



أصبح مؤلف هذا الكتاب روبرت سكيلدسكي ١٩٢٠ عاماً في جميع صفة موضوعه وهو سيرة حياة الاقتصادي البريطاني الشهير جون ماينارد كينز صاحب كتاب «النظرية العامة في القبول» والذي أحدث انقلاباً في عالم الاقتصاد منذ ثلاثينيات القرن العشرين بحيث أصبح المؤرخون الاقتصاديون يثقلون عن الثورة الكينزية.

وسبق لثلاثين آخره مجلد من السيرة الذاتية لكينز وكان المجلد الأول بعنوان «حياة الكمال» وصدر عام ١٩٨٣، وهو يتحدث عن إسهام كبير الإنساني حتى عام ١٩٢٠، والذي يتركز حول عمله الضخم: «نظريات الاقتصادية لنظام بعد الحرب العالمية الأولى» والذي انتقد فيه الشروط للحملة التي لم فرضها على ألمانيا محذراً من أنها لن تستطيع الوفاء بهذه المطالبات. وقد أطلق المؤلف على هذا الجهد «حياة الإبداء» لأنه صدر في وقت عاتق فيه إقرار الاقتصادية الكلاسيكية بدمه يعمل، دمه يصير، لاكتشاف في عهد مارجريت تاتشر في بريطانيا وروالد ريجان في أمريكا، واعتبر كينز خليفة لثلاث كينز: المؤلف ثلاثي صدر عام ١٩٣٢، وهو بعنوان «الاقتصاد كينز»، ١٩٢٠-١٩٣٢.

أما هذا الجهد الثالث والأخير فيتناول إسهام كينز الأكبر وهو النظرية العامة في الثورة، والتي دعا من خلالها إلى ضرورة توسيع دور الدولة في الإسكان على المشروطات العامة للنقضاء على البطالة ويؤكد كينز في كل العصور أن المشتغل في الاقتصاديات الكلاسيكية في أنها لتتخذ وجود نظرية للطلب النقدي وهو خطأ فادح والنتيجة أن نظام اقتصاد السوق معرض للتدمير والوقوع في كساد مزمن. كما يتناول طريقه الصحية حيث إن معظم الفكرة التي يعطيها هذا المجلد كانت بمثابة صراع بين كينز وبين المؤرخ الذي نجح في النهاية في هزيمة الاقتصادي غير عادي كان رائد السمع والبصر وترك بصمة شديدة إلى على الاقتصاد العالم.

□ □ □

## قراءات جديدة

### يمنية

#### التلوث الضوئي وإعاقة التنمية

حسن أحمد حشاش  
القاهرة: دار العربية للكتاب، ٢٠٠٠  
صارت الضوضاء أحد أشكال التلوث التي تؤثر بقوة على صحة الإنسان ورفاهته وإنتاجيته، وهي بذلك تمثل معوقاً حقيقياً للتنمية، المؤثر يناقض الظاهرة سبباً إلى ما انتهى إليه القلماء من النهي عن كل ما من شأنه إلحاق الأذى بالإنسان وتلويش العمران.

#### Hotspots: Earth's Biological Richest and most Endangered Terrestrial Ecoregions

(مناطق ساخنة: أكثر مناطق الأرض ثراءً بيولوجياً وأكثرها تعرضاً للخطر)  
Russell A. Mittermeier and Norman Myers  
University of Chicago Press, 2000, 432pp., \$65.00

المناطق الساخنة هي تلك المناطق الغنية نسبياً في الأرض التي تتميز بولائها الحيوانية والنباتية الكبيرة. وهذا الكتاب حدود ٢٥ منطقة في العالم ينطبق عليها ذلك التعريف، وعلى الرغم من أن مجموع مساحتها لا يتجاوز ١.٤٪ من مساحة الأرض، إلا أنها تحتوي على ٢٢٪ من أنواع الحيوانات و٢٥٪ من أنواع النباتات الموجودة في العالم كله. وتقع هذه المناطق في جنوب ووسط أمريكا وفي أفريقيا وآسيا وفي بعض الجزر، وفي المناطق القارية من روسيا.

يحدد العلماء المشاركون في هذا الكتاب من أن هذه المناطق الطبيعية سوف تصبح مجرد ذكرى مع نهاية القرن الأول من القرن الجديد بسبب المخاطر الشديدة التي تتعرض لها كل يوم.

### تاريخ وأثر

#### أرض فلسطين بين مزارع الصهيونية

وفاقق التاريخ  
مئتمن الديوري  
القاهرة: حاشية الدول العربية، ٢٠٠٠  
يؤكد الكتاب خطأ المزارع الصهيونية التي تقول: إن للصليبيين باعوا أراضيهم للصليبيين. ترد المؤلف على هذه المزايع بالآراء، وتشير إلى خاصية نفسية مهمة تحول بين الفلاح وبين أرضه مهما كان الفلم.

#### أستار العلقم في التاريخ

نوماس تروسمن  
ترجمة عبد الوهاب عرب  
القاهرة: المجلس الأعلى للتأليف، ٢٠٠٠  
يقع الكتاب أبايل حول مرامع اليهود حول العهد القديم، جميعها مما حرفة الأخبار والسامسون الذين أرادوا أن ينشأوا تاريخ

### اقتصاد وتجارة

#### الصهيونية لتتهم العرب

محمد دويار  
القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٠  
يتناول المؤلف نشأة المشروع الاقتصادي الصهيوني، وكيف تطور هذا المشروع وفق مخطط شديد النقاء، ومع بروز فكرة الشرق الأوسط، اكتسب المشروع الاقتصادي الصهيوني أبعاداً أكثر خطورة وأوسع مدى. تهدد العرب ربما في وجودهم.

#### The Business of Books

(تجارة الكتب)  
André Schiffrin  
Verso, 2000, 181pp., \$23.00  
كتاب تدرية طريف الناشر لرموق هذا الكتاب ليرى قصة صعود وسلوط دار نشر باتشون، التي انضمت إليها عام ١٩٦٢ والسياسة، والتي انضمت إليها عام ١٩٦٢ وأدارها حتى أزيغ عنها بفعل مناوآت الشركة إلا عام ١٩٩٩. وقد عمل والده أيضاً في مجال النشر في باريس، حيث انشأ سلسلة الكلاسيكيات الفرنسية «بليارد» ثم باعها إلى دار نشر «جاليمار». ويتر شرفين الآن عن لفته إزاء مستقبل عالم النشر بسبب منافسة الإنترنت، وبسبب سيطرة عدد محدود من العائلات الكبار على السوق ولم لا يهتمون سوى بالكاتب الأثر مبيعاً. ولتعه أيضاً ليعمل الأدب الذي يبعده تعتمد دور النشر الصغيرة المستقلة، ومن بينها الدار التي يمتلكها الآن «نيوبرس».

#### Salute: The World of Secondhand Clothing and Zambia

(سلاوة: عالم الملابس المستعملة وزامبيا)

Karen Tranberg Hansen  
University of Chicago Press, 2000, 298pp., \$22.50 (Pb)

العالم الأم المتقدمة قيمة صارت كالمثلث من الملابس المستعملة عام ١٩٩٥ بما يقرب من ١.٤ مليار دولار، وتذهب ربع هذه الصناعات إلى منطقة جنوب الصحراء في قارة أفريقيا. وفي أوائل التسعينيات مثلت صادرات الولايات المتحدة من الملابس المستعملة ثلث ما تبيع صارتها إلى المنطقة لتقول الموضة والباحثة الأنثروبولوجية في الكتاب إن حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تجارة الملابس المستعملة تجارة كبيرة في الغرب ولكن وانزادت الدول النامية الرخيصة انتهت الحاجة إلى هذه التجارة.

ويرجع في راميا هذا النوع الغريب من التجارة الدولية إلى بتم أحياناً بدمير الضائعة المحلية. ويصف الكتاب كيف تصبح الملابس التي يتخلص منها الناس في الغرب هي الطريقة الوحيدة أمام أفراد طبقة المتوسطة في زامبيا للحفاظ على مظهر لائق في ظل تعور ذكولهم.

### فلسطين ليؤكدوا أنهم هم أصحاب الأرض والحق فيها.

#### محسرين من قدوم نالبيسون حتى رحيل عبد الناصر

رجمة سيد أحمد الناصري  
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠  
يغطي المؤلف حوالي ١٧٢ عاماً من تاريخ مصر الحديث، وهي فترة شديدة الخصوبة. إذ يورخ عادة لتاريخ مصر الحديث بقدم نالبيسون إلى مصر ويهبطه على شواطئ الإسكندرية في عام ١٧٩٨، وقد مثلت الحملة الفرنسية صدمة حقيقية للثقافة القبطية التي كانت سلفاً آنذاك، كما أنها فتحت آفاقاً واسعة أمام المصريين تمكنوا عبرها، ومن خلال طموح محمد علي باشا أن يجالوا قلعة العصر، كما أن فترة عبد الناصر هي الأخرى، شهدت مصر أن وتكسر أحلام القومية العربية في التحرر والتخلص من التبعية والتعجيز من رؤية مستقلة بعيداً عن التحالفات، وحين رحل عبد الناصر، اضطر خلفه السادات على سياسات بديلة، ربما إلى حد التناقض.

#### The Prime Minister: The Office and its Holders Since 1945

(رئيس الوزراء: المكتب وشاغلو منذ ١٩٤٥)

Peter Hennessy  
Penguin, 2000, 720pp., £25.00  
يؤرخ المؤلف بين فترتين لكل من شغل منصب رئيس الوزراء في بريطانيا منذ عام ١٩٤٥. ويقوم بتقييم كل منهم حسب معيار الفعالية التنفيذية. ويشال الخانة الأولى بالنسبة لبستون فتمس كل من «فتمتكت التي» و«مستأجرت فتمتكت» ويليهما كل من «إدوارد ديث» ودوتوني بغيره لم يخدم وكالاتهم.

#### تراجم وسير

#### جوانب من سياسة الملك عبد العزيز

خيرية تاسية  
الرياض: دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٠  
يعرض الكتاب لسيرة مؤسس المملكة العربية السعودية، والسياسة التي اتبعها حتى تحلفات وخدمة شبه الجزيرة العربية وبرزت السعودية على خريطة العالم.

#### زويل أمير الكيمياء

هشام الحديدي  
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠  
كان فوز أحمد زويل بجائزة نوبل في الكيمياء حدثاً محمراً وعربياً أيضاً، فإن يفوز مصري للوزة الثانية بجائزة نوبل بعد نوبل التي حصل عليها تسيب محفوظه فهذا إنجاز كبير، وإن تكون زويل الثانية في العلوم، فهذا إنجاز أهم، وهذا الكتاب لا يتوقف عند زويل عالم الكيمياء،

### وإنما يتناول زويل الإنسان، مستعياً خطواته حتى وصوله إلى أعلى سلم علمي.

#### سعيد النورس: رجل اقتدر في حياة أمه

أريخان محمد علي  
القاهرة: دار الفيلة، ٢٠٠٠  
كان سعيد النورس صولياً وحركياً في آن معاً، وإتباع حركته في تركيا يمدون بالآلاف، وقد لعبت الحركات الصوفية في تركيا دوراً مهماً في الإبقاء على الإسلام في تركيا برغم سياسات اتاتورك وثورته العلمانية، وكانت النورسية، أحد أهم هذه الحركات.

#### جوانب أخرى من حياته

مجموعة من المؤلفين  
ترجمة أشرف الصانع  
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠  
يعرض المؤلف جوانب أخرى في حياة خمسة من أهم المبدعين في مصر هم إيليا جوتشاروف والتسدر بوتكين، ومكسيم جوركي، وفلاديمير ماكينوفسكي، وفلانتين راسبولين، وهي جوانب تكمل الصورة الإبداعية لكل من هؤلاء.

#### مرشد المترجم

محمد عابى  
القاهرة: دار لوريجان، ٢٠٠٠  
يضع الكتاب بين يدي خيرة المترجم وهو الأستاذ في اللغة والأدب الإنجليزي، مارس الترجمة للمسرح والشعر من الإنجليزية واليه، وهو يقدم هذا خلاصة الخبرة المتراكمة والعملية للدارسين والمترجمين في مجال الترجمة.

#### مقاسومة

ترجمة: أمطان أبو زيد  
لندن: دار السائل، ٢٠٠٠

عن قصة حياة سهي بشارة، وحياتها داخل المعتقل، كيف عاشت سنوات عشرا من الحزن والإجهاض، كيف أفض لها أن تحمل على صوت المذامع والأكل.

#### Dora Maar: With and Without Picasso: A Biography

(دورا مار: مع أو بدون بيكاسو: سيرة حياتها)

Mary Ann Cows  
Tavnes & Hudson, 2000, 224pp., £24.95

استمرت العلاقة بين دورا مار وبيكاسو عشر سنوات، وأشهر ما يكره العالم لدورا مار هي لوحة «الباكية» التي رسمها بيكاسو وبخل وجهها.

استمرت العلاقة بين دورا مار وبيكاسو عشر سنوات، وأشهر ما يكره العالم لدورا مار هي لوحة «الباكية» التي رسمها بيكاسو وبخل وجهها. ولدت في باريس بل كسرتها بعد من مهنتاً معزفياً عام ١٩٠٧. لم احتراف التصوير للفوتوغرافي، وألحقتها بجوج باتي، وأخيراً علاقتها ببيكاسو التي ما أن انتهت بيكاسو من أجل امرأة أخرى، حتى أصيبت دورا بالتهرب عسبي وعاشت في

عزلة كاثوليكية بعد أن كانت يسارية متعمصة.

والأمر الذي أقيم بعد موته عام ١٩٩٧، وجذب في حوزتها مختلفات كثيرة وغربية ليكسبو من بينها قلعة قماش عليها الآن بعض فطرات من دمائه.

## رواية وأدب

إد الألام أعسقت  
عبان الشراة

عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر  
لثة حبة الشبه بالكابوس، يعيشها الناس في العراق، حيث وطأة الضغوط الداخلية والخارجية، معقالات وحصار وتضييق، تنوق النفس الحرة أن تحرر منه وأن تنهض مذابات الشوق والصمت وإن بالوت البطيء أو بالانتصار، هذا بعض ما تولوه له هذه الرواية

■ ■ ■

تحتفل مبريل سترينج

رشيد الصميف  
بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٠

بعد روايته التي حلفت نجاحاً كبيراً في العام الماضي، ديسرينج انتعش، تأتي هذه الرواية التي يشرح فيها المؤلف عالم العلاقات الجنسية، والأنشطة الجنسية الناشئة عنها من خلال نطل روايته

■ ■ ■

بنات، بنات  
جمال حسان

القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠

ترصد القاتلة في روايتها تحقيقات عديدة طالت المجتمع المصري، وانعكست بالضرورة على شريحة مهمة منه في القضاة، فترصد أحلامهم وتحويلاتهم من خلال أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى.

■ ■ ■

Die Brücke Vom Goldenen Horn  
(جسر الهلال الذهبي)  
Emine Sevgi Özdamar  
Krepen Heur & Witsch, 2000, 339pp.,  
DM 19 90

الرواية التي الضوء على حياة العمال الأتراك في ألمانيا والصراع القمعي بين الشرق والغرب، يورزها ما بين عامي ١٩٦٦ و١٩٧٩، أما الجسر الذي يذكره العنوان فيصير جسرًا يقع في اسطنبول يصل بين الجانب الأوربي من المدينة والجانب الآسيوي، الذي تعيش فيه عائلة بطة الرواية. وتعيش البطة سنوات ما بين برلين وباريس وتتشرك في عمر المستعبدات والمسيحيات، ولكنها تنقل تنقل إلى الجانب الآسيوي من اسطنبول باعتبار أن ثألها معه هو الذي سيرها، هي لا تكون ونظها، وإنما تحسره على الاعتراف بشرعية الذات التي اكتشفها في نفسها.

■ ■ ■

The Hiding Place

(الخبا)

Trezza Azzoparch  
Picador, 2000, 282pp., £14.99

انضمت هذه الرواية لقائمة الروايات المرشحة لنيل جائزة بوكر في الألب لهذا العام، وهي تدور حول مهاجر رايلي يعيش ويتزوج في أيرلندا. رواية القصص إحدى بناته الست، والثلاثي عشرين من إسمائه للقاء ويثاول الجزء الثاني من الرواية الحياة المأزلة التي عاشتها كل فتاة من الجنين الثانية، حيث إن المؤلف أيدته لمهاجر رايلي وألم من أيرلندا، كما أن لديها ست أخوات.

## سياسة

أحزاب المناقصة

نديم محسن  
بيروت: دار الجديد، ٢٠٠٠

نديم ليمان حالة فريدة من حيث التنوع البشري والذات، وهو ما فرض عليها تركيبة دينية فيما يخص يتناول السلطة والمخاض في أجهزة الحكم، وقد كانت الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت ما يزيد على ١٠ عاماً تعبيراً عن خلل أو عدم رضا في هذه المؤسسة الخفية، وهذا الكتاب عن السياسة في لبنان، والأحزاب ذات الطلاء العنقادي، والتي باتت تغلب دوراً مهماً في المسيرة اللبنانية.

■ ■ ■

فلسطين: كشف المستور فيما أتت إليه

الأمر  
مالة العمري  
القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠

تشير المؤلف إلى حقيقة يتركها العرب عن أسباب قيام دولة إسرائيل، التي وضعت لئلا تكون خطوة خفية أكثر من غيرها، والعرب يخالون عن لا التضييق لا يشعرون، وإن تحركوا فيصحب جوءهم بعمليات إسرائيلية لا تتجاوز التخييد والاستنكار والشجب

■ ■ ■

قضايا غامرة من الاسكتندوة إلى القاتل

ومن عمان إلى الشبان  
رياض نجيب الريس  
بيروت: رياض الريس للنشر، ٢٠٠٠

رواية مصاحبة لقصص وتغني لاضيا عوية، يقدم فيها المؤلف قصصاً للاختفاء، والتخاطب، ويخرج ما يراه ممكناً من حلول، فهل كان ممكناً الاتصال بالأمور في بعضنا إلى ما وصلت إليه من تروية يجيب المؤلف بالرجوع.

■ ■ ■

مشقوش الشرق العربي من ديرايفوس إلى

جارووي  
حازم صافية  
بيروت: رياض الريس للنشر، ٢٠٠٠

محاولة لاستكشاف التراث العربية عبر مثقفها أو المحسنين لآثارها، التي يرى المؤلف أنها تنطوي على بعض العنصرية وسوء الفهم والتشكك في البربر في كثير من الأحيان في دولها الآخر والأخر، حتى وهو يد يدك للصناعة.

■ ■ ■

هارون يوفيلوات مصر  
عادل حمودة  
القاهرة: دار الفارس، ٢٠٠٠

يفتح المؤلف الملفات السرية والشخصية لتظهر الهاميين بأموال القسروشي التي هي في الأساس أموال الشعب المصري، وبين من يسلط عليهم الأضواء: رامي كنج وعليه العيوي ومحمود وهبة وأشرف السعد وهدي عبد النعم ومصطفى البليدي وآخرون.

■ ■ ■

هل يشكل انتشار الأسلحة النووية عامل دفع

إدريس خليل وآخرون  
لرباط: القادرية الملكة المغربية، ٢٠٠٠

يقوم مفهوم الردع على توازن القوى بون استخدامها، سواء كانت هذه القوى عسكرية لا، ويمنح انتشار الأسلحة النووية وبلاها في يد أطراف معينة، خللاً كبيراً في موازين القوى، وهكذا يبدو سؤال المؤلف مشروعاً عما إذا كان امتلاك الأطراف كلها للأسلحة النووية يمثل عامل دفع أم لا.

■ ■ ■

## شعر

تعبية الرجل المحترم

سامر أبو هراش  
بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٠

هذا هو العيون الثاني الشاعر، فيه يذهب أحقق ما نعب إليه في ديوانه الأول، وما يميز قصائده هنا اعتماده على السيرة والذاكرة والصورة والتفاصيل والألفا الشخصية التي تمثل إجمالاً مكونات القصيدة عنده.

■ ■ ■

حورية العاتق

علي عبد الله خليفة  
عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠

ديوان جديد للشاعر يغلب عليه الطابع الرومانسي، وحباً من ومضات حب مضيفة وسط أمواج وقطع بالغ القصوة.

## طعام

The Cambridge World History of Food  
(كتاب كمبريدج عن تاريخ الطعام في العالم)  
Kenneth F. Kiple, Knemhid Omelas (editors)  
Cambridge UP, 2000, 958 pp., 2Vol  
\$150.00

هذان الجلدان هما نتاج سبع سنوات من البحث والتفكير والشرح من جانب أكثر من ٢٠٠ مؤلف، لإخراج ما سيبدل كل من علماء الاجتماع، والمؤرخين والاقتصاديين وأيضاً المتألفين المرحب الرئيسي لتوسيع معلوماتهم وتعميق معرفتهم بكل ما يتعلق بتاريخ الطعام في العالم.

ومن ضمن الرسائل التي يجعلها الكتاب مساً مؤداه أن استعراع الزراعة منذ ١٠,٠٠٠ سنة كان لبوا حدث أصاب معدة الإنسان، حيث لقت القيمة الغذائية لطعام منذ ذلك الوقت، لأن ما كان يحصل عليه الصيادون في عصور سابقة كان يلقى في القبيصة الغذائية وفي صرعته الحوريات أضعاف ما تقدمه الخضروات والفواكه ومنتجات الألبان التي ورثها الزراعة. كذلك يبين الكتاب أثر استحداث الأكل في الطعام والذي أدى في منتصف القرن السابع عشر في فرنسا على اختراع التركيبات المختلفة لأنصاف الطعام المحصول على الجديد بلفاً، كذلك يشرح تغير الأكل بين العشرين بعالم الشوق والإعلان الذي كان ذا تأثير حاسم على ما يتم تناوله من غذاء في العالم كله، إلى جانب عوامل أخرى مثل التركيز على جمال البسمة النحيل وإن ذلك الصيغ منتجاً للرجوع، وقوة المستعبدات التي نادت بالسيادة، والطبيعة، وأخيراً العولة وسلاسل مطاعم الأكل السريع.

■ ■ ■

How to Cook Without a Book: Recipes and Techniques Every Cook Should Know by Heart

(كيف تطبخ بدون كتاب: وصفات وأساليب يجب على كل طبخ أن يحفظها عن ظهر قلب)

Pam Anderson  
Bantam Doubleday, 2000, 290pp., \$25.00

تعتقد بام أندرسن أن الاعتماد المتزايد على كتب الطبخ والوصفات الجاهزة لإعداد الوجبة الرئيسية يوماً ما أمر غريب على العقل، لذلك برز كتابها على كيفية إعداد وجبة متكاملة والمكونات اللازمة في أي يوم من الأيام بدون حاجة لشراء المزيد أو التسوق، كما جبين الطرق الواحدة التي يصلح تطبيقها لإعداد أنواع عديدة ومتشابهة من الطعام.

■ ■ ■

Pickled, Potted and Canned: The Story of Food Preserving

(مخلل ومخفوظ ومكب: قصة حفظ الطعام)

She Shepherd  
Headline, 2000, 368pp., £15.99

يؤكد هذا الكتاب مقولة أن الحاجة أم الاختراع. فما تعرفه اليوم من سلوم مدخن وطعام مجفف ومرسى وحتى الفواجر (كبد الأوز) جاء من حاجة لحفظ الطعام الطازج لحين استهلاكه في أوقات الانقراض. ويبدأ تاريخ حفظ الطعام باستخدام البهارات للمح والمشمس، ثم تطورت التقنيات إلى أن وصلت للتجميد.



Le MERIDIEN  
EGYPT



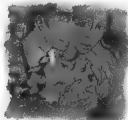
جميل  
أن تقضى ٣ ليالى  
فى لندن..  
الأجمل  
أن تكون مجالداً ..

مع متعة الإفطار  
و اسعور المتعير  
فى جميع فنادق  
مريديان مصر..  
يمكنك المؤم بذكرتهم  
و ٣ ليالى إقامة لفردى  
محالداً فى مريديان حروفتر  
هاوس بلندن



EGYPTAIR  
مصر للطيران

Le MERIDIEN  
GROSVENOR HOUSE



Le MERIDIEN  
EGYPT

CAIRO (202) 362 1717  
HELIOPOLIS (202) 290 5055  
PYRAMIDS (202) 383 0383  
MAKADI BAY (065) 590 590

مركز القاهرة

CAIRO • HELIOPOLIS • PYRAMIDS • MAKADI BAY • SHARM EL SHEIKH

## العرب والأصول والأصراق

يرجم قبره بالحجارة، قاويت شغلن الدين، وكان عمر بن الخطاب، ثاني الحفاه يقول: «لست معكم إلا بالعلم».. وهاتذا، لعمرى، مصدر التمسك بالسمة في الإسلام، أي بالقدوة في العمل، وليس بالتقليد الجامد كما آلت إليه الأحوال.

وكان الأصولاء من حكام الإسلام، القادرون على الالتزام بالكلمة ومصمون الكلمة، خريصين على هذا المعيار في التطبيق الإسلامي ويلقون صراحة وبقوة ضد استغلال العمل، الذي راحت تفتح إليه بعض القوى المتسلطة منذ أيام الخليفة عثمان، ثغر على ملامح ذلك في سيرة الإسام علي، ففي رسالة له إلى عامله «قرة بن كعب» قال: أما بعد، فإن قوماً من أهل علك أتوني فذكروا أن لهم نهراً قد غلي ودرس، وأنهم إن شربوه واستخرجوه صرت بلادهم وقوا على كل خراجهم وزاد في أسلمين ليلهم.. وسأولني انتقابة إليك لتأخذهم إليك، بعلمه، ونجمعهم لحفره وإلحاق بعلمه، ولست أرى أن أجبر أحداً على عمل بكراهه، فادعهم إليك، فإن كان الأمر في المهر على ما وصفوه، فإن أحب أن يفعل فحرم بالعمل، والنهر إن عمل دون من كبره، ولأن يفعلوا ويكفوا أحب إلى من يضطروا للإسلام، وكان شعار بعض الحركات الثورية التي جاءت في أعقاب تروى الإسلام والحكم العربي فيه: «من يعمل باطل ومن لا يعمل لا ياكل».



في عصور الجوية تلك من القاريخ العربي لم يكن الدين مسخر الفسطا وعلمات وصيغ، كانت الكلمة تعبر عن كامل الشخصية وكانت شخصية متماسكة، كان لهم يلتزم تمام الالتزام بالقول، بقوله إلى المخاطر: «ولتلك لنا وقد طارت شعاعنا من الإبطال ويحك إن تراضى، لنت أجرد أن نذكر بيت هذا الشعر فكتب الحركة، وواجه المتهني ألوت وصعد له جرد تذكيره بقول قائ، فارتد يوليه مصيره.

حينئذ كان لفظ العرب المشتق من الإعراب وهو البيان، أحدًا من قول العرب الرجل أعرب عن حاجته (إذ إبان) والشيء تعرب عن نفسه.. أي زمن لم يكن كامل الشخصية فيه ينصل من اللغة، فهي واللغة العبرة عنها واحد، ولعل هذا هو عين ما عناء الرسول «عليه الصلاة والسلام» وهو الغفل عن عبر العربية في عصورها عندما بلله أن أحدهم يعرض بأعجمية بعض المسلمين.. لأصولهم العربية فيطلب أن ينأى ما ناس الصلاة جامعة ثم يصعد المنبر فيقول: «أياها الناس، إن الرب واحد والأب واحد».. وليست العربية بأحد من أب ولأم، إنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي، ولعل هذا هو ما يعنيه التزام الصلاة بالعربية ويجوب عدم ترجمة القرآن إلى غير العربية.

## كتاب الزاوية



### المسهراتى

#### ٢. نفس ترياق

مسهراتى ينأى في الأحياء منتسراتى من الألف ليلياء صرف القسيمة على بسيمه وعلاء والمكوجى بكوى هدم العبد والبيت دا هو متيل على الزغاريد والصاحه رايحه وجايه بالمواعيد ريحة المسابز من هنا لبسلاق والسهراتين في الحى منتسرين حتى الساعاتى منور البشارين وأنا دورى ثمة أربعة وعشرين في محل الأسلى سيد الحلاق وبآمد رجلى عترت في القصاصيص دا ترضى بدله وجاره ترضى قميص قفطاني الأخضر أسعد الأزياء وجناحى الأخضر لو أسرته بطير دا أأ ألف ليلة ورجلة الأساطير يا عم يا اللى يفسد الأشياء والطفل دا اللى في قلبه لسه حاويه يرجع يخنى الفسائوس وحويه أبوك مسهر يا بنى معنى سخاوية أصل الكريم مسهران نفس ترياق



والله شدد الإسلام على خاصية العرب هذه: العمل، فلم يصحشر الإيمان مستكلاً وعقماً لإدبها، فلما لا تجد أية في القرآن الكريم تدعو إلى الإيمان وتوض عليه إلا مقترنة بالعمل الصالح.. وكاد الإسلام أن يجعل من سوء فقلة «أبو رغال» في خاتلته للعرب، بقله مهممة اللذيل لجيش البرهة إلى الكعبة، سنة



## كتاب الزاوية



### المسحراتى

#### ٤- حبوا الوطن

مسحراتى منقراى أنادى

كل الولاد فى بلادى

أنادى بنسى ابناس

ألاى غدى ابناس

أنادى ابنى حمن

ألاى صدى اقمض

مايز أمادى ولادى

بغنه أجمل غنه حبوا الوطن

حبوا الوطن فى الخيط أبو الغدادين

وفى حصه العربى ودرس الدين

حبوا الوطن

حبوا الوطن فى الجبهة والميادين

يوم الجهاد الكل مجتهدين

حبوا الوطن

وتعملوا من قبل ما تقولوا

حبوا الوطن بالحق واشتقوا له

لولا العرق ماكانش نور الجبين

حبوا الوطن

حبوا الوطن فى المطرح الدافى

الأم تسفك الحنان صافى

والأب ما يحبس يشولك حزين

حبوا الوطن

ذلك كله تيارات إسلامية تستمد أفكارها من وحدة إسلامية مفترضة، وكل جهة من هذه الجهات تشكك لحسابها في «تعريفات» القومية المتفحظة الأخذة بالتفكك من روايد إمبراطورية عثمانية دامت ريعنة عام؛

في زحمة نشوء الأحزاب القومية في الشرق العربى كان التساؤل المهم للفق: من هو العربى؟ ولم يخطر ببال أحد أن تكون من صفات هذا الإنسان نفاذ العرق، خصوصاً بعد معرفة سلوك جنوب إفريقيا ومعرفة صفات دولة إسرائيل الثوراتية، وبعد أن كشفت في البلاد العربية الأحداث عن شخصيات وأوجه سياسية مشكوك في صفاء أصولها العرقية قدمت وتقدم للقضية العربية ما يشير إلى أنها أكثر انترافاً بها من نظيرين من أولئك الذين يرفلون في جلابيب اللباس العربى ويدعون الانتماء للانصاف العربى، وأصبح المعيار هو العمل ومدى اقتراح القول بالفعل.

فولان قرقوط - سوريا



#### وجهاً نظراً، والقرى

بحثت في للكتبات واكتشفت بيع الصحف والجلات في مدينة «الرباط» عن عدد شهر نوفمبر الماضى من مجلة «وجهاً نظراً»، إلا أننى لم أجده كما دعوت، ففعل المتع خير، مع ملاحظة أن المجلة تحظى باهتمام كبير والقبال من جانب القراء للغة.

عبد القادر بن عبد الله

الرباط - المغرب

نعتذر لعدم تمكن القارئ العزيز من الحصول على نسخة من عدد نوفمبر الماضى من «وجهاً نظراً» لثقتنا بزيادة في هذا العدد جرت مصارته في المغرب.

المحرر



#### استدراك

واقعت بعض الأخطاء الطبعية في مقال د. جلال أمين المنشور في العدد الماضى من «الكتاب». وجهاً نظراً تحت عنوان «إعادة تفسير السقوط السوفيتى والاتحاد السوفيتى»، تصوب منها فيما يلى ما قد يؤدى إلى تغيير في المعنى المقصود من الكاتب:

جاء في العاود الثالث من صفحة ٢٠ «العودة الاجتماعية» وتصويبها «الديمقراطية الاجتماعية»، كما جاء في العاود الثانى من الصفحة ٢١ في عنوان فرعى «العودة عصر الجماهير الفقيرة» وتصويبها «الجماهير الفقيرة».

ولا غرو فالعربية التى تميزت بالعرب وتميزوا بها لم تكن بالشكل ولا بالعرق، بل بالعائى والشيم. بالعمل بمشوى لسانها ومضمونه المتكامل بالإسلام، الذى تشج أسعى ما كان بلغه العرب في جاهليتهم وعمه وشمله، كمنار قيمة فصارت مفاهيمه الجديدة مفاهيم المجتمع الإسلامى العربى الواحد الموحد المنسجم لا يختلف عن هذا مضمون رسالة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو من خير من عبر من وجهة نظر العرب في وجه تلك النزعات الأعجمية التى كانت ترمى إلى التعريض بمكانة العرب، وهى الرسالة الشهيرة برسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان عرب قسطنطينية وعضدان المستعربة، واستقر التأويل في إطار هذا المفهوم لدى المسلمين غير العرب حتى القرن الحادى عشر، فقد كان البيرونى للخضر من أصل فارسي (٩٧٣ - ١٠٤٨) يقول: «بينما والدولة عريقان زومان - وكما احتشدت طوائف من النواحي في الجاسان الدولة جلابيب العجم فلم يتفق لهم في المراد سق»، ورغم أنه خُدم في الدولة الفزنوية وهى من أصول غير عربية إلا أنه لم يغير موقفه ولم يتغير وهو لثالث، «إنه لأحب إلى أن أسمى بالعربية من أن أمدح بالفارسية» (انظر: مبادئ الإسلام: أبو الأعلى المودودى - القاهرة، دار الأنصار، بلا تاريخ من ٤٧ - ٤٨). إلخ.

ثم أنواع شتى داخلية وخارجية تكررت في الناس حالات العجز عن التوفيق بين العمل والقول وكسرت الأحاديث التى تصف حذاب العلماء الذين لم يوفوا عليهم على ملهم أو فطهم على قولهم، اقتبسها وأوردها باتتى في جبهه وخلفتها في الأصل العربى على ما نكره المرحوم عمر الحافورى في إراء غريبة في مسائل شرقية (إن هؤلاء العلماء العاجزين «يدورون في جهنم بلا انقطاع كحسان الرخي ويراهم تلايمهم الذين عرفهم ويظنون عليهم من الجنة فيرون معهم قائلين: ما لك يكم إلى هنا وانتم الذين علمتمونا كل شيء» ولما انتم في النار ونحن لم ندخل الجنة إلا بما علمتمونا؟» (دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٥٥).



لنتذكر لنق واللتاريخ، أن التعريفات القومية كانت من أهم ما يشغل بال الشباب في الشرق العربى على الأخص في أعقاب الحرب العالمية الأولى، شباب ناشئ غير متزو بثقافة قومية - وثقافة، لتشرح لفته في منح جديد كل الجدة، تهب عليه فيه رياح نجاح ثورة أكتوبر وروز قيام أحزاب مؤالية لها في انصار شرسة على رأسها الو لرايات للخدمة الإثوية من جهة أخرى، وثورات محلية فاشدة وغياض الأقلام القومية، أو تكاد تفل برؤوسها على استحياء، وليس في الساحة حزب قومى عربى واحد...! يراق

# نهج

## الجمود السياسي وانتحال الديمقراطية

شهد العالم مع العقد الأخير من القرن العشرين، أولاً من التجارب الحديثة في الديمقراطية. انتشرت في بعض المناطق بغنى أسرع من مناطق أخرى، وبالأخص في منطقة شرقي أوروبا، التي نهضت النظم الشمولية فيها بمجرد انهيار النظم السوفيتي وحلت محلها نظم ديمقراطية نوفاً، وفي بعض دول أمريكا اللاتينية والأسبانية التي تأثرت بالنموذج الأمريكي تأثراً شديداً، ولم يكن نصيب العالم العربي من هذه التطورات الديمقراطية غير النزر اليسير. ورغم طغيان الجمود الفكري الذي اجتاحت العالم العربي في حوزات متعاقبة على الأوضاع السياسية، فبطلت حركة التقدم السياسي موهونة بالقدرة على التوفيق بين العقل والنقل، بين الإيمانية بحرية الفرد والسمعي الدائم للمساواة على تماسك الجماعة واستقرارها، بين الانجذاب للتجديد من ناحية، والجمود على الموجود من ناحية أخرى.

وأد لم تنجح معظم المحاولات التي شهدتها العالم العربي الخروج من هذه الدائرة المغلقة، فقد عبرت موجة الديمقراطية الحديثة في أواخر القرن العشرين من فوق راس العالم العربي، مغلقة وراية كثيراً من القضايات والى غاري التي تستمع زبداً لخواه فيه ولا جوري منه. وشبه الشعوب العربية في بعض الحالات اتسعت دخلت بوابة الديمقراطية، حين التجهت بعض أشكالها ورسوماها واسطعها، دون أن تنشعب بعضها، وتستوعب غاياتها وشمولها، وضاعت حرية الفرد وأهملت ملكات وقدراته الإنسانية، بين غلبة الأمير والخصوس للتمسكة الدينية... فاصبح من الصعب بل المستحيل في كثير من الأحيان إقامة مؤسسات سياسية ثابتة الأركان واضحة المعالم، تضع مصلحة المجتمع فوق مصلحة الحاكم، وشرعية الفعل فوق شرعية الشخص.

بل إن عدداً غير قليل من الشعوب العربية لم يبل شيئاً من هذه أشكال الديمقراطية بل بدأت، لم يقرّب منها إلا كما يقرب الظلم من الرباب، وانتشيت بعضها في الخضوع إلى لون من أكثر ألوان الطغيان فسوة وخساسة، قد تنجح كل ضغوط العالم الخارجي، ومزرائاته السائلة والتمسكة، في أن تخلص هذه الشعوب من برزائن حكام وضغوا أنفسهم في مرتبة الأقرعية، واستطالوا الأحداث فوات العصر في إحكام قبضتهم على شعوبهم والتخلص من معارضهم دون رحمة. وفي معظم الأدبيات الحديثة التي تتعرض لحوال الديمقراطية في العالم، يذكر لا بد للعالم العربي وما يجري فيه من ممارسات وانتشلت شبه ديمقراطية... فسجل القتل الديمقراطي في

العالم العربي، سجل حائل بالجرم والخذلان والفساد.



فلئن كانت الديمقراطية، في أبسط تعريفاتها، هي الوصول إلى السلطة بالوسائل السلمية، في طريق انتخابات حرة، نزيهة، شافئة، محولة بالشفاعات التي تكفل سلامتها... فلن من الصعب تطبيق هذه المعايير على معظم الأوضاع في العالم العربي، وقد جرت في بعض البلدان العربية أخيراً انتخابات برلمانية توافرت لها بعض الشروط، وعبرت عن تحقيق بعضها الآخر... مثال ذلك الانتخابات التي أجريت في الكويت والجزائر وفي لبنان ثم أخيراً في مصر، وقد يبدو من السابق لأوانه في الوقت الراهن استخلاص نتائجها كاملة ومدى تأثيرها على تطور الأوضاع الديمقراطية على الأرض.

في هذه البلاد لم تبرا العملية الانتقالية فيها من الضوابط ومن أوجه القصور الهادئة، وما زالت للثابت التي تحول دون تحقيق تمثيل عقيقي كامل للشعب بجميع قواه وتياراته السياسية الرئيسية تضفي على التجارب البرلمانية فيها غلافاً قاسماً، تحول دون تداول السلطة بين الأحزاب بطرق سلمية، وتعود دون إيجاد آلية مضمونة للاختلاف في راس الدولة، بلير شكل أو مساندة أي مباركة من السلطة العسكرية. ومع ذلك فمع أن يكون بلان الشعوب سبست أو يثبتت أو كسفت عن المطالبة بالديمقراطية... بل يمكن الادعاء بقدر كبير من الصحة أن معظم الأنظمة السياسية في العالم العربي قد وصلت إلى مرحلة الأزمة تتسارع في ذلك الاتجاه التقديري المتزايد الروابي، والأنظمة الجمهورية ذات الأشكال البرلمانية أو شبه البرلمانية بها، ويبدو مشيراً لاستغراب أن الأزمة المستعصية في جميع النظم السياسية القائمة في العالم العربي، ترجع بالدرجة الأولى إلى عدم قدرتها على استيعاب كل أو معظم القوى السياسية والاجتماعية المختلفة مما التي استجبت إلى أساحتها... وهي تستند من كسبها للجزء إلى الهزائم الانتخابية، أو لتبوير انتعاج أشكال من الديمقراطية النقصية، بحيث تعصب الطوائف لحزبية أعداء الحكم والديمقراطية... مستاتية أن أنظمة الحكم الحديثة عاجلة هذه الإشكالية بالانزواء المطبق بتحقيق توازن دقيق وشكمن على الصواب والقانون... واستغرابها أساس الديمقراطية.

وعلى العكس من ذلك فقد نجحت الأنظمة السياسية الثلاثة التي تجتهد بالعالم العربي وتتنازع مع في دولتين من التماسي الباطش،

في تحقيق قدر أرفع من الأداء السياسي التمييز، وفي تطوير معطياتها السياسية نحو قدر أكبر من الرونة. ففي تركيا ذات النظام العلماني تتخذ الممارسة مع التتبار المعني إشكالا ودرجات تتراوح بين الاستيعاب والمواجهة، وفي إيران أبوي النظام الجمهوري حيوية شديدة في تمثيل القوى السياسية الصاعدة على مستوى البرلمان ولم يلجأ إلى الأساليب القمع والتهذيب للحسيولة دون بروز القوى معارضة. وفي إسرائيل تتقدم التناقضات العادة بين اليمين اليميني المتعصب واليسار الليبرالي إلى حد تتفجر بمرزقة بالغة تفوق محملة إسرائيل وأنها وتوقها حتى كل اعتبار دون أن تتقد وجهها الديمقراطي، مهما تكن التحفظات في تعاملها العنصري مع الفلسطينيين العرب داخل إسرائيل.



ما في هذه الحالات حتى الآن دون فتح أبواب الانجذاب لتحرير حالة الجمود الديمقراطي والتجديد السياسي للعالم العربي؟ وما في جوانب القصور التي ساعدت على إغلاق الباب في وجه جميع القوى السياسية بدون استثناء، والإبقاء على نفقة حاكمه بدت لنفسها الحق في أن تترب عن جميع وتقرض استثمارها بالعودة العبدية؟ ولماذا تتقدم التجارب الديمقراطية في معظم الحالات العربية خطوة قد تتفارق في الفراء خطوتين؟

قد تلقت الفخوف من التتبار الإسلامي هو الهاجس المزعج الذي اقتض مضاعف الخشية والحكمة وأعاقها عن اتخاذ الخطوات السلمية في الاتجاه الصحيح، ويبدأ من العمل على احتواء هذه التتبار واستيعاب وتجميعها بالقرى السياسية في إطار ديمقراطي. ولعل هذا التتبار بين جميع، لا لتهديت باقتمال نائل هذا التتبار بغير سائر، لتفريق التجربة الديمقراطية لذلك في الداخل، كأيضا منزعاً للتجمع القوي المستات الأمية، وتخصه القوى العربية الصاعدة من الزلزل إلى القواعد الشعبية.

وكيف من هذه الرؤية غير الواقعية، أن زادات النفقة الحاكم استأثراً بالسلطة، وإقصاء لآلة عناصر جديدة مستقلة، والتتبعين، وإغلافاً لأبواب الانجذاب والتجديد السياسي... وكانت النفقة الحاكمي لإضعاف التجمع الأمية وإحكام الحصار حوله بسلطة من الإغلا القاتنية التي أرهنت القدرة على الحوار وبحق الاختلاف، وتلاشى دور القاتبات الأمية وإزاد معزها تمت طاعة التدخلات والخلافات الحزبية... ومن ثم فقدت قطاعات شعبية واسعة أي رغبة في ممارسة العمل

السياسي والمشاركة في تحمل المسؤولية، وهو ما دعا كثيراً من المفكرين الغربيين إلى القول أن الأمم الشرقية عرفت الدولة ولم تعرف المجتمع المدني بمفهومه الحديث. وتولد من هذا العجز بعض الحلول والاتجاهات البديلة في صلاحيات فاعلية الأحزاب السياسية مغلقة تنقش فيها من معارضتها وانتقاداتها، ثم حلت بديمقراطية القنوات التفصيلية محل الممارسات الديمقراطية الحقيقية... وأصبح من السهل أن تمارس القوى السياسية حريةتها، سواء عن طريق الصفوف، أو عن طريق الانغماس في مختلف المجالات وحوارات فضائية، تتكثف الطاقات، والتمسك بالإحساس بالرغم من الوقت والإشباع الذاتي والاستسلام إلى الأمر الواقع.



من هذا بدأت الانتخابات البرلمانية الأخيرة في مصر محاولة تجريبية جادة لتسويب الأوضاع، وتجديد النظام السياسي، وتبنيق الفرصة لانتخاب ليبرالي على الأوضاع المتغيرة في العالم المحيط. وأعتبر محاولة الإضراب الفصلي بدأت صرت في المحكمة الدستورية الفصلي بدأت خطوة حرة إلى الأمام، يمكن قياس نتائجها في مسار الممارسة العملية للبرلمان القادم، الذي ضم، على مخصف من الطبيعة الحاككة، معظم إن لم يكن كل ألوان الطيف السياسي بين اليمين واليسار والإسلاميين وغير الإسلاميين... ولم ليس بالانسب العرقية التي تتكها في الشارع السياسي، ومع قدر من التدخل الحكوم الذي يضمن عدم إلات الزام داخل البوينة، فهي أشبه بتجربة محملية قد تنجح وقد تفشل. تصدعت شروطها سلفاً واختارت الديمقراطية كأداة لتضع لها سلفاً لا تملو عنه... بحيث يمكن لو نجحت أن تلأذت تجربة مداها في خمس سنوات قاسمة، أو يوضع المرشحي في فطيس الجانبين، من أخرى.

ويجب مثل هذه التجارب التي يلعب فيها التجوس والحدس المفرط على الانتماء والمبادرة أن نتأجها تحت محصورة كاملة تحت التسلسل، تؤكل كلها بصوغه بآلة وقد توت الشجرة قبل أن تثمر... ولكن بغنى أهميتها قد تتقدم على التجارب والقرى السياسية التي تتجسد على الأرض فدا في بناء قواعدها، وربما تدفع بالتجربة إلى أفاق الديمقراطية الحقيقية، وتتطلب على مفارو الذين يكرهون التغيير وتوجسبون في عوايق... فلا أحد يبتذل الخلقين والتزديدين في عالم اليوم!

سلامة أحمد سلامة

# ده أنا... ودى أول عربية ركبتها دلوقتى ممكن أشتري عربية بجد

إنهارده يقينا عيلة

والعربية لازم تبقى أكبر وأسرع

عن طريق برنامج القروض الشخصية

اللى يقدمها البنك العربى

قدرت أخذ قرض واشترت العربية

اللى كنت يا حلم بيها

طبعاً مش قادر أحكى عن فرحة الأولاد

من الفصح فى العربية الجديدة

معلش... أصلى راكن صف تانى



[www.arabbank.com](http://www.arabbank.com)



البنك العربى



لكر شبكة مصرفية عربية



General Organization of the Alexandria  
Library (GOAL)  
Bibliothèque Alexandrina

# الإنجاز الحقيقي هو... إرضاء مليون عميل



## شكراً عزيزي العميل

- ١ على ثقتك بنا
- ٢ لمساهمتك في إنجازتنا
- ٣ على اختيارك لخدماتنا

اليوم نجدد لك الوعد أننا سنظل نسعى  
دائماً لتقديم المزيد والمزيد من أجل إرضائك.

مع احتفالنا بمرور عامين على إنشاء شركة كليك جي إس إم . قمنا  
خلالهما بالعديد من الانجازات. كان إرضائك دائماً هو هدفنا.



يمكنك الاعتماد علينا